الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة العربي بن المهيدي كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية

–أم البواقي– قسم اللغة العربية و آدابها

الرقم الاستدلالي:.....

الرقم التسلسلي:600381

شعر الشعراء الشعبيين في العصر العباسي الأول دراسة في المضمون و الأداة

أبو الشمقمق أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

تخصص الأدب العربي القديم و نقده

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

لندة بوذيبة حسن كاتب

لـــــجنـــة المـــناقشـــة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
العلمي لراوي	أستاذ محاضر.أ.	أم البواقي	رئيسا
حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري قسنطينة	مشرفا و مقررا
العلمي المكي	أستاذ محاضر.أ.	أم البواقي	عضوا مناقشا
باديس فوغالي	أستاذ محاضر.أ.	أم البواقي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2010م/2011م

لقد كان العصر العباسي بثرائه الفكري، و غناه الشعري، عاملا أساسيا في اهتمامي بهذه المرحلة الزمنية من تاريخ الشعر العربي. و لقد لفت انتباهي – من خلال اطلاعي على مختلف المراجع و الأبحاث– أن الدارسين المحدثين قد أولوا عناية خاصة بأعلام الشعراء من هذا العصر الذي يمثل وجها مشرقا وضاء، متناسين الوجه الآخر الذي تختفي وراءه أسماء لا تقل إحساسا بالحياة من هؤلاء الأعلام، إنهم الشعراء الشعبيون الذين لفت انتباهي إليهم أستاذي الفاضل و الذي أشار علي بأن أخوض غمار هذه الدراسة.

ولما كان من الطبيعي أن يختار الباحث عنوانا مناسبا يكون بمثابة مرآة تنعكس من خلالها صورة البحث و مراميه، رأيت أن أسمي بحثي بـــ: شعر الشعراء الشعبيون في العصر العباسي الأول، دراسة في المضمون و الأداة، أبو الشمقمق أنمدوذجا.

و هكذا بدأت رحلتي مع هذا الموضوع الذي يبدو سهلا ميسورا لأول وهلة، إلا أن الإلمام بأطرافه عقبات كؤود، فلقد استغرق البحث عن أعلام هذا الشعر في نطاق الكتب و المصادر القديمة وقتا طويلا لاسيما الشاعر أبو الشمقمق الذي كان عليه مدار بحثي ، و توزع على تعدد القراءات لهذه المصادر مرة للبحث عن ترجمة الأعلام، ومرة للبحث عن أشعارهم و تحقيق ما اختلفت الروايات حوله ، ومرة ثالثة للتأمل في هذا الشعر لاستنباط النواحي الفنية التي يمتاز بها.

ومن خلال كل هذا اتضحت معالم خطة الموضوع في ذهني، فكانت على النحو الآتي:

مدخل تمهيدي: و عنونته بـــ: الحياة الاجتماعية في عصر الشعراء الشعبيون، و يشمل محورين كبيرين هما: أولهما بنية المجتمع العباسي في عصر الشعراء الشعبيين و طبقاته ككل؛ و يندرج تحته ظهور الطبقية أي من الحكام و السادة و الأمراء و الوزراء و التي كانت تسيطر على الوضع و لها زمام الأمور فكانوا في نعيم و رغد، أما الطبقة الشعبية فكانت من الفلاحين و أصحاب الحرف الصغيرة و العامة من أهل المدن و القرى و التي كان يعمهم البؤس و الحرمان و الشقاء و ضنك الحياة ، لذلك كانوا ساخطين على الطبقة الحاكمة نظرا لاحتكارها المال و الهناء. كما كان لامتزاج العناصر العرقية و الأجناس دور هام و مؤثر و فاعل في إطار الحياة الاجتماعية و الأدبية و السياسية أيضا و التي تمثل الانفتاح على الآخر بمختلف مشاربه و توجهاته، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الفرس و الزنج و اليونانيين وغيرهم كثير.

أما في المحور الثاني أريد أن أتحدث فيه عن أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر الأدبي، و لعل أول ما يتبادر إلى أذهاننا هي ظاهرة الشعوبية ، و التي كانت نتيجة المعاملة التمييزية إزاء الموالي في عهد بني أمية لترسم شكلها المكتمل في هذا العصر، فاتخذت هذه الظاهرة من الآداب وسيلة لزرع

بذور العنصرية و الكراهية في نفوس أبناء أمتها تجاه العرب و الإسلام عامة، و كان الشعر أحد أهم فروع الأدب، كونه الأكثر التصاقا في عقول القراء و المستمعين و الأسهل حفظا في الذاكرة.

ومن جهة أخرى تلوح حياة اللهو و المجون التي كانت مع مطالع القرن الثاني و أسهم في حدتها و ظهور مثل هذا التيار في المجتمع العباسي هو انتشار الجواري الأجنبيات و كذا القيان الذي امتلأت به قصور بغداد و غيرها بأعداد ضخمة منهنٌ، ومع الفتنة و الإغراء و انتشار شرب الخمر في الأديرة بأنواعها المتعددة، كان اللهو و المجون و الخلاعة .

و تأتي كرد فعل طبيعي نزعة الزهد و التقشف التي أنكرت الحياة المادية المرتبطة بالدنيا ارتباطا رخيصا، فمضوا يقفون في وجه تياراتها فاتجهوا إلى الزهد و التقشف، ودعوة الناس إلى عالم روحاني بعيد عن زخارف الدنيا و زينتها.

الفصل الأول: كانت فيه دراسة لشعر أبي الشمقمق الذي اتخذته أنموذجا لشعراء عصره الشعبيين، منطلقة منه لأصل إلى الميزات العامة لشعرهم، فأردت أن أعرج في دراستي هذه و أن أقسمها إلى مبحثين:

المبحث الأول: وفيه سأعرف بالشاعر من حيث الاسم و النسب، و الكنية و اللقب، و نشأته و حياته و أخلاقه و طرائفه مع شعراء عصره ثم مكانته الشعرية بين أقرانه إما من الشعراء أو النقاد .

المبحث الثاني: و سأتطرق فيه إلى الأغراض الشعرية حسب ما جاء في أشعاره التي احتوتها مدونته، محاولة أن أحصي أهم الأغراض التي تناولها كالهجاء و الشكوى و الوصف و المدح و غيرها كثير، وما هي الأغراض التي نبغ فيها، وهل نوع أم لا.

المبحث الثالث: سأحاول أن أسلط الضوء فيها عن أهم مصادر الصورة الشعرية عنده كالطبيعة و الحيوان و الحياة الإنسانية، وكذا الحياة اليومية لأعرج بعدها إلى مكوناتها في شعره كالصورة الإشارية من تشبيه واستعارة و غيرها.

المبحث الرابع: البناء اللغوي و الأسلوبي كون لغة الشعر هي الدلالة على حياة و عقلية ومجتمع الشاعر، فسنرى كيف كانت لغة أبي الشمقمق و كيف كان أسلوبه في التعبير عن شعبيته.

المبحث الخامس: البناء الموسيقي باعتباره ركنا مهما لفهم النص الشعري و الحكم على جودته واستحسانه و قبوله، فالمعاني متداولة بين الشعراء يعرفها العربي و العجمي و البدوي، إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج، فسنرى هل وفق أبو الشمقمق في موسيقى شعره إلى أن يصيب هذه الصفات و المميزات أم لا؟ و ماهي الأوزان التي اعتمد عليها و غلبت على شعره؟.

المبحث السادس: و فيه سأدرس بنية القصيدة عنده و كيفية تشكيلها و هل كان من زمرة المحافظين القدامى في البناء أو كان من المجددين الثائرين على نظام القصيدة القديمة.

الفصل الثاني: و وسمته بالملامح الفنية في شعر الشعراء الشعبيين، وذلك من جهتين:

أولهما: على مستوى المضمون (الموضوعات)؛ و فيه ستطرح نماذجهم الشعرية كصور معاكسة لما ورد في شعر البذخ و اللهو و المجون، لتدل على المعاناة و الفقر و الحرمان التي تفشت في هذا العصر حتى السواد الأعظم في المجتمع العباسي فكثر شعراؤها، سائلين كيف تنوعت أشعارهم و تلونت بألوان مختلفة باختلاف معاناتهم و آلامهم و آمالهم، و كيف أصابت هذه المآسي أولادهم؟ و هكذا تتعدد نماذج هذا الشعر بتعدد آلام الفقراء و أحلامهم.

ثانيهما: على مستوى الأداء الفني؛ و قد خصصته لدراسة الخصائص الفنية للشعر الشعبيين، إذ اتسم هذا الشعر بسمات فنية برزت فيه أكثر من غيرهم وهي:

أ* انتشار المقطوعات الشعرية و النتف: وسأبحث فيها عن الأسباب و الدوافع التي جعلت الشاعر الشعبي يختزل شعره و بقزمه ليكون نتفا أو مقطوعات متناثرة هنا و هناك.

ب* الموسيقى: واختصرنا في عرضنا على جانبي الأوزان و القوافي:

1 – الأوزان: و هي نتيجة حتمية للعصر واستجابة لأسباب انتشار المقطوعة الشعرية السابقة الذكر، فكيف صب الشعراء الشعبيون أشعارهم في أوزان البحور القصيرة أو في مجزوءات البحور الطويلة أو بعض الأوزان المهملة؟

2 – القوافي: و سأبحث فيه، كيف كانت قوافي شعر الشعراء الشعبيين، هل تنوعت و تعددت، و هل جددوا في القوافي القديمة مسايرة لخفة العصر و دواعي التغيير، أم سايروا القدامى ونحوا نحوهم في القوافي؟

جـــ* اللغة و الأسلوب: بما أن شعر الشعراء الشعبيين أغلبه ذاتي يحكي آلامهم وآمالهم فإن لغته كانت مستمدة من واقعهم البسيط إذ استخدموا اللغة العذبة المنتقاة من واقعهم؛ لأن همُهم إيصال أفكارهم بأبسط التعابير للمتلقي، و كيف كان الأسلوب بسيطا نتيجة بساطة لغته، لذلك سأحاول البحث عن مدى إظهار مهاراتهم الفنية باستخدام المحسنات البديعية في أشعارهم.

د* التصوير الشعري: مادام غرض الشاعر الشعبي من نظم الشعر هو تصوير واقعه و واقع مجتمعه، فإن التصوير الشعري لديه لا يخرج عن دائرة محيطه الذاتي و الاجتماعي الذي يعيش فيه، و لهذا فقد كانت معظم صوره تجسد الواقع الخاص به، ومدى تأثيرها على الحياة الاجتماعية باختلاف بنياتها و مظاهرها، ثم وصف ما جمع من أشعار الشعبيين بحسب موضوعاتهم المتنوعة و التي كلها

تهدف إلى وصف حالتهم المزرية إلى سخط ضد الطبقة العليا.و تبيان المهارات الفنية للشعراء الشعبيين في تصوير ذلك الوجه الآخر للعصر.

هذه هي مجمل المحاور التي وردت في الموضوع الذي وجدت نفسي مسوقة إليه إلى اعتماد مناهج متنوعة بتنوع المواضيع التي كان الشعراء يعرضها، فكان أهمها المنهج التاريخي و الاجتماعي و الوصفي،و ذلك من حيث اقتفاء الأحداث التاريخية للعصر، ثم الحالة الاجتماعية التي كان يعاني منها الشعراء الشعبيون مقارنة بالحالة الاجتماعية المناقضة لهم، ثم وصف ما جمع من أشعار الشعبيين بحسب موضوعاتهم، للكشف عن واقع العصر العباسي الأول اجتماعيا و أدبيا، و تبيان مهاراتهم الفنية في تصوير ذلك الوجه الآخر للعصر.

أما من حيث المصادر و المراجع التي ساعدتني في تتبع آثار الشعراء الشعبيين – و على رأسهم أبو الشمقمق– للكشف عن سيرهم و إبراز قدراتهم في النظم، فكان أولها: المدونة التي قام بجمعها و تحقيقها و شرحها الدكتور واضح محمد الصمد،ثم كتب أخرى أهمها: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، و معجم الشعراء للمرزباني، و الورقة لابن الجراح، و طبقات الشعراء لابن المعتز، و كتاب البيان و التبيين للجاحظ، و غيرها من المصادر القديمة المعروفة، هذا و بالإضافة إلى مراجع أخرى ذات الاهتمام الكبير بالعصر العباسي الأول، مثل العصر العباسي الأول لشوقي ضيف، اتجاهات الشعر لمحمد مصطفى هدارة،و مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول لمصطفى البيطام ، و ضحى الإسلام لأحمد أمين، وغيرها كثير من المراجع التي تعددت و تنوعت عبر العصور.

أما من حيث مشاكل البحث و ما لاقيته من صعوبات أثناء تتبع آثاره فتكمن بالدرجة الأول في قلة المادة التي توزعت على كل المصادر القديمة؛ ذلك أن معظم الأشعار التي عثرت عليها لم تكن سوى نتف متناثرة هنا و هناك في طيات الكتب بسبب قلة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع بالضبط.

هذا و قد أنهيت البحث في شكل ملخص لأهم قضاياه و محاوره، مع استنتاج أهم المعالم التي تعكس صورة الوجه الآخر لهذا العصر. ويعود الفضل بالدرجة الأولى إلى الله عز و جل حين ألهمني الصبر و الثبات و المثابرة في تتبع هذا الموضوع، فأحمده على نعمته هذه، ثم إلى أستاذي المشرف الدكتور حسن كاتب الذي تتبع هذا البحث بالصبر و الأناة و الحلم من أول حرف فيه إلى أن أضحى على الصورة التي هو عليها.

و الله ولي التوفيق

كثيرة هي الكتب التي تحدثت عن الحياة الاجتماعية في العصر العباسي،وقد أولى المؤلفون هذه الناحية أو الجانب اهتماما بالغا،نظرا لما لها من تأثير بالغ على نواح شتى و أبزها في الأدب.

وإذا ما أمعنا النظر قليلا لوجدنا الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تدور حول محورين أساسيين هما:

1*الحياة الاجتماعية من خلال بنية المجتمع و طبقاته ككل:و يندرج تحته:ظهور الطبقية ، امتزاج العناصر العرقية و الأجناس.

2* أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر الأدبي ، ويندرج تحته:ظـــهور الشعوبية، حيـــاة اللهو و المجون و التقشف و الزهد.

1/*المحور الأول:الحياة الاجتماعية من خلال بنية المجتمع و طبقاته عامة:

تشير المؤلفات التي بحثت في حياة الشعوب الاجتماعية و الاقتصادية أن المجتمع العباسي خلال عصره الأول كانت تتوزعه طبقتان رئيسيتان هما: طبقة المحظوظين من قادة الدولة و خلفائـــها و أشرافها، و الشريحة الاجتماعية التي كانت تحيط بها و تعتبر المجال الحيوي لها،وإن هذه الشريحة تفاوتت في مستوياتها كالوزراء و الكتاب و التجار،وهي على الرغم من هذا التفاوت قد أخذت بنصيب وافر من سلوكياتها و ممرساتها،إذ كان البذخ و الترف هو القاسم المشترك بينهما،حيث كانت تحمل إليهم الأموال من مختلف الأقاليم و الموارد حتى حتى قيل أن المنصور خلف حين توفي أربعة عشر مليون من الدنانير[1]،وكانت هذه الثروة الضخمة يغدق منها على تلك الشريحة الملازمة للخلفاء و الحكام كالكتاب و الشعراء و الوزراء و المغنيين و العلماء و الأطباء،من هنا يمكن إدراج هذه الفئات –إن صح التعبير–ضمن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة،وكان لهذا الثراء أثره في الإنقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الثورة العمرانية و الحضارية حيث الدور المزخرفة و الفـــرش و الثياب الأنيقة و المآكل من النعيم، أنظر مثلا الخليفة"الرشيد"فقد بنى على دجلة قصرا تفنن في تجميله،حيث زينه بشتى أنواع الزينة،وأقام فيه أساطيل الرخام [2].هذه القصور التي شيدوها في هذا العصر قد تميزت بمتانة عمارتها و بوسائل الرفاهية التي زودت بها،كالحمامات و النافورات[3].

1- أنظر موقع فيه مقالة لريم الصباح:http://www.almhml.com/vb/showthread.php?t=7182

2- مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر.ط1. 1995.ص35.

3- المرجع نفسه: ص35.

وهذه نماذج من الأشعار التي قيلت في وصف بني العباس و مجالسهم فهذا إسحاق بن إبراهيم [1] يصف قصر السلام وهو أظرف القصور فيقول[2]:

سَقَيْتَ الغَيْثَ يَا قَصْرَ السلاَم فَنِعْمَ مَحِلةُ المَلِكِ الهِمَـــــام
لَقَدْ نَشَرَ الإِلهُ عَلَيكَ نُورًا وَ خَصكَ بِالسَلامَة و السَّلاَمِ

وكذلك من الذين تفننوا بجمال القصور وحسن بهرجتها و جمالها،عبد الله بن محمد بن عيينة الذي وصف قصر عيسى بن جعفر،و لعل هذا المقتطف من قصيدته وهي من عجيب شعره –كما يقال– من أروع ما وصف فيها القصور حيث يقول فيها[3]:

لَقَدْ كُنْتُ يَومَ القَصرِ مِمَّا ظَنَنْتَ بِي بَريئًا كما أَنِّي بَرِيءٌ من الشِّـــــركِ
يَذْكُرُنِي الفِرْدَوْسُ طَورًا فَأَعْوِي وَ طَورًا يُواتِينِي إِلى القَصفِ و الفَتكِ
يُغرَسُ كأَبكَارِ الجَوَارِي و تُربَةٍ كَأَنَّ كَرَاهَا مَاءُ وَردٍ عَلَى مِســـــكِ
وسِربٌ مِنَ الغِزْلاَنِ يَرْتَعْنَ حَولَه كَمَا اِسْتَلَّ مَنْظُومٌ مِنَ الدُّورِ مِنْ سِكِّ
وَرقَاءَ تَحْكِي المَوصِلِي إذا عُدتُ بِتَغْرِيدِهَا أَحْبَبتُ بِها و بِمن تَحــكِي
فَيَا طِيبَ ذَاكَ القَصرِ أو مَنْزِلاً بِأَفْيَحِ سَهلٍ غيرُ وعرولا ضَنْـــــكِ
كَأَنَّ قُصُورَ القَومِ يَنْظُرُونَ حَولَهُ إلى مُلكٍ مُوفٍ على مِنبرِ مُـــــلكِ

في هذه الأبيات يصف الشاعر إعجابه بجمال القصور وما تميزت به من مناظر خلابة و صور شتى و متعددة،لدرجة أنه شبهه بجنة الفردوس وجمال أشجارها المحفوفة به بجمال و حسن الجواري الأبكار و حول القصر سرب من الغزلان يرتعن على أنغام هدير الحمام التي تحاكي أنغام إبراهيم الموصلي،فغدت شهرة القصر بهذا الوصف لجماله أروع القصور على الإطلاق.

هذا باختصار ما أحاط بطبقة المحظوظة من الحكام و حواشيهم.

أما **الطبقة الثانية** فهي الطبقة العامة أو الطبقة الدنيا و تتكون من شرائح متعددة من أصحاب المهن والحرف الصغيرة والفلاحين و العمال و العامة من أهل المدن و القرى و العياريين[1] و الشطار

1- هو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان، المعروف بابن النديم الموصلي، كان من ندماء الخلفاء، اشتهر بالظرف و الخلاعة و الغناء، ولد سنة150هـ ، وتوفي سنة235هـ . انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء الزمان . ترجمة و تح. إحسان عباس. دار صادر للطباعة و النشر. بيروت.1994. (د.ط) . ج1. ص.204،202

2- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني. ترجمة و تح. يوسف البقاعي و غريد الشيخ. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.2000 . ط1. (د.ت). ج5. ص81.

3- المصدر نفسه: ج8. ص14. 15.

(وهم الذين عرفوا بالدهاء) و الطفيليين و غيرهم من الفئات.و إذا كانت الطبقة المترفة و المحظوظة قد استأثرت لنفسها بطيبات الأرض و خيراتها،فإن الأغلبية الساحقة من جمهور الطبقة العامة كان يعمها البؤس و الشقاء و الضنك .روى الأصمعي لشاعر مجهول لم يشر إلى اسمه، شاهده معلقا بأستار الكعبة، أو أنه احتمى بها وهو يقول[2] :

يَا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ كَمَا تَرَى مُشتَمِلٌ شَمِيلَتِي كمَا تـَرَى

و شَيْخَتِي إِنِّي سَائِلٌ كما تَرَى وَ البَطْنُ مِنِّي جَائِعٌ كَمَا تَرَى

فَمَا تَرَى يَا رَبِّ فِيمَا تَرَى

فهو في هذه الأبيات يصور تبرمه و سخطه على أوضاعه السيئة داعيا و متضرعا أن ينعم عليه برزق يسد به رمق جوعه و يلطف به.

ومن هنا يمكن القول بأن ظاهرة الفقر كانت ملازمة للطبقـــة الفقيرة كون الأموال محتكـــرة و مكدسة في خزائن الخلفاء مما جعل هؤلاء البؤساء يثورون ثورة عنيفة على هذه الأوضاع الاجتماعية المزرية،و منهم الشعراء الشعبيين الذين كانوا ينتقدون تلك الأوضاع و سلاحهم في ذلك الشعر بوصف رغيف تتلذذ لمجرد شم رائحته أو تخيل طيفه،وبرثاء وحيد عزيز في البيت أو رثاء حيوان أليف أنيس لهم يشاركهم همومهم .....إلخ.ومن زمرتهم محمد بن يسير و ابن صبيح و أبو المخفف و أبو عيينة و الحمدوني وأبو الشبل و أبو الشمقمق و أبو الفرعون الساسي[3].

*/**امتزاج الأجناس و الأجناس العرقية**:إن المملكة الإسلامية في هذا العصر كانت مكونة من أمم مختلفة، فقد كان من أجزائها المغرب –حينا– و مصر و الشام و جزيرة العرب و العراق و فارس و ما وراء النهر.وكانت هذه الأمم تختلف فيما بينها كل الاختلافات [4]، فهي مكونة من عناصر مختلفة كانت لها هويتها المتميزة و ثقافاتها الموروثة،فقد جمع بينها الزمن التاريخي في إطار هذه

1- يدل المدلول اللغوي للعيار على ما عرفوا به من صفات و سلوك و مبادئ كجماعة منبوذة و مظلومة ثارت على واقعهم نتيجة التباين الاقتصادي الطبقي و حركتهم ثورة ضد الأسياد السياسيين و أرباب المال و محتكري الطيبات.انظر الزبيدي: تاج العروس.المطبعة الخيرية.مصر.(د.ت). (د.ط) . ج3،ص435.

2- مصطفى بيطام:مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول. ص144. نقلا عن البيهبيتي: المحاسن و المساوئ. ج.2ص419.

3- مبارك باشا: شعر المغمورين في العصر العباسي الأول.بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم.جامعة الحاج لخضر. باتنة. السنة الجامعية:2000/1999 م.ص37.38.39.40.

4- أحمد أمين: ضحى الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. مصر. (د.ت). ط7. (د.ت) .ج1.ص50.

الحضارة الإسلامية، وكـــانت هذه العناصر فاعلة و مؤثرة في إطار الحياة الاجتمـــاعية والأدبيـــة و السياسية أيضا.ويجدر بنا التنويه في هذا الموضع إلى ما قاله يحي البرمكي:"و الناس أربع طبقات:ملوك قدمهم الاستحقاق،و وزراء فضلتهم الفطنة و الرأي ، وعليه أنعضهم اليسار،و أوساط ألحقهم بهم التأدب، و الناس:بعد زبد جفاء،وسيل و غثاء،ولكع ولكاع،وربيطة اتضاعـــهم أجدهم طعامه و نومه"[1].ومن هذه العناصر أيضا:[2]

*–**الزنج**:وصف الجاحظ هذه الطبقة بأنها تمثل رقيق الأرض في البصرة،و أنهم "أطبع خلق الله على الرقص حلوفا بالطبل على الايقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم و ليس في الأرض أحسن حلوفا منهم"على حد تعبيره،أي أنه يضعهم لحب الطرب و الغناء.

*–**الصينيون**: فهم أصحاب الصياغة و النحت و التصوير و النسيج.

* –**اليونانيون**: فهم يتميزون بالحكم و الآداب.

*–**الفرس**: فهم يتميزون بالملك و السياسة و برع الأتراك في الحروب.

* –**الهند**: فهم اشتهروا بالصيرفة و العلم و العقاقير.

و كان لكل إقليم ما يميزه عن غيره.

ويجمع محمد عبد المنعم خفاجي أهم هذه العناصر في: [3]

*–العنصر العربي:وهو ما بقي من العنصر العباسي، و كانوا عماد النظام السياسي و الإداري للدولة وهم دعاة الترف و المجون و الحضارة.

*–العنصر التركي و العنصر الرومي:وكان من هذا العنصر ابن الرومي الشاعر(283/221هـــ)

*–العنصر الزنجي أو السود.

ولهذا المجتمع المتعدد العناصر المتكاثر الأجناس أثره في المجتمع و السياسة و الأدب ، فحدثت ردة فعل عنيفة تمثلت في انحياز العرب لعروبتهم بشكل صارخ مما أفرز ظاهرة الشعوبية و التي سنتكلم عنها في موضع لاحق.

1- محمد زغلول سلام: الأدب في العصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث. منشأة المعارف.الإسكندرية. مصر. (د.ت) . ط1. (د.ت). ص60.

2- الجاحظ: رسائل الجاحظ. ترجمة و تح. علي بوملحم. دار و مكتبة الهلال.بيروت. 2004. ط1. (د.ت).ص41وما بعدها

3- محمد عبد المنعم خفاجي: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول.مكتبة الكليات الأزهرية.مصر(.د.ت). ط1 . 1981 . ص9 . 10.

هذا و قد نشأت طبقة مولدة بدت و كأنها اللحمة التي وصلت بين العرب و غيرهم من أبناء الأجناس الأخرى،يقول أحمد أمين:"و نعني بالتوليد أن يتزاوج من أمة امرأة من أمة أخرى،فينشأ بينهما نسل يجري في عروقه دم الأمتيين،وقد امتاز العصر العباسي الأول بكثرة هذا الجيل م ن الناس، وكان هذا التوليد ظاهرة قوية،نتجت عن اختلاط الأجناس،ومن نظام الرق و الولاء الذي طبق عقب الفتح الإسلامي"[1].

ولقد ذكر صاحب العقد الفريد"أن أبا جعفر المنصور كان في بيته:أروى بنت المنصور الحميري أولدها المهدي و جعفرا الأكبر"[2].

كما كثرت الجواري في هذا العهد إذ كان الخلفاء العباسيون شغوفين بهن، فكان لكل منهم جيشا منهن،وكن في أبهى الكساء و الحلل،يتبارين في الثياب السندس و الإستبرق و يختلفن في الجواهر النفيسة متخذات منها تيجانا وأقراطا و خلاخيل و قلائد[3].

كما انتشرت تجارة الرقيق في المملكة الإسلامية في ذلك العهد،كما انتشرت في غيرها من الممالك،و يسمى تاجر الرقيق"نخاسا"و اشتهر كثير من النخاسين في بغداد و سبب شهرتهم ما لهم من جوار حسان يأوي إليهن الشعراء و الأدباء [4]، و كان ز منهم بالكرخ نخاس يكنى "أبا عمير" وكانت من جواريه"عبادة" هواها عبد الله محمد بن البواب فيقول[5]:

لو تشكى"أبو عمير" قليلا لأتيناه من طريق العيادة

فقضينا من العيادة حقا ونظرنا في مقلتي"عبادة"

كن مختلفات في الجمال و الجنس و اللغة،وهذا ما جعل قصور الخلفاء و الأمراء و الأغنياء مأوى لرقيق من أمم متعددة،فاتجهوا بهن إلى تعليمه ن الغناء،وهذا ما ساعد على ظهور تيار الله ـــو و المجون في الحانات،استمتع بها كل من الطبقتين على حد سواء.

1- أحمد أمين:ضحى الإسلام.ج1.ص9.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد. دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع. مصر.1996. ط1. (د.ت).ج3.ص298.

3- انظر مقالة للدكتور رضا العطار بعنوان مقتطفات من الحياة الأدبية و الاجتماعية في العصر العباسي، وهذا هو الموقع:http:www.babil-nt.org/b26x003xhim//

4- أحمد أمين:ضحى الإسلام،ج1،ص83.

5- الأغاني:ج20، ص44

2*-المحور الثاني:أهم الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي الأول:

لقد أدى الثراء الاقتصادي إلى بروز العديد من الظواهر الاجتماعية و الفكرية،حيث تشكلت تيارات داخلية تعصف بالبنيـــان الاجتماعي ومن ذلك:ظاهرة الشعوبية وثانيهما الخلاعة و المجون و ثلثهما الزهد و الحكمة و شظف الحياة.

1*-الشعوبية:كانت العناصر الفارسية أيام الحكم الأموي في الصفوف الخلفية للمجتمع العربي،وكان العرب آنذاك يطلقون عليهم اسم"الموالي"وكانوا في مترلة اجتماعية سيئة جدا،ويعاملون معاملة لا تتصل بالشارع البتة و بعيدة كل البعد عن روح الاسلام السمح،ناهيك عن الجانب الإنساني .فصار في نفس العربي اعتقاد عصبي أنه من الأمة الحاكمة التي عهد إليها حكم هؤلاء الأجانب ، ناسيا أن دينه قد سوى بينه و بين غيره من معتنقي الإسلام ، ومن هنا استأثر العرب تلك المناصب الهامة في الدولة.

كان نتيجة المعاملة اللاإنسانية من العرب إزاء الموالي أن امتلأت نفوسهم غيظا و سخطاو حقدا عليهم،لكن ما بيدهم حيلة و العرب في حال قوة سوى أن يكتموا هذا الشعور في أعماق أنفسهم،وكان لهم الدور الفعال أثناء ذلك في مشاركتهم مع الخرسانين في الانقلاب ضد دولة بني أمية،وتحقق بذلك ما كانوا يتمنونه.

إذ صار العصر العباسي يشهد حياة اجتماعية من لون جديد يختلف اختلافا واضحا كما كانت عليه الحياة في العصر الأموي،فظهرت طائفة من النزاعات الاجتماعية لم يكن للعصر الأموي عهد بها.أو – على الأقل- لم تكن ألوانها فيه صارخة كما كانت في العصر العباسي[1].

أصل الفكر الشعوبي:

الشعوبية كلمة مأخوذة من"الشعب"التي جمعها شعوب ، وإلى هذه الأخيرة تكون النسبة فيقال"شعوبي"و"شعوبية"و"الشعب"هو جيل الناس وهو أوسع من القبيلة وأشمل.قال الزبير بن بكار: "الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة. وعلى هذا فالـعرب شعــب، و الفرس شعب،و الروم شعب كذلك"[2].

1- يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع . القاهرة. (د.ت) .ط 1. 2000. ص15. 16.

2- أحمد أمين:ضحى الإسلام.ج1.ص55. 56.

وجاء في القاموس المحيط:"و الشعوبي بالضم محتقرا أمر العرب،وهم الشعوب" [1].وقال الزمخشري في أساس البلاغة:"وهم الذين يصغرون شأن العرب ولايرون لهم فضلا على غيرهم"[2].

ويبدو أنها مشتقة من الآية الكريمة [3]:{يا أيها الناس إنّ خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير}.وذلك لأن المسلمين من غير العرب دعوا إلى التسوية،وكانت هذه الآية من شعاراتهم،وكذا الحديث النبوي الشريف في خطبة حجة الوداع و المؤكدة على نبذ العصبية: "يا أيها الناس إنّ ربكم واحد و إنّ أباكم واحد،كلكم لآدم وآدم من تراب،أكرمكم عند الله أتقاكم،وليس لعربيّ على عجميّ إلاّ بالتقوى "[4].ثمّ توسّع العرب فأطلقوا لفظ الشعوبيّ على من يحتقر العرب و توسعوا بعد ذلك فأطلقوا على الزنديق و الملحد،معتبرين الزندقة و الإلحاد مظهرا ينم على كره العرب لأنه كره لديهم،ثم أطلق بعد ذلك على الموالي[5] .

كما يرى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري بأنه يراد بها:"مقاومة ما كان يلقاه الموالي من عصبيّة الدولة الأموية عليهم في أول الأمر ، ثم تطور أمرها فأصبحت فخرا بالأعجمية و عيبا على العرب و سبا لهم"[6].

وبعدما تقدم نقول بأن العصر العباسي كان عصر امتزاج كبير بين الأمة العربية و بين غيرها من الأمم الإسلامية،وكان من الطبيعيّ أن ينتسب هذا الامتزاج الكبير الذي حصل في ظهور مساوئ ضارة لا مفر منها،وقد كان من أضرار هذا الامتزاج قيام حركة معادية للعرب ،بدأت بشكل مفاخرة بين العرب من جهة و بين غير العرب من المسلمين من جهة أخرى.فكان غير العرب يفاخرون بأنهم كانوا شعوبا متحضرة راقية لها دول موحدة قوية،ولها تاريخ و حضارة.أما العرب فقاموا برد الفعل بالأساليب نفسها التي استغلها غيرهم من الفرس و العجم. وقد ذكر الجاحظ أنه

1- الفيروز أبادي: القاموس المحيط.المطبعة الخيرية.مصر.(د.ت).(د.ط).ج3.ص88.

2- الزمخشري: أساس البلاغة.دار صادر.بيروت.1965.(د.ط).ص330.

3- سورة الحجرات: الآية13.

4- ينظر في صحيح مسلم.شرح.النووي.المطبعة المصرية و مكتبتها.مصر.ج5.ص339.

5- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8MB9%D9%88%D8%

6- أحمد عبد الستار الجواري: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار فارس للنشر و التوزيع. الأردن. (د.ت).ط 1. 2006. ص.140

قال لعبيد الكلابيّ و كان فصيحا فقيرا:" أيسرّك أن تكون هجينا ولك ألف جريب؟قال:لا أحب اللؤم بشيء.قلت:فإنّ أمير المؤمنين ابن أمه.قال أخزى الله من أطاعه.

وقال شاعر عربيّ:

إِنَّ أَولاَدِي السَّراري كَثُرُوا يَا رَبِّ فِينَا

رَبِّ أَدخِلْنِي بِلادًا لا أَرَى فِيهَا هَجِينًا[1]

مظاهرها في الشعر:

اتخذت الحركة الشعوبية من الآداب وسيلة لزرع بذور العنصرية و الكراهية في نفوس أبناء أمتها تجاه العرب و الإسلام عامة ، وكان الشعر أحد أهم فروع الآداب ، كونه الأكثر التصاقا في عقول القراء و المستمعين و الأسهل حفظا في الذاكرة.

ولعل من أبرز الشعراء الذين أوقدوا نيران الشعوبية في هذا العصر:بشار بن برد و أبانواس؛ فالأول كانت شعوبيته صارخة ، لأنه كان زنديقا وعدوا للعرب و لدينهم الحنيف كما يرى شوقي[2].

و الثاني كانت نزعته واضحة من خلال شعره ،فهو يتهكم بقيم العرب و عاداتهم و تقاليدهم و بأساليبهم في إنشاد الشعر، كالوقوف على الأطلال و الدمن[3].

2.*حياة اللهو و المجون:

في حقيقة الأمر أننا لو تتبعنا نزعة اللهو لوجدناها بدأت مع مطالع القرن الثاني للهجرة،فلم يكد ينقضي القرن الأول،و تنقضي معه خلافة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين حتّى بدأت هذه الموجة في الظهور،فصار البلاط الأموي ينشر فيه من أسباب الخلاعة و التحلل،وما كان يتردد فيه من غناء و موسيقى.وكان ينثر فيه من ذهب و جوهر تحت أقدام المغنيات،وما كان يعتقد فيه من مجالس للشراب و المنادمة تراق فيها كؤوس الخمر كما تراق كؤوس الخلاعة و التهتّك،وكان

1- الهجين: هو العربي ابن الأمة لأنه معيب.أبو القاسم محمد كروا و عبد الله شريط:شخصيات أدبية من المشرق و المغرب.منشورات كتاب البعث و مكتبة النجاح.المطبعة العصرية.تونس.(د.ت).ط1. 1958. ص75.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول. دار المعارف. مصر. (د.ت). ط6. (د.ت).ص.75

3- مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول.ص.366

الشاطئ العراقي أشد الشواطئ الإسلامية تقبلا لهذه الموجة و استسلاما لها.فقد أخذت تزحف عليه بتياراتها الدافئة حتى بلغت درجة المد العالي مع ارتفاع الرايات السود فوقه[1].

وفي منتصف هذا القرن تحولت الخلافة و تحول معها كل شيء إلى بغداد.فهي العاصمة و الحاضرة، فكان لصيقا بها تيار اللهو و المجون جارفة معها شباب العراق وغير العراق.

ولعل أبرز العوامل التي ساعدت في ظهور مثل هذا التيار في المجتمع العباسي هو انتشار الجواري الأجنبيات و كذا القيان.ولقد ذكرنا ليس ببعيد في هذا المدخل كيف امتلأت قصور بغداد و غيرها بأعداد ضخمة منهن،كونهن مصدر الفتنة و الإغراء في نفوس الشباب.ومع الفتنة و الإغراء كان اللهو و المجون و الخلاعة.فظهر في البصرة بشار بن برد ، واتخذ من الغزل الحسي مذهبا له، ومضى يصيح في أرجاء البصرة بدعوة ساخرة إلى هذا الغزل ، و أقبلن على شعره الجواري و القيان يغنينه حتى أنّ الخليفة المهدي قد قد نهاه عن الغزل فيقول رادا عليه[2]:

قد عِشْتُ بَينَ الرَّيحَانِ و الرَّاحِ و المُزهِرِ في ظِلِّ مَجْلِسٍ حَسَنِ
وقد مَلأْتُ البِلادَ ما بَينَ فُغُورٍ إلى القَيرَوانِ فَاليَمنِ
شِعرًا تُصلِّي لهُ العَوَانِقُ و الثِّيَبُ صَلاةَ الغُوَاةِ لِلوَثَنِ
ثُمَّ نَهَانِي المهْدِيُّ فَانصَرَفْتْ نَفْسِي صَنِيعَ المَوقِفِ اللَّقِنِ
فالحَمدُ للهِ لا شَرِيكَ لهُ ليسَ بِبَاقٍ شَيءٍ على الزَّمَنِ

ومع هذا ظل في خبث يتغزل من طريق خفي.

كما ظهر في الكوفة بيوت القيان من أمثال:محمد بن الأشعث و إسماعيل بن عمار.وساعد على ذلك بصورة قوية،انتشار شرب الخمر في هذا العصر انتشارا واسعا في أرجاء العراق و بخاصة في المدن الكبرى،حيث تصنع و تباع و تقدم لروادها في الحانات،حتى باتت ظاهرة اجتماعية عامة،صار على ظلامها زمرة من الشعراء حيث ألفوا اللهو بينهم كلهم سكير: والبة بن الحباب،مطيع بن إياس،يحي بن زياد،الحسن بن الضحاك،الحمادون الثلاثة،أبو نواس،ويوسف بن الحجاج وغيرهم كثير،كلهم يصورون حياتهم الاجتماعية بل يصورون حياة مجتمعهم بكل ما يدور

1- يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد.دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع . القاهرة. (د.ت) .ط1. (د.ت).ص.36.

2- أحمد أمين: ضحى الإسلام.ج1.ص109. .110

فيه من لهو و مجون و استهتار في صراحة ودون خوف و بكل إباحية ودون رقيب فخالفوا بذلك الحياء ومبادئه.

3*-نزعة الزهد و التقشف:

وتأتي كرد فعل طبيعي نتيجة ظهور النزعتين السالفتين،حيث أنكرت طائفة هذه النزعة عليهم الحياة المادية المرتبطة بالأرض ارتباطا رخيصا فمضوا يقفون في وجه تياراتها، فاتجهوا إلى الزهد و التقشف،ومضوا يدعون الناس إلى عالم روحاني بعيد عن زخارف الدنيا و زينتها،وأن وراءها حياة باقية خالدة.

فكما كانت مدن العراق كبغداد و البصرة و الكوفة بيوت قيان، وانتشار اللهو و المجون و العبث ، كانت أيضا تغص بالوعاظ و النساك و الزهاد الذين كانوا يقدمون الحلقات في المساجد. ولعل أبرز هؤلاء الواعظين الشعراء الذين لمعوا في هذا العصر كأمثال:عبد الله بن مبارك(ت181هـ) ومحمد بن كنانة (ت207هـ) ومحمد الوراق (المتوفى حوالي230هـ) و هو القائل[1]:

يَا غَافِلاً تَرْنُو بِعَينِي رَاقِدًا وَ مُشَاهِدًا لِلأَمِرِ غَيرَ مُشَاهِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبُ إلى الذُّنوبِ و تَرتَجِي دَرْكَ الجِنَانِ بِها و فَوزُ العَابِدِ
ونَسِيتُ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدمًا منها وإلى الدُّنيا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

كما لا ننسى الشعراء المجان الذين ظلت أشعار الزهد تجري على ألسنتهم كأمثال:أبي نواس،أبي العتاهية،صالح عبد القدوس،عمرو العتابي،محمد بن حازم بن عمر،أبي جعفر الباهلي و مسلم بن الوليد وغيرهم[2].

ولا يخفى على الدارسين من تأثر تيار الزهد بتيارات خارجة عن الإسلام كالمانوية التي كانت تدعو إلى الزهد و التنسك و الرهبة.

إذا هذه هي النزعات الاجتماعية التي شهدها مجتمع القرن الثاني الهجري و بلغت ذروة ارتفاعها مع قيام الدولة العباسية:الشعوبية و اللهو و الزهد،وهي النزعات التي كان لها الأثر الأكبر في شعر هذا العصر.

1- يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد.ص29. .30

2- مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول.ص183.

و النقطة الجامعة بين هذه النزعات وما سبقها من طبقات و بنية المجتمع العباسي هو التعبير عن واقع لازم الفرد و الشاعر بصفة خاصة فكان شعره أداة للتعبير عن آهاته و آلامه في الكثير من الأحيان لاسيما إذا كان يعيــش حياة مليئة بالبـؤس و الشقاء.ولعل من أبرز شعراء هذه الفـئة و مثلهم بجدارة هو أبو الشمقمق.

المبحث الأول: التعريف به

1*-اسمه و نسبه:

هو مروان بن محمد،من موالي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية،وقد نشأ في البصرة بالبخارية،وهي،كما يقول ياقوت الحموي:"سكة فيها،أسكنها عبيد الله بن زياد أهل بخارى الذين نقلهم من بخارى إلى البصرة وبنا لهم هذه السكة فعرفت بهم "[1]، ومعنى ذلك أنه من أهل بخارى.قدم بغداد في أيام هارون الرشيد[2].

واللافت للنظر أن ابن خلكان يقول عنه: "الشاعر المشهور الكوفي"[3].وهذا يخالف الإجماع على أنه بصري.

2*-كنيته و لقبه:

يكنّى أبا محمد[4] ويلقب بأبي الشمقمق، و الشمقمق معناه الطويل الجسيم من الرجال و قيل الشمقمق هو النشيط [5].وذكر الزركلي و غيره أن أبا الشمقمق كان عظيم الأنف،أهرت الشدقين،منكر المنظر[6].

3*-نشأته و حياته:

يبدو أنه خرساني الأصل، نشأ في البصرة،وقضى قسما من حياته في بغداد حيث مركز الخلافة،وقد ورد عن أبي العجاج الشاعر قوله:"رأيت أبا دلامة شيخا كبيرا في أول خلافة هارون الرشيد يخضب،و أبا الشمقمق و أبا نواس و جماعة من الشعراء،وهم في منزلة أبي العتاهية بالكرخ في الجزارين"[7].

وهذا لا يعني إقامته الدائمة في بغداد،ربما كان يتردد إليها بين الحين و الحين و في مناسبات معينة،ثم يعود إلى البصرة،إلى داره و أهله،وقد أشار أبو الشمقمق إلى ذلك في شعره حيث يقول:

1- ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر. بيروت . (د.ت) . ط1. 1977. ج1. ص.345

2- المبرد: الكامل في اللغة و الأدب. إشراف و نشر مكتبة المعارف.بيروت.(د.ت).(د.ط) . ج2.ص.24

3- ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء الزمان . ج 6. ص.335

4- الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام. دار الكتب العربي. بيروت. (د.ت) . (د.ط). ج13. ص.146

5- ابن منظور: لسان العرب. دار صادر. بيروت. (د.ت).ط1 .1997.ج10.ص.186

6- خير الدين الزركلي: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت.(د.ت). ط5 .1980.ج7. ص209.

7- المبرد: الكامل في اللغة و الأدب.ج2.ص.23

أنا بالأهواز محزو ن و بالبصر داري
في بني سعد، وسعد حيث أهلي وقراري[1]

و يبدو أنه كان سيء الحظ،لازمه الفقر طيلة حياته و لم يفارقه حتى مماته و ذلك في حدود الثمانين ومائة هجرية[2].

4*-أخلاقه و طرائفه:

قال ابن عبد ربه:"وكان أبو الشمقمق متبرما بالناس،وقد لزم بيته في أتمار مسحوقة،وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج،فينظر من فروج الباب،فإن أعجبه الواقف فتح له وإلاّ سكت عنه.فأقبل إليه يوما بعض إخوانه الملطفين له،فدخل عليه،فلما رأ وا سوء حاله،قال له:أبشر أبا الشمقمق،فإنا روينا في بعض الحديث:أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة.فقال:إن صح و الله هذا الحديث كنت في ذلك اليوم بزازا،ثم أنشأ يقول مقطوعة منها:

أنا في حال تعالى الـ ـله ربي لأي حـال
ليس لي شيء إذا قيـ ـل لمن ذا قلت ذا لي
ولقد أفلست حـتى حلّ أكلي لعـيالي[3]

و هكذا نلاحظ كيف كان أبو الشمقمق متبرما بالناس فقد غلب عليه اليأس،فهو يعيش منطويا على حاله،و كأن السبب الرئيسي في ذلك هو ضيق حاله، فهو يصور حالة فقره تصويرا ربما لم يسبقه إليه أحد،وحالة فقره تلك تبدو و كأنها فريدة غريبة،فهل كانت حقيقة واقعة،أو هي من المغالاة،وربما لجأ الشاعر إلى ذلك لينسجم مع أوضاعه النفسية المرحة.

ومن طرائف أبي الشمقمق أيضا ما ذكره ابن المعتز في طبقاته حيث قال:"ماتت ابنة عمّ المنصور،فحضر المنصور دفنها فلما صار على شفير القبر إذا هو بأبي الشمقمق.فقال له:ما أعددت لهذا الموضع؟

-قال: ابنة عمّ أمير المؤمنين.

1- الجاحظ: كتاب الحيوان. تح. عبد السلام هارون. منشورات المجمع العلمي الإسلامي . بيروت.(د.ت) . (د.ط).ج 3. ص.536

2- ابن المعتز: طبقات الشعراء. تح.عبد الستار أحمد فراج . دار المعارف. مصر.(د.ت). ط2 . 1988. ص.129

3- أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. تح . أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر. القاهرة. (د.ت).ط3 . 1965. ج6. ص215.

فضحك المنصور في ذلك الموضع،على أنه قليل الهزل"[1].

وهكذا نلاحظ سرعة البديهة عند أبي الشمقمق مما يدل على ذكاء حاد،فهو لم يرهبه الموت و أجواء الحزن المخيمة و لا هيبة أمير المؤمنين ووقاره،و إنما انطلق على سجيته منسجما مع طبيعته التي تميل إلى الهزل أكثر من ميلها إلى الجد،حتى و لو كان الموقف موقف جدّ.

وتذكر بعض المراجع الأدبية أنّ أعرابيّا مر بأبي الشمقمق فقال له:يا أعرابي.

قال:ما تشاء؟

قال:أتقول بعض الشعر؟

قال:بعضه.

قال:خذ هذا الدرهم واه جني.

قال:فأطرق الأعرابي هنيهة ثم قال:ما رأيت أحدا يشتري الهجو بالثمن غيرك.

قال:وما أخذ؟

فأنشأ الأعرابي يقول شعرا موجها إلى أبي الشمقمق وفيه من البذاءة الشيء الكثير.

فقال أبو الشمقمق:أعوذ بالله من الشقاء،ما كان أغناني عن هذه التجار[2].

5*-علاقته مع شعراء عصره:

في العصر الذي عاش فيه أبو الشمق ـــمق،كانت دار الخ ـــلافة مقصـــدا للشعراء من كل حدب و صوب،لما كانت تغدقه عليهم من الأموال و الهبات و العطايا.

وإذا لم يحقق أحد الشعراء حلمه عند الخليفة،فإنه يلجأ إلى أبواب الأمراء و العمال و غيرهم من أهل المال و الكرم.

ويبدو أن الإخفاق كان ملازما لأبي الشمقمق،وكانت حظوته من الأغنياء و الحكام نادرة إن لم نقل معدومة،وهذا الحال يختلف عن أحوال بقية الشعراء،لذلك كان يحسدهم و يستقصي أخبارهم حتى إذا ما حصل أحدهم على جائزة،قصده أبو الشمقمق عسى أن يتمكن من نيل شيء ولو كان يسيرا جدا،فربما أعطاه أحدهم اتقاء لشره و منعا لهجوه لأنه سليط اللسان،وهكذا كانت علاقة أبي الشمقمق مع غيره من شعراء عصره،بصورة عامة،علاقة سيئة،وهذه بعض الأمثلة:

أ-علاقته مع بشار بن برد:

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص.126

2- المصدر نفسه: ص.125

كان يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم،أتاه أبو الشمقم ق في بعض تلك السنين فقال له:

هلمّ الجزية يا أبا معاذ.

فقال:ويحك، أجزية هي؟

قال:هو ما تسمع.

فقال له بشار يمازحه:أنت أفصح مني؟

قال:لا.

قال:فأعلم مني بمثالب الناس؟

قال:لا.

قال:فأشعر مني؟

قال:لا.

قال:فلم أعطيك؟

قال:لئلا أهجوك.

فقال له:إن هجوتني هجوتك.

فقال له أبو الشمقمق:هكذا هو؟

قال:نعم،فقل ما بدا لك.

فقال الشمقمق:

إني إذا ما شاعر هجانيه ولجّ له في القول لسانيه

أدخلته في آست أمه علانيه بشار يا بشار.....

وأراد أن يقول:يا بن الزانية.فوثب بشار فأمسك فاه ، وقال:أراد و الله أن يشتمني.ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له:لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق[1].

و أمر عقبة بن سلم،بشار بعشرة آلاف درهم،فأخبر أبو الشمقمق بذلك،فوافى بشارا فقال له: يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هلّلي ـنه هلّلي ـنه طعن قـ ـثاة لتي ـنه

إنّ بشار بن برد تيس أعمى في سفينه

1- الأصفهاني: الأغاني.ج3.ص.194

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال له بشار:

خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق.[1]

وذكر الأصفهاني أيضا قال:

"جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الفقر وسوء الحال،و يحلف له أنه ما عنده شيء،فقال له بشار:و الله ما عندي شيء يغنيك و لكن قم معي إلى عقبة بن سلم،فقام معه،فذكر له أبا الشمقمق و قال:

هو شاعر وله شكر و ثناء،فأمر له بخمسمائة درهم.

فقال له بشار:

يا واحد العرب الذي أمسى و ليس له نظير

لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفي درهم،فقال أبو الشمقمق:نفعتنا و نفعناك يا أبا معاذ،فجعل بشار يضحك[2].

وهنا نلاحظ العواطف الإنسانية كيف حركت مشاعر بشار بن برد،و دفعته لتجاوز الخلافات الشخصية بينه و بين أبي الشمقمق،و للتوسط له عند عقبة بن سلم الذي تربطه به علاقة مودة وهو من أهل الجود و الكرم،هذا بعد أن أقسم له والألم يحز في نفسه،و الحسرة تسيطر عليه قائلا:"و الهك ما عندي شيء يغنيك".

و حينما كان بشار يعرض حال أبي الشمقمق على عقبة قال له:"هو شاعر".فهل معنى ذلك،أن عقبة لم يسمع به سابقا ولا يعرف شيئا عن شاعريته؟.

وإذا كان الأمر كذلك،فهل يمكننا القول:إنّ أبا الشمقمق كان في الدرجة الدنيا بين الشعراء المغمورين؟أو إنه كان في بداية محاولاته مع الشعر؟

ب–علاقته مع سلم الخاسر:

قال الأصفهاني:" طالب أبو الشمقمق سلما بأن يهب له شيئا،وقد خرجت لسلم جائزة،فلم يفعل،فقال أبو الشمقمق شعرا يهجو فيه أمّ سلم بألفاظ بذيئة مقذعة و مطلعه:

يا أم سلم هداك الله زورينا

قال:فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير.وقال:

1- المصدر السابق: ج3. ص195.

2- المصدر السابق: ج3. ص178.

أحب أن تعفيني من استزارتك أمي و تأخذ هذه الدنانير فتنفقها"[1].

وقال أيضا في مكان آخر:

إن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه،فقال له:اسمع إذا ماقلته.وأنشده مقطوعة يهجوه فيها بكلام أيضا مقذع.فضحك سلم ، وأعطاه خمسة دنانير و قال له:أحب-جعلت فداءك- أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا[2].

وهكذا نلاحظ أن علاقة أبي الشمقمق مع الشاعر سلم الخاسر كـــانت مبنية على أساس الهجاء و الثواب،هجاء مقذع من أبي الشمقمق،و السعر محدود عند سلم الخاسر:خمسة دنانير.

ج-علاقته مع أبي العتاهية:

اعترض أبو الشمقمق على أبي العتاهية لملازمته المخنثين بقوله له:"أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك و شعرك و قدرك؟

فقال له أبو العتاهية:

أريد أن أتعلم كيادهم،و أحفظ كلامهم"[3].

واجتمع أبو نواس و أبو الشمقمق في بيت ابن أذين،و كان بين أبي العتاهية وبين أبي الشمقمق شرّ،فأخفوا أبا الشمقمق عن أبي العتاهية الذي دخل فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث،فظن أنه جارية،فقال لابن أذين:متى استطرفت هذه الجارية؟

فقال:قريبا يا أبا إسحاق.فقال:قل فيها ما حضر.فمد أبو العتاهية يده إليه و قال:

مددت كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل؟

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نرد في كفك ذا فيشة يشفي جوي في استك من الداخل

فقال أبو العتاهية:شمقمق و الله.وقام مغاضبا"[4].

و هكذا نلاحظ أن العلاقة بين أبي الشمقمق و أبي العتاهية كانت سيئة للغاية و لم يكونا على وفاق حتى أن أحدهما يرفض أن يقيم في مجلس واحد يضمهما.

1- المصدر السابق: ج19. ص.276

2- المصدر السابق: ج19. ص.283

3- المصدر السابق: ج4. ص7.

4- المصدر السابق: ج4. ص.87

د–علاقته مع مروان بن أبي حفصة:

فرّق المهدي على الشعراء جوائز،فأعطى مروان ثلاثين ألفا،فجاءه أبو الشمقمق فقال له: أجزني من الجائزة، فقال له: أنا و أنت نأخذ ولا نعطي.

قال:فاسمع مني بيتين.قال:هات.

قال أبو الشمقمق:

لحية مروان تقي عنبرا خالط مسكا خالصا أذفرا

فما يقيمان بها ساعة إلاّ يعودان جميعا خرا

فأمر له بدرهمين، وقيل عشرة دراهم[1].

ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبي حفصة،فقال له:"

أبا الشمقمق أنت شاعر و أنا شاعر،و غايتنا كلنا السؤال[2]

وهكذا نلاحظ أنّ أبا الشمقمق لم يكن على وفاق مع مروان بن أبي حفصة الذي كان يصده بأهون الأسباب:يعطيه درهمين من جائزة قيمتها ثلاثين ألف درهم.

و في المرة الثانية حينما مدح أبو الشمقمق،مروان يبدو أنه كان يأمل أن يعطيه شيئا،فكانت النتيجة كلام بكلام.

و الآن بعد أن عرضنا لنماذج مختلفة عن علاقة أبي الشمقمق مع شعراء عصره يمكننا القول إنها سيئة على العموم،وكأنه عالة عليهم،يدفعون له الجزية اتقاء شره ومخافة لهجائه المقذع.

و لماذا ينتظر هو،و يقتنص المناسبات لالتقاط فتات موائدهم؟و لماذا هذا الإقذاع و تلك البذاءة من شعره؟هل سبب كل ذلك سوء الطالع و الفقر الذي كان يلازمه؟وهل هذا هو السبب الأساسي في الحدّ من شاعرية أبي الشمقمق؟

يبدو أن الفقر لعب دوره مما أضعف ثقته في نفسه فأصبح يحقد على الناس جميعا،و أصبح يحسد غيره من الشعراء،فهو يهرب من المجتمع و يعيش منكفئا على نفسه في بيته،و يتطفل على الشعراء و يرضى باليسير منهم.

شاعر هذا شأنه، ليس غريبا أن يكون شعره ضعيفا في بعض الأحيان.

1-المصدر السابق: ج10.ص79.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد.ج3. ص40.

أما إذا ابتسم له الزمن،وصفا له الجو فإن شاعريته تشتد، وهنا نرى كما رأى المبرد حيث يقول:"كان أبو الشمقمق ربما لحن و يهزل كثيرا و يجدّ فيكثر صوابه "[1].

6*- مكانته الشعرية:

اختلف النقاد و علماء الأدب في تقدير شعر أبي الشمقمق،لأنه يجمع بين الجيّد و الرديء.كما قال ابن المبرد.

وقال ابن المعتز:"وشعر أبي الشمقمق نوادر كله"[2].

و قال المرزباني:"إن شعر أبي الشمقمق فيه هجاء كثير...و ألفاظه أكثرها ضعيف و ربما ندر له البيت"[3].

و ذكر الجاحظ:"قيل لابن داحة – و أخرج كتـاب أبي الشمقمق- وإذا هو في جلود كوفيّة، و دفتين طائفيتين،بخط عجيب،فقيل له:أضيع من تجوّد بشعر أبي الشمقمق.فقال:لا جرم و الله، إن العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه، و لو استطعت أن اودعه سويداء قلبي،أو أجعله محفوظا على ناظري لفعلت."[4]

أما صاحب العقد الفريد فإنه يقول:"وكان أبو الشمقمق شاعرا أديبا ظريفا محاربا صعلوكا متبرما"[5].

و من الواضح أن أبا الشمقمق كان شاعرا عظيم الموهبة جنى عليه الإخف ـــاق المستمر في حياته،و إن كان في شعره عدد من الأبيات سخيفا بذيئا.

7*- المميزات الطاغية على شعره:

أبو الشمقمق من أعظم الشعراء تعبيرا عن الفقر و تصويرا للجماعات الدنيا،و خروجا عن التقاليد الشعرية التي كانت باسطة سلطانها في عصره،من حيث المعنى و الأسلوب.

وكان قبيح الشكل،سيء الحظ ،ظريفا حينا،متبرما من الناس أحيانا،فجاء شعره صورة صادقة من هذا الخلق،ومن إحساسه بالفقر.فقد وصف مظاهر فقره وصفا رائعا،منه الساخر و منه الحزين.

1- المبرد: الكامل في اللغة و الأدب.ج2. ص.24

2- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص129.

3- المرزباني: معجم الشعراء.ص.397

4- الجاحظ: كتاب الحيوان.ج1. ص61.

5- ابن عبد ربه: العقد الفريد.ج3. ص35.

وصف بيته و خلوه من الفئران لعدم وجود أي شيء تقتات به و لذلك جاء يواسي سنّوره مواساة ظريفة،وذكر البراغيث في شعره و الذباب و نحوه.

وكان كثير الهجاء للأمراء و الشعراء و غيرهم بلسان سليط لا يردعه رادع ديني أو أخلاقيّ فهو لا يرعوي عن ذكر أكثر الألفاظ بذاءة.

و الميزة الواضحة التي يمتاز بها شعر أبي الشمقمق هي شعبيته،تلك الشعبية التي كانت تدفع بشار بن برد و أمثاله إلى دفع الجزية إليه،اتقاء لشره و مخافة من هجائه.

المبحث الثاني: الأغراض الشعرية

طرق الشاعر في أشعاره أغراضا شعرية محددة في المدونة و ما جمع من شعره و هي كالآتي: الهجاء، الوصف، وبعض المدح، و الشكوى و العتاب. فجرى في ذلك مجرى الأوائل، ولكن هذه الأغراض لم تكن متساوية في عدد الأبيات ، إذ حظي شعر الهجاء بالمرتبة الأولى و يليه شعر الوصف و الذي تعددت معانيه.

وتجدر الإشارة إلى أن أشعار أبي الشمقمق عبارة عن مقطوعات شعرية في أغلبها،ذلك أنه ليس من الناظمين الذين ينقحون أشعارهم حتى تقبل عند مستمعيها بل جعل من شعره سببا في التكسب على تكسب بعض الشعراء كأمثال بشار بن برد و قد سبق ذكره في غير هذا الموضع.

إذا فشعره نابع عن الدفقة الشعرية التي يحس بها فيطلقه متى احتاج إليه خاصة و أن احتياجاته نابعة إما عن فقره و سوء حالته أو عن سخطه.

إن التنوع في الأغراض الشعرية فرض تنوعا في المعاني الشعرية التي تناولها من خلال أغراضه الشعرية،فتأرجحت هذه المعاني بين تياري المحافظة و التجديد،إذا إنه حافظ في ذلك على القوالب الشعرية القديمة . و سنبدأ بأهم أغراضه الشعرية:

1-الهجاء:

عرف الهجاء منذ العصر الجاهلي، غرضا شعريا مستقلا، تنوعت معانيه و تطورت حسب طبيعة الحياة.فمن شعرائه في العصر الجاهلي:النابغة الذبياني عندما هجا عامر بن طفيل[1]:

فإن بك عامر قد قال جهرا فإن مطية الجهل الشـــباب

فلا يذهب بليلك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب

ركز الجاهليون فيه على الطيش و الخفة و الجبن و البخل و خيانة الجار و التهديد. و وصل الأمر إلى تهاجي الشعراء فيما بينهم كما حصل عندما هجا عبيد بن الأبرص امرؤ القيس.

وما إن جاء الإسلام حتى عدّ الهجاء من الأمور التي يجب الإبتعاد عنها تم اشيا مع الدعوة الإسلامية الجديدة،و لكن الهجاء اتخذ صورة أشد ما تكون في بني أمية على شكل نقائض بين الشعراء،لاشتعال العصبيـــة القبلية في عصر بني أميـــة،كما عرف عن مهاجاة أو مناقضة بن جرير و الفرزدق.

1- زهير أحمد محمد منصور: أبو الشيص الخزاعي حياته و شعره. جدارا للكتاب العالمي.عمان.(د.ت). ط1 . 2008. ص.138

أما في القرن الثاني الهجري، فكان الهجاء على شكل مقطوعات شعرية بسيطة وقد جدّ في هذا العصر كنحو ما نجده من هجاء بالشعوبية و السخرية و الزندقة و غيرهم كثير.

أما بالنسبة لأبي الشمقمق فقد اهتم و اعتنى بالهجاء كثيرا،فقد عرف بلسانه اللاذع الذي جعل الأعداء حول الشاعر كثيرين وقلّ انشغاله بالأغراض الشعرية الأخرى،كالخمريات،والغزل،فهجاؤه كان مقذعا وأحيانا فاحشا،لا يتخذ شكل العتاب و اللؤم إلاّ ما ندر،كما ركّز فيه على وصف مهجوه.بل لعل شاعرا لم يبلغ من إقذاعه ما بلغه على حدّ تعبير شوقي ضيف[1].

وبناء على ذكره لأسماء مه ـــجويه يمكن تقسيم المه ـــجويين إلى فئات ثلاث:الفئة الأولى الأمراء،و الفئة الثانية أقرانه من الشعراء،و الفئة الثالثة عامة الناس.

1 – الأمراء و الولاة:

لم يسلم الأمراء و الملوك من هجائه،فعليهم يسخط و صفاتهم يصور ، خاصة و أنه لم يجد من يفتح له الباب،فهاهو يهجو داود بن بكر و كان ولي الأهواز ،مشبها رائحة فمه النتنة برائحة فم الليث و هو أنتن السباع فما ، وكذا رائحة فم الصقر التي هي أنتن الطير فما أيضا،و مشبها لحيته كلحية تيس،و أنفه كمنقار النسر:[2]

و له لحية تيس و له منقار نســـــر
و له نكهة ليث خالطت نكهة صقر

كما هجا منصور بن زياد كاتب الرشيد،لما سأله أن يبره،وكان ضيقا بخيلا ، فوهب له عشرة دراهم،وبلغ الخبر محمد بن منصور،فأرسل إليه محمد بمائة درهم،و أمره بالعودة إليه ليسيره فأخذها

و هو يقول:[3]

لولا ابن منصور و أفضاله سلحت في لحية منصور

فبلغ ذلك محمدا فقال:إنما خفنا هذا، وما أفلتنا منه.

1- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول . ص.38.

2-الديوان: جمعه و حققه و شرحه.الدكتور واضح محمد الصمد.دار الكتب العلمية.بيروت.(د.ت).ط1. 1995.ص44.

3-المرجع نفسه: ص44.

غير أن صحبة الشاعر بهذا الأخير – محمد بن منصور – لم تطل كثيرا،لذلك نجده يهجوه واصفا إياه بالبخل حتى صار الخبز في وطنه فاكهة يشتهي الإنسان أكلها :[1]

ما كنت أحسب الخبز فاكـــهة حتى نزلت على أرض بن منصور

يبس اليدين فما يستطيع بسطهما كأن يديه سدا بالمسامـــــــير

كما هجا جميل بن محفوظ إلى أرجان، فيلقاه لقاء سيئا فيتولاه بهجاء مرير وذلك عندما ساءت حالته في بغداد،و أراد الانتقال إلى الأهواز،يرغب الرغد و العيش الهنيء،فوصفه بالهوان و البـخل و الجبن قائلا:[2]

و جميل الفسيل أعني ابن محفو ظ عدوّ الندى و سلم المخازي

ألفت إسته الفياشل حتى ما تشكى للطعن بالعـــــكاز

ليث غاب بدبره حين يلقى و جبان في الحرب يوم البـدراز

ذاك شخص به عليّ هوان كهوان الخصى على الخـــــباز

كما وصفه بالزندقة بل إنه يزعم أن الله قد أذن بقتله قائلا:[3]

و قد زعموا أنه كافر و أن التزندق من شكله

كأني به قد دعاه الإمام و آذن ربك في قتـــله

ها هو ذا أيضا يهجو سعيد بن سلم هجاء عنيفا لشحه الذي حتى و لو كان يملك البحار جميعها فإنه لن يعطي منها قطرة واحدة، وفي ذلك يقول:[4]

هيهات هيهات تضرب في حديد بارد إن كنت تطمع في نوال سعيد

و الله لو ملك البـحار بأسـرها و أتاه سلم في زمان مـدود

يبغيه منـــها شربة لطـــــــهوره لأبى و قال تيممن بصـــعيد

و في موضع آخر يصف بخله قائلا:[5]

و أحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعـيدا

1-الديوان: ص44.

2- المرجع نفسه: ص62.

3- المرجع نفسه: ص83.

4- المرجع نفسه: ص40

5-المرجع نفسه: ص39.

إذا سيل عرفا كسا وجهه ثيابا من اللؤم صفرا و سودا

2 – نظراؤه من الشعراء:

لقد عرف بشار بن برد بفحش لسانه و خبثه كان يخشاه خشية شديدة ، حتى ليعطيه في كل سنة مائتي درهم رجاء أن يكف عنه لسانه.روى الحسن بن سعيد الجهيني قال:حدثني أبو الشمقمق قال:أتيت بشارا وقد أخذ صلة بشعر عمله فسألته مواساتي بشيء،فقال لي:عافاك الله تسألني و مالي صنعة و لا مكسب سوى الشعر، و أنت شاعر مثلي تتكسب بالشعر؟

فقلت:صدقت،ولكني مررت الساعة بصبيان يقولون[1]:

سبع جوزات و تينه فتحوا باب المديـنه

بشـار بن بـــرد تيس أعمى في المدينه

فسكت ساعة ثم قال:يا جارية هاتي مائة درهم الشمقمق،ثم قال:خذها يا أبا محمد و لا تكن راوية للصبيان.قال:فأخذتها و خرجت فألقيتها على الصبيان.

فقول بشار بن برد يدل على أن شعر أبي الشمقمق متداول بين أفراد الشعب العباسي،وهذا برهان قاطع على أن شعره كان يتربع على عرشهم.

كما نجده في بيت من الشعر يسخر من بخيل حرمه عطاياه ، فصوره تصويرا يدفع إلى الضحك و التعجب، حيث يداه–من شدة البخل و الشح – مقفلتان بقفل البخل إلى حد أن الحداد عجز عن فتحه:[2]

إنّ رياح اللؤم من شحه لا يطمع الخنزير في سلحه

كفاه قفل ضاع مفتاحه قد يئس الحداد من فتحه

وكثيرة هي المواقف التي عاشها مع سلم الخاسر و مروان بن أبي حفصة سبق ذكرها في غير هذا الموضع.

3 – عامة الناس:

كانت علاقاته مع عامة الناس ليست ببعيدة عن علاقاته الرسمية،وهذا ما يؤكد الجانب النفسي المنهزم في حياته،ثقة تكاد منعدمة تنطلق من نفسه لتصل إلى من حوله،فلو نظرنا مثلا قوله في بعض الثقلاء:[1]

1- الأصفهاني:الأغاني.ج3.ص47.

2-الديوان: ص36.

أسمج الناس جميعا كلهم كذباب ساقط في مرقه

فالشاعر حتى في هجائه يستقي ألفاظه من ألفاظ العامة و التي تجعلها سهلة تدور على ألسنة الغلمان و الصبيان.

كما نجده يعبّر عن سخطه إزاء بخل بعض الناس الذين صدقوا في بخلهم و كذبوا في كلامهم ، فهم في هاتين الصفتين بارزون في جودهم و كرمهم ليسوا بأساتذة ولا قدوة:[2]

الصدق في أفواههم علقم و الإفك مثل العسل الماذي

وكلهم في بخلهم صادق و في الندى ليس بأستاذ

كما نجد أبا الشمقمق لا يتوانى من استعمال بعض أسماء الحيوانات في هجائه و التي ذكرها الجاحظ في كتاب الحيوان.وعلى هذه الشاكلة نراه محذرا القوم من قدوم ذو ي الرائحة الكريهة،وبدأ يسرد نسب مهجوه فهو ابن عمّ الحمار و خال الجاموس و البقر،أما شكله فهو كفيل و مشيته بطيئة تشبه مشي الخنزير.إذا فهو من فصيلة الحيوانات شكلا و نسبا، قائلا :[3]

الطريق الطريق جاءكم الأحـ ـمق رأس الأنتان و القذره

وابن عم الحمار في صورة الفـ ـيل و خال الجاموس و البقره

يمشي رويدا يريد حلقتـ ـكم كمشي خنزيرة إلى عـ ـذره

بل تجاوز هجاؤه ليصل إلى الحجّاج وهم زوار بيت الله الذين يحترمهم العامة و الخاصة،ساخرا منهم و واصفا المال الذي حجوا به بالدنس لحرمة كسبه،فلا يظن أولئك أنهم أدوا فريضة الحج لأنه سواء في حجهم كالعير التي أخذوها معهم في سفرهم فلن يقبل الله منهم كونهم أصحاب مال خبيث،قائلا:[4]

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت و لكن حجّت العير

لا يقبل الله إلاّ كـل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

1-المرجع السابق: ص74.

2- المرجع السابق: ص42.

3- المرجع السابق: ص50

4- المرجع السابق: ص56.

فكلما قرأت شعرا في الهجاء لأبي الشمقمق تقول إنه من أبشع الهجاء و أخبثه،فإذا بهجائه كله من ألعن الهجاء و أفحشه.وهذه قصيدة على هذا النحو يهجو فيها رجلا يقال له "سران أو شران" وقد جاء فيها:[1]

ألا قولا لسران المخازي ووجه الكلب و التيس الضروط

له بطن يضل الفيل فـيه و دبر مثل راقود النـــشوط

و أيك.....عازم لا خير فيه كدور سفيـــنة في بثق روط

إذا نهض الكرام إلى المعالي ترى سران يسفـل في هبوط

هذا هو أبو الشمقمق الذي مضى بلسانه يلدغ جميع فئات المجتمع ، صـغيرها و كبيرها عاليها و دانيها،لا يراعي في ذلك لا دين ولا خلق،بل الميزان في هجاءه المجون و الكلام اللاذع الذي يطفئ نار غيضه الذي لازمت حياته.

2 – الوصف:

يعد الوصف من الأغراض الشعرية القديمة،فلطالما وصف الشعراء كل ما نال إعجابهم من مظاهر الحياة التي يعيشونها،باختلاف بيئاتها.فالشاعر الجاهلي تختلف بيئته عن الشاعر في العصر الأموي و على الخصوص في العصر العباسي،ذلك أنه عاش بين أحضان الصحراء و بيئة مترامية الأطراف ،وصف رحلته فيها و ترحاله و كذا الحيوانات و مظاهر الليل و النهار و مادته في تصوير تلك المظاهر الطبيعية لحياته.

غير أن الوصف تطور و تغيرت آلياته و مادته تبعا لتغير مظاهر الحياة و محطتها،فبعد أن كان يأتي في ثنايا القصيدة مع الشعر الجاهلي الذي و صل إلينا،أصبح فنا مستقلا بذاته في العصر العباسي،مسايرا بذلك التطور الذي حدث في مجتمع و حياة ذلك العصر،فركز شعراؤه في أوصافهم على أمور مادية كوصفهم للقصور و المدن العظيمة و الأنهار و البحور إلى غير ذلك،مما حظي به الشاعر العباسي دونه من الشعراء في العصور التي سبقته.

أما ما يتعلق بالوصف عند أبي الشمقمق ، فكانت مادته الشعرية من الطبيعة التي عاشها،وذكر معاني جديدة استنبطها من واقع المجتمع العباسي.

شاعر عاش حياة عوز و حرمان فهو من الشعراء الذين لازمهم همّ الدهر و فقره سنين طوال رغم كل محاولاته في الشعر وراء رزقه من مكان إلى مكان لكن ذلك لم يجد.

1- المرجع السابق: ص67.

ومن الشعر الذي يصور فيه بؤسه قوله وهو يصف كيف أن مترله الفضاء،فهو يعيش في العراء ، فلا سقف له و إنما سقفه سماء الله أو قطع السحاب،و الزائر لأبي الشمقمق لا يدق الباب و ينتظر من يفتح له بل يستطيع أن يدخل و يسلم عليه دون أن يدقه ، ذلك أنه ليس لديه باب.وفي ذلك يقول:[1]

برزت من المنازل و القباب فلم يعسر على أحد حـــــجابي
فمترلي الفضاء و سقف بيتي سماء الله أو قطع الســـــــحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي علي مسلـــــــما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب يكون من السحاب إلى السراب

و رغم ذلك يقر بأنه مرتاح البال و راض بما قد أعطاه الدهر لأنه قد دأب و اعتاد على ذلك.فلم يعد يقلقه الأمر كثيرا و في ذلك يقول:[2]

و في ذا راحة و فراغ بال فدأب الدهر ذا أبدا و دابي

كما نراه في موطن آخر يصف بيته الخالي من الأثاث و القوت ، وكيف أنه لا يملك من الأردية إلا القليل البالي كالحصيرة التي يفترشها في صحن بيته أو يكسو بها سريره:[3]

لو قد رأيت سريري كنت ترحمني الله يعلم ما لي فيه تلـــــــبيس
والله يعلم ما لي فيه شابـــــــكة إلا الحصيرة و الأطمار و الديس

فالملاحظ أن الشاعر يريد أن يصور حالته حتى تحدث صدى و تأثيرا في نفوس سامعيه،ورغم مبالغته في تصويره ذلك أنه مرة يبيت في العراء و تارة أخرى لديه بيت رغم أنه انعدمت فيه أبسط مظاهر الحياة و العيش . كنحو الطعام و ما يخزن و يحفظ فيه كالطحين و الماء فلا الفأر و لا الذباب و لا الهر يريدون العيش معه،فلقد ارتحلوا بعدما اشتدت عليهم وطأة الجوع لافتقار بيته من اللوازم الأساسية و الضرورية،و في ذلك يقول:[4]

ولقد قلت حين أقفر بيـــتي من جراب الدقيق و الفخاره
فأرى الفأر قد تجنبن بيـــتي عائدات منه بدار الأمـــــاره

1- المرجع السابق: ص27.

2-المرجع السابق: ص28.

3-المرجع السابق: ص64.

4- المرجع السابق: ص53-55.

و دعا بالرحيل ذباب بيـــتي بين مقصوصة إلى طـــــياره

و أقام السنور في البيت حولا ما يرى في جوانب البيت فاره

كما اشتكى من البرد القارص الذي هب على بيته المقفر، فجعله يدخل و يتوارى في حجرة شبيهة بحجرة أنثى الثعلب.وهو ينوه بأن الجرذان و الذباب و السنانير قد هربت من بيته لأنها لم تجد فيه ما تأكله،فراقا إلى غير مآب.و ذلك من خلال الحوار الذي حصل بينه و بين سنوره:[1]

و لقد قلت حين أحجرني البر د كما تحجر الكلاب ثعالـه

في بيت من الغضارة قفـــــر ليس فيه إلا النوى و النخالـه

عطلته الجرذان من قلة الخـــير و طار الذباب نحو زبالـــــه

هاربات منه إلى كل خـــصب جيدة يرتجين منه بلالـــــــه

و أقام السنور فيه بـــــــشر يسأل الله ذا العلا و الجلالـه

أن يرى فأرة فلم ير شـــــيئا ناكسا رأسه لطول الملالـــــه

قلت لما رأيته نالـــــــس الرأ س كئيبا يمشي على شر حاله

قلت صبرا يا نازا رأس السنا نير و عللته بحسن مقالـــــــه

قال لا صبر لي و كيف مقامي في قفار كمثل بيد تبالـــــــه

هذه الأبيات صور فيها أبو الشمقمق حالة فقره بأسلوب ساخر وهذا الذي عهدناه عنده،و إذا ما أراد أن يصوره بطريقة أكثر حزنا و بؤسا نجده يمس قلوب الشعب و يثير فيهم الشفقة، و هذا على نحو ما يصوره عندما أفقره الدهر هو و أبنائه ، فبعد أن كانت لهم عترة، أودى بها الزمان فلم يجدوا ما يأكلوه و لا يشربوه ، وصار يسأل الخبز لهم في شهر الصيام و قد دنا عيد الفطر،فحصولهم على التمر و الأرز يوم الفطر أمر عسير، فما بالك بالخبز و اللحم و هو خير شيء يسعى إليه الناس في هذه الدنيا.ذلك أنه مأمنة لهم من الموت،بل إن من شدة جوع أبنائه لو رأوا الخبز على مرتفع لسارعوا في عدوهم السريع نحوه.و في ذلك يقول:[2]

ما جمع الناس لدنياهم أنفع في البيت من الخبز

و الخبز باللحم إذا نلته فأنت في أمن من الترز

و القلز من بعد على أثره فأنت في أمن من القلز

1- المرجع السابق: ص84-87.

2-المرجع السابق: ص59.60.

و قد دنا الفطر و صبياننا ليسوا بذي تمر و لا أرز
و ذاك أن الدهر عاداهم عداوة الشاهين للـوز
كانت لهم عتر فأودي بها و أجدبوا من لبن العتر
فلو رأوا خبزا على شاهق لأسرعوا للخبز بالجـمز

و الملاحظ في حقيقة الأمر أن أبا الشمقمق لما صور لنا حالة بؤسه و أبنائه فهو بذلك لم يعبر عن ذاته فقط بل يصف الفئـات المحرومة و الكادحـة من عامة الشعب و ما تعانيه مـن الفقر و الحرمان و الجوع و البؤس هم و أبناؤهم،و كيف لا و هو شاعرهم و الذي يحمل في لسانه قضاياهم لأنه فرد و جزء من هذه الجماعة، فلا مفر من أن يذود عن حالهم و يشكيها لأنها هي ذاتها حالته.

و كما عرفنـا فإن الشاعر كثير السفـر و الترحال و ه اذان الأخيران يقتضيان المطية كالخيل و البعير و نحوهما،فها هو يصف لنا كيف أنه ليس لديه مطية يمتطيها و يتنقل عليها سوى الإعتماد على رجله،و هو كثير السفر،فكلما أراد القوم أو الناس الرحيل قرب إليه نعله،فهو مطيته في سفره و ذلك لما خابت آماله في الصول على بعير يركبه و في ذلك يقول:[1]

أتراني أرى من الدهر يومـا لي فيه مطية غير رجـلي
كلما كنت في جميع فقالـوا قربوا للرحيل قربت نعـلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا من رآني فقد رآني و رحلي

و يقول في موضع آخر ساخرا من بؤسه و يندب حظه في هذه المطية المعدمة:[2]

الحمد لله شكرا أمشي و يركب غيري

و يقف مرارا ليصور سوء حظه و أنه أينما اتجه لم يكسب شيئا ، بل يقعد به العدم الذي تعوده و يقعد به سوء البخت الذي يلازمه في حله ترحاله.حتى ليجف البحر الذي يخوضه و حتى ليستحيل الدر في يده حصا و زجاجا و الماء العذب ملحا لا يسوغ شرابه[3]،و في ذلك يقول:[4]

لو ركبت البحار سارت فجاجا لا نرى في متنها أمواجـا

1- المرجع السابق: ص80.

2- المرجع السابق: ص46.

3- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول. ص439.

4- الديوان: ص33.34.

و لو أني وضـــعت ياقوتة حمـــراء في راحتي لصارت زجاجا

و لو أني وردت عذبا فراتـــا عاد لا شك فيه ملحا أجاجـــا

هذا هو أبو الشمقمق الذي يندب حظه دائما و بؤسه، فقد روي أن بعض إخوانه دخل وا عليه يوما فرأوا سوء حاله،فأرادوا أن يخففوا عنه ما هو فيه،فقالوا له:أبشر أبا الشمقمق فإنه روي في بعض الحديث أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة،فقال ساخرا:إن كان و الله ما تقول حقا لأكونن بزازا يوم القيامة.ثم أنشأ يقول:[1]

أنا في حال تعالى اللـــه ربي أي حـــال

ليس لي شيء إذا قيـــل لمن ذا؟قلت:ذا لي

و لقد أهزلت حتى محت الشمس خيالي

و لقد أفلست حتى حل أكلي لعـــ يالي

و لعل بغداد التي عاش فيها الشاعر أبو الشمقمق نيفا من الزمن قد وصفها و ما بها من أكيسة كالطيلسان و نحوه و في ذلك يقول:[2]

ليس فيها مروءة لشريـف غير هذا القناع بالطيلسان

و بقينا في عصبة من قريش يشتهون المديح بالمجان

و لا يتوانى في وصفه لأهم الأشياء التي تعبر عن مظـــاهر الحضارة في عصر الشاعر وهي"الحرّاقة"و هي سفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر،و صفها وهي تتقاذفها الأمواج و يتعجب كيف أنها تقوم و لا تغرق ،و في ذلك يقول:[3]

عجبت لحراقة بن الحسين كيف تعوم و لا تغـــرق

و بحران من تحتها واحد و آخر من فوقها مطبـــق

و أعجب من ذاك عيدانها و قد مسها كيف لا تورق

3- المدح: من أقدم أغراض الشعر العربي، تناول الشعراء في مدائحهم على مر العصور معاني مختلفة انبثقت من طبيعة الحياة اليومية فاختلفت هذه المعاني باختلاف طبيعة الحياة.

---

1 – المرجع السابق: ص77.

2- المرجع السابق: ص90.

3- المرجع السابق: ص71.

ركز الجاهليون في مدائحهم على مدح الممدوح بصفات معنوية و مادية ، فالممدوح كريم و شجاع و معطاء يغيث الملهوفين و يحمي الجار فلو دققنا النظر في هذه الصفات لوجدناها تمثل الحياة الجاهلية أصدق تمثيل،و كان المدح يحتل جزء من القصيدة الجاهلية فأفرد له بعض الشعراء قصائد مستقلة،وما أن جاء العصر الإسلامي حتى رأينا شعراء هذا الإتجاه يهتمون بالصفات المعنوية، و هذا ما يتفق مع طبيعة الدعوة الإسلامية الجديدة.

من هنا نرى أن شعراء هذا العمر، لم يهتموا بمكانة الممدوح قدر ما اهتموا بأعماله و صفاته المعنوية،أما في العصر الأموي، فقد بقيت الأمور على ما كانت عليه في العصر الإسلامي إلاّ أن الشعراء أضفوا هالات دينية على شخصية الممدوح و اهتموا بمكانة هذا الممدوح إضافة لاهتمامهم بأعماله[1].

أما في العصر العباسي فقد بقي الشعراء العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من مدح و غير مديح،وبذلك أبقوا للشعر العربي شخصيته الموروثة،و كانت قصائد المديح تقوم مقام الصحيفة الحديثة لتسجيل الأحد اث التي عاصرها الشاعر و الأعمال الكبرى التي ينهض بها الخلفاء[2]. و ركز الشعراء في مدائحهم على أمور مادية و معنوية،و بقيت معظم قصائد المدح على ما هي عليه في العصر الجاهلي و يعلل ذلك شوقي ضيف بأن الشعراء كانوا يحرصون على إرضاء الممدوح و العلماء و الرواة،و يظهرون بذلك تمثيلا للثقافة العربية،و قدرة على مجاراة النهج الشعري القديم[3].

اتخذ أبو الشمقمق من المدح مصدر رزق و معاش، فكانت غايته و أمله لفقره و سوء حالته، وطلب الشهرة — ربما – لذا كان معظم ممدوحيه ممن لهم مكانة عالية،اتصل بهم و أغدقوا عليه العطاء،و معظم الذين مدحهم معروف و مشهور،إما بمكانته و إما بعطائه و كرمه،فكانت له مدائح في الأمراء و الولاة ، وتنوعت معاني المد ح عنده بما يتناسب و مكانة الممدوح و درجة عطائه.

احتل المدح بين أغراض الشعر الأخرى عند الشاعر مكانة قليلة، يعني هذا أن الشاعر لم يكن من شعراء المدح في العصر العباسي.

1- زهير أحمد محمد منصور: أبو الشيص الخزاعي.حياته و شعره. ص105. .106

2- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول.ص.161

3- المرجع نفسه: ص.159

أشعاره في المدح تسودها روح شعبية قوية،فإننا نجده لا يعنى فيه بالجزالة و أشعاره التي كانت تشيع في شعر المديح،و أيضا فإنه لا يعني بمعانيه و أخيلته وكأنه ينظمه عند الخاطر،غير متأنّ و لا متكلف[1].

و الملاحظ أن مدح الشاعر قد اتخذ ثلاث أشكال: أولهما المدح الخالص أي الذي خص به ممدوحه دون ذكر أي طرف آخر و هذا من بداية القصيدة أو المقطوعة أو نهايتها.وهذا ما نراه في مدحه لعيسى بن إدريس واصفا إياه بالج ـــود و ا لكرم و العطاء،ودليلـه أن بابه ليس عليه حاجب و لا قفل، بل يستطيع أي واحد أن يدخل إليه و يطلب حاجته أو معروفا منه كما فعل الشاعر فيسارع بإعطائه بكل فرح و طرب مشبها إياه بطرب الزنج إلى الطبل و هم المولعون بحب الملاهي و الأغاني يقول:[2]

و ليس على باب بن إدريس حاجب و ليس على باب بن إدريس من قفل

طربت إلى معروفه فطـــــــــلبته كما طربت زنج الحجاز إلى الطبـل

و لما كان يزيد واليا على اليمن قصده أبو الشمقمق و هو في حال رثة،وكان راجلا فمدحه واصفا إياه بأنه أهل لأن يرتحل الناس طلبا لفضله و شرح حاله كيف أنه أتاه راجلا و هي مطيته في وصوله إليه حيث يقول:[3]

رحل المطي طلاّب الندى ورحلت نحوك ناقة نعليـّه

إن لم تكن لي يا زيد مطية فجعلتها لي في السفار مطية

ثم يسرد الصفات الحميدة كونه فراج الكـــرب المعطاء الجواد و الذي أيامه مواهب و عطايـا و خيره عام على الناس واسع كثير النعم حيث يقول:[4]

تنتاب أكرم وائل في بيتها حسبا و قبة مجدها مبنـــــــيه

أعني يزيدا سيف آل محمد فراج كل شديدة مخشـــــيه

يوماه يوم للمواهب و الجدا خضيل و يوم دم و خطف منيه

1- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول: ص437.

2- الديوان: ص76.

3- المرجع نفسه: ص96.

4- المرجع نفسه: ص97.

فهو لما قصده كان واثقا بأن يزيدا ليس من صفاته أن يؤخر دفع النقود و الدراهم على ممدوحيه عند سماع المدح بل هو على الفور جواد حيث يقول:[1]

و لقد أتيتك واثقا بك عالما أن لست تسمع مدحة بنسيه

فقال يزيد:صدقت يا شمقمقيّ، و لست أقبل مدحة بنسيئة،أعطوه ألف دينار.

كما نلمح شكلا ثانيا في شعر المديح عند أبي الشمقمق ذلك أنه يفاضل بين ممدوح آخر دون الإستهانة بالثاني،و هذا ما نراه في مدحه لمالك بن علي الخزاعي الذي و لي البصرة في أيام هارون الرشيد و كان سعيد بن سلم بن قتيبة مسلم الباهلي واليا على الموصل و غيرها،غير أن مالكا كان يكرم أبا الشمقمق أكثر مما يعطيه إياه سعيد بن سلم فهو يمدح الثاني و لا يقلل من شأنه و لكن مالك هو أفضل الناس أصلا و رائحة و كرما منه حيث يقول:[2]

قال لي الناس زر سعيد بن سلم قلت للناس:لا أزور سعـــيدا

و أميري فتى خزاعة بالبصـــ ـــرة قد عمها سماحا و جودا

و لنعم الفتى سعيد و لكـــن مالك أكـــــــــرم البرية عودا

و ها هو ذا يمدح "يزيد بن مزيد" مفضلا إياه على "يزيد بن حاتم المهبلي" و الذي كان واليا على إفريقيا، مجريا مفارقة بينهما في الجود و السخاء:[3]

لشتان بين اليزيدين في النوى إذا عد في الناس المكرم المجد

أما الشكل الثالث فإنه مزيج من المدح و الهجاء أي يمدح شخصا و يهجو آخر في الصفة ذاتها لاسيما إن لم يجد منه الشاعر المبتغى و الإغداق. كما فعل مع "منصور بن زياد" الذي صار إليه يسأله أن يبره، و كان منصور بخيلا، فوهب له عشرة دراهم، و بلغ الخبر "محمد بن منصور" فأرسل إليه محمد بمائة درهم،و أمر بالعودة إليه ليسره فأخذها و قام مادحا الابن و هو"محمد" لكرمه و إفضاله، هاجيا أباه لضيقه و بخله قائلا:[4]

لولا ابن منصور و إفضاله سلحت في لحية بن منصور

فبلغ ذلك محمدا فقال:"إنما خفنا هذا، وما أفلتنا منه".

1- الديوان: ص97.

2- المرجع نفسه: ص39.

3- المرجع نفسه: ص40..

4- المرجع نفسه: ص44.

و ها هو ذا يمر بـ"مالك بن علي الخزاعي" و يمدحه، و يهجو و يذم"سعيد بن سلم الباهلي" عندما ينتهي إليه بعدما كان يفضل الأول على الثاني في الإفضال دون الإساءة إلى سعيد.و هذا ما مر بنا ليس ببعيد،فهو يصور صفاته المادية و المعنوية بموقف المحلل الدقيق في تعقب هذه الصفات التي لم تخلق إلا له،فهو جواد كريم و سخي،لا يهتم إن أتاه ضيف ، قليل ماله ، خفيف حاله، أو حتى أتاه الجمع الغفير من نسل يأجوج أي أنه لا يبالي مهما كان عدد الضيوف كبيرا قائلا:[1]

قد مررنا بمالك فوجدنا ه جوادا إلى المكارم ينـــمي

ما يبالي أتاه ضيف مخفّ أم أتته يأجوج من خلف ردم

أما ضيف "سعيد بن سلم الباهلي" فهو من الجوع يكاد يموت حتى أنه طبع على الخبز للاستيشاق من أن لا يخرج منه شيء، و هذا دليل على شدة الحرص و البخل مشبها هذا الختم بخاتم النبي سليمان بن داود قائلا:[2]

فانتهينا إلى سعيد بن سلم فإذا ضيفه من الجوع يرمي

و إذا خبزه عليه سيكفيـــ ـــكهم الله ما بدا ضوء نجم

و إذا خاتم النبي سليما ن بن داوود قد علاه بختم

و هنا تكون المفارقة بين الارتحال من "مالك بن علي الخزاعي" و من عند"سعيد بن سلم الباهلي" بالحمد للأول و بالذم للثاني قائلا:[3]

فارتحلنا من عند ذا بحمد و ارتحلنا من هذا بذم

و لعل الملاحظ لشعر أبي الشمقمق في هذا الغرض يجد أن معظم ممدوحيه سرعان ما يقدح فيهم و يهجوهم وهذا راجع لسوء لسانه و هو السبب الأساس الذي جعل الكثير من الولاة و الأمراء يعزفون عن مصاحبته و يرفضون أشعاره فإن كان لابد فذلك خوفا من السبب ذاته.فهو سريع الغضب و متقلب المزاج لا يخاف و لا يخشى في ذلك لومة لائم.و بهذا قل مدحه و نبغ هجاؤه ، بل إنه جارى شعراء عصره و نبغ عليهم فيه.

4- الشكوى و الاستجداء:

1- الديوان: ص88.

2- المرجع نفسه: ص88.

3- المرجع نفسه: ص89.

إن ظروف أبي الشمقمق الحياتية تعرضت لبعض الصعوبات و المآسي مما جعله متذمرا شاكيا على صعيد العلاقات الاجتماعية التي تميزت بالفتور مع أصدقائه أو مع الأمراء و الولاة،أو على صعيد الوضعية الإجتماعية وهو الذي أخذ النصيب الأوفر من شعره.

فهاهو ذا نراه يغيث و يستجدي أحد الهاشميين حيث قصده ، يسأله بعض المال الذي ينقذ به حياة أولاده من الجوع و الهلاك:[1]

يا أيها الملك الـذي جمع الجلالة و الوقـــــاره
إني رأيتك في المنـا م و دعتني منك الزيـــاره
فغدوت نحوك قاصدا و عليك تصديق العـــباره
إن العيال تركـــتهم بالمصر خبزهم العـــصاره
و شرابهم بول الحما ر مزاجه بول الحـــــماره
ضجوا فقلت تصبروا فالنجع يقرن بالصـــــباره
حتى أزور الهاشمـــ ـــيّ أخا الغضارة و النضاره

فمثل هذا الشعر يمكّـــن قائله من الاقـــتراب من ممدوحه و نيل رضاه،لأن الشاعر كـــان ذكيا و عارفا بنفسية ممدوحه، و في الوقت نفسه فإن الشاعر قد و فق إلى حد بعيد في اختياره للكلمات المؤثرة كلفظتي"الجلالة" و "الوقارة" و العبارات المتضمنة لمعان تصور في مجملها واقعا يتصف بالبؤس و الشقاء،مما يجعل القلوب تلين بمجرد سماعها . و النفوس تجود بما لها وجودها. ومن أمثلة تلك العبارات قوله:"خبزهم العصارة" و "شرابهم بول الحمار" و "أخو الغضارة و النضارة".

وبالأسلوب نفسه المثير للشفقة يستجدي و يعاتب الشاعر "عمر بن مساور" الكاتب في ناحية البرامكة، و كان في ناحية "الفضل بن الربيع" أولا ، و كان يتقلد بعض أعمال أهواز كون عمر لم يعطه شيئا من ماله راجيا منه المكرمة و الكرم حتى لو كان حجرا فهو مفتقر إليه قائلا:[2]

أنا بالأهواز جار لعـــمر لعظيم زعموا ضخم الخطر
لا يرى منه علي ـــــنا أثر لا يكون الجـــــود إلاّ بأثر
إن تكن ورقك عنا عجزت يا أبا حفص فجد لي بحجر
يكسر الجوز به صـــــبياننا و إذا ما حضر اللوز كسر

1- الديوان: ص52.

2- المرجع نفسه: ص57.

إن الشاعر حتى في شكواه إلى بعض الأمراء كمثل "الفضل "لا ينسى أن يرفع شكواه إلى الله تعالى قبله و هذا يدل إما على إيمان الشاعر بأن الله هو القاضي و المجيب و بيده أن يرفع عنه الهـم و الغم ، هذا مستبعدا كونه شاعر ماجن اللسان و إما الفضل شخص متدين فاستعطفه بشكواه إلى الله تعالى قبله.وهذا هو الأقرب إلى المنطق. و في هذا يقول:[1]

فإلى الله أشتكي و إلى الفضـــ ـــل فقد أصبحت بزاتي دجاجا

5- الهزل و المزاج:

لقد نال أبو الشمقمق شعبيته من معالجته لقضـايا الشعب و استعماله للألفاظ القريبة إليهـم و المتداولة عندهم و مزج ذلك بالسخرية و الهزل و المزاح، فكان شعره أروع ما يكون للسامع ، و لعل معظم ما قاله هو في الحيوانات كما سبق ذكر هذا في الوصف كالسنور و الفأر و غيرهما لكن الجديد هو أنه يفرد بعض الأبيات بغرض الهزل لا غير،و من الشعر الذي قيل في الديك قوله:[2]

هتفت أم حصين ثم قالت: من ينـ..

فتحت فرجا رحيبا مثل صحراء العتيك

فيـــه وز فيه بط فيه دراج و ديـك

و الفاحص لهذه الأبيات يجد أن الشاعر قد استعمل ألفاظا شعبية كالبط و الدراج و الديك، غير أن الفحش مازج هذه الألفاظ بالمعنى الذي جعل له.

و نراه تارة أخرى يصف الفيل للقوم فمن شدة الخوف كاد أن يصنع شيئا في سرواله و هو القائل:[3]

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم فبارك الله لي في رؤية الفـــيل

رأيت بيتا له شيء يحـــركه فكدت أصنع شيئا في السراويل

بل صارت الحيوانات عنده هي التي تتكلم و تصف الفيل لأمها و التي رأته عن كثب فأذهلها منظره عن كل الأباطيل و هو يقول على لسانها:[4]

1- الديوان: ص34.

2- المرجع نفسه: ص75.

3- المرجع نفسه: ص78.

4- المرجع نفسه: ص78.

يا أمّ إني رأيت الفيل من كثب لا بارك الله لي في رؤية الفيل

لما بصرت بأيأ...الفيل أذهلني عن الحمير و عن تلك الأباطيل

و دعابته أيضا تكمن في حسن تصويره،و هو ما نلحظه في المعارك التي خاضها مع البرغوثة التي تلازمه و تلازم بيته، و يصور لنا كيف انتصر الشاعر عليها و أرداه صريعا و قتله بالسيف لامع قاطع من الحدين و يقصد بذلك أضافره حيث يقول:[1]

ألا ربّ برغوثة تركت مجدّلا بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

فالأسلحة بسيطة بساطة حياته و العدو ضعيف ضعف حالته الإجتماعية لكنه استطاع أن يبلور هذه البساطة بطريقة عفوية خليطة بالمزاح و الهزل.

1- الديوان: ص80.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

الصورة:

إذا كان لكل فن واسطة فإن الشعر واسطته الصورة التي تتشكل عن علاقات داخلية مترتبة على نسق خاص أو أسلوب مميز و هي وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما يقبله عقله و إيصاله إلى غيره.ذلك لأن ما بداخله من مشاعر و أفكار يتحول بالصورة إلى أشكال و صفت بأنها أشكال روحية[1]. و لا يقتصر دور الصورة عن التشكيل و البناء للعلاقات و لكن بالصورة تتحقق خاصية الشعر و هي كما قيل عنها جوهر العالم و قطب رحى الوجود[2].

ويعرف الدكتور الرباعي الصورة بالمفهوم الفني ف يقول هي"أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة و موحية في آن واحد "[3].أما المجال التفصيلي لمفهوم الصورة عنده فهو أنه:" تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقاربة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة عنصر ظاهري و آخر باطني و أن مجال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما الحافز و القيمة لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع و تؤدي إلى قيمة"[4].

و عند تتبع الصورة الشعرية في أشعار أبي الشـــمقمق نجدها تمثل جوانب مختلفة فمنها الطبـيعة و تشمل الطبيعة بمظاهرها المختلفة و ثانيا الحيوانية و تشمل أشكالا مختلفة من الحيوانات، و ثالثا الحياة اليومية بمظاهرها المختلفة.و لقد شكلت الحجم الأكبر من هذه الصورة الحيوانية حيث مثلت"ثمان و أربعين"48 بالمائة.

مصادر الصورة الشعرية:

الطبيعة:

نوع الشاعر في مظاهر الطبيعة و صاغ منها قوالب و صورا شعرية تتفق و طبيعة الموقف الشعري الذي عبر عنه فأكثر من الصور المتعلقة بالسماء و البحار و الفضاء و السحاب. لقد اتخذ الشاعر من البحر و سيلة للتعبير عن سوء حظه و قلته، فالبحر الهادئ الجميل جمال أمواجه و رقته

1- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري. دار العلوم. الرياض. (د.ت). ط1 ، 1984، ص.85

2- المرجع نفسه: ص.86

3 -عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري: ص.86

4- المرجع نفسه:ص67.

إذا ما ركبه صار طريقا واسعا أوسع من الشعب و حالت الياقوتة الحمراء – التي لطالما حلم بها الصيادون – بين راحة يديه زجاجا:[1]

لو ركبت البحار صارت فجاجا لا ترى في متونها أمـــــــواجا

و لو أني وضعت ياقوتة حمـــــ ـــراء في راحتي لصارت زجاجا

حتى النهر عكسه و تنكر له و أبى أن يكون له زلالا و عذبا بل أورده الملح حتى لا ينال منه شربة ماء:[2]

و لو أني وردت عذبا فراتا عاد لا شك فيه ملحا أجاجا

ثم يصير الفضاء الرحب مترله بعد أن عجزت اللبنات عن اصطفافها لتكون له بيتا و السماء الواسعة و كذا قطع السحاب صارتا سقف بيته، لتكون الطبيعة هي البيت الحقيقي للشاعر:[3]

فمترلي الفضاء و سقف بيتي سماء الله أو قطع السحاب

وهذه الشمس الساطعة التي تنير كل شيء و تبرزه للناظر و هي عند الشاعر عكس ذلك فهي التي محت خياله بعد أن صار هزيلا نحيفا و ضعيفا جدّا، وهي بذلك تعاضد البحر في جفائها له:[4]

و لقد أهزلت حتى محت الشمس خيالي

و لعب الدهر دوره، فالشاعر صار يخافه، بل إنه يأس بأن يحن عليه.و يتساءل: ترى هل سيعود معه يوما ما، فهو لا يريد أياما بل يوما واحدا يحلم أن يأتي و هو غير مصدق بقدومه:[5]

أتراني أرى من الدهر يوما لي فيه مطية غير رجلي

و لم ينفصل إحساس الشاعر الزمـــاني عن إحساســه المكاني، فقد توحدت عنده قيمة الزمان و المكان نفسيا خصوصا عندما يجاور أصحاب الخير فيقول:[6]

و مترل في خير ما جيرة قد عرفوا بالخير و المير

1- الديوان: ص33.

2- المرجع نفسه: ص33.

3- المرجع نفسه: ص28.

4-المرجع نفسه: ص77.

5- المرجع نفسه : ص80.

6- المرجع نفسه: ص48.

كما استعان بالسراب كرمز حسيّ من رموز الطبيعة الصحراوية ليظهر مدى بخل مهجوه ، فلا فرق بين السراب و البخل فكلاهما يشتركان في عدم العطاء:[1]

شرابك في السراب إذا عطشنا و خبزك عند منقطع التراب

و اهتم الشاعر كذلك بالطبيعة فذكر الرياح حيث كان استخدامه لها يمثل تضادا في العطاء و المستوى، فالرياح تبشر بالخيرات لكنها عنده تبشر باللؤم و السوء و هذا يخالف ما جاء في القرآن الكريم، فالريح كانت بمعنى السوء و الرياح بمعنى الخير، و لكننا نرى الشاعر يقول:[2]

إن رياح اللؤم من شحه لا يطمع الخنزير في سلحه

و أخيرا فإن الطبيعة بمعالمها التي عاشها الشاعر تناسبت في معظمها و نفسية الشاعر المضطربة إزاء ما يحيط به، فتمثل في هذا العالم علاقاته بأشكالها المختلفة فأعطى هذا العالم صفات من العالم الإنساني ليزيده حركة و حيوية و نشاطا يستطيع تغيير نفسية الشاعر و أجوائه.

الحيوان:

ذكر الشاعر أصنافا مختلفة من الحيوان و اتخذها مادة لصوره فذكر الطيور و بعض الحيوانات الزاحفة و حيوانات برية كالليث و الظباء و الحيوانات الأليفة كالكلب و الفأر و القط. لكنه ركز اهتمامه على الحيوانات التي تعيش مع الإنسان و خاصة منها الكلب فهو حيوان أليف، و هذه الألفة لم تحفز الشاعر على أن يعطي الكلب صفاته الحسنة، بل رأى فيه الاشمئزاز و الاحتقار.يقول:[3]

ألا قولا لسران المجازي ووجه الكلب و التيس الضروط

و بمسحة دينية نجده يدعو الله تعالى باسمه الرزاق الذي وسع رزقه العباد ليصل على الحيوانات، و أولها الكلب الذي لا يستحق الرزق و هذا في سياق الهجاء قائلا:[4]

يا رازق الكلب و الخنزير في سعة و الطير و الوحش في يهماء دويّة

1- الديوان: ص29.

2- المرجع نفسه: ص36.

3- المرجع نفسه: ص66.

4- المرجع نفسه: ص98.

ومن الحيوانات الأليفة أيضا الفأر الذي ارتبط اسمه بالخراب و الفساد فلا نجد مكانا فيه نعيم من غذاء و أكل إلاّ و كان الفأر حاضرا فيه، لكنه مع الشاعر صار بعيدا و هجر بيته لأنه لا يوجد فيه لا دقيق و لا شيء يطهى، فهو رمز الحزن و الهجران:[1]

فأرى الفأر قد تجنبن بيتي عائذات منه بدار الإماره

و نراه في أحيان أخرى يجعـــله رمز الحيوية و النشاط بل هو مصدر إسعاد و طرفة فكان أنيسه في و حشته و مزيلا لحزنه:[2]

أخذ الفأر برجلي جفلوا منها خفافي

درجوا حولي بزفن و بضرب بالدفاف

أما الحيوانات البرية الأخرى فقد صور الليث الذي اقترب اسمه بالقوة و الشجاعة صار مصدر صورة للتعبير، و رمزا للنتانة و العفن:[3]

و له نكهة ليث خالطت نكهة صقر

و يتخذ من الوحوش بعض صوره، فيجعل منه ا حيوانات أليفق، تألفه الديار بعد رحيل أهلهـــا. و هذه الألفة تساوت عنده مع الظباء حيث أعطى الظباء مدلولات واسعة فوازن بين الظباء و النساء الجميلات:[4]

و جوار كأنهن نجوم اللـــ ـــيل زهير مثل الظباء الجوازي

أما الطيور فقد أولاها هي الأخرى اهتماما ليس بقليل. فهذا السنور الذي رافق الشاعر أمدا طويلا و لطالما أكل الفأر لكنه هجره لقفار بيته حتى من الفئران:[5]

و أقام السنور في البيت حولا ما يرى في جوانب البيت فاره

وكأن الشاعر من خلال تصويره لعالم الطيور يتمنى أن يعيش حريتها، فهي تروح و تغدو في الديار لا تحدها قيود و ليس لها إلا أن تفكر في قوتها، والتفت إلى البرغوثة التي عبرت عن سبب من

1- الديوان: ص54.

2- المرجع نفسه : ص68.

3- المرجع نفسه: ص44.

4- المرجع نفسه: ص62.

5- المرجع نفسه: ص54.

أسباب الشقاء لديه،فالأيام و حدها لم تكف لقهر الشاعر بل ساندته في ذلك البراغيث التي امتصت دماءه:[1]

يا طول يومي و طول ليلته إن البراغيث قد عبثن بيه

فيهنّ برغوثة مجـــــوعة قد عقدت بندها بفقحتيه

و لكنه يتغلب عليها مرة أخرى و سلاحه في ذلك أظافره:[2]

ألا رب برغوثة تركت مجدلا بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

و ها هو الذباب الذي نجده في كل مكان قد فر من أبي الشمقمق و فقره ليصير هو الآخر رمزا للفراق و الهجران:[3]

..... و طار الذباب نحو زباله

و لعل ما يلفت النظر إلى شعر أبي الشمقمق هو ذكره للحمار أو البغل، ذلك الصديق و الصاحب و الرفيق، و المطية في السفر:[4]

و بغلة شهباء طيارة تطوي لي البلدان في السير

و لا يبتعد كثيرا عن مدلول الحمار و البغل في المجتمع أي تصويره لمعنى الغباء و الجمود، فكان مادة حية لتصوير بعض الشخوص:[5]

و تولى كأنه أيا...بغل غاب في دبر بغلة مصرية

وهكذا كثرت أسماء الحيوانات باختلاف فئاتها ، كل يرسم صورة تتناسب و نفسيته التي تنطوي في بعض جزئياته على السلب و الإيجاب ، فبعضها نفى عنه النفع و الفائدة و بعضها أعطاها كل ما يمكن من المنافع و المحاسن وما هذه الدوائر إلا جزء من دائرة خيالية و نفسية لحياته التي كان يعيشها.

الحياة الإنسانية: اهتم أبو الشمقمق بالحياة الإنسانية الممثلة بالإنسان، و عرض لنماذج مختلفة تمثلت في عالم الإنسان الحي بأفكاره و جسمه و نفسه.فجملة ما في الإنسان مشاعره و انفعـــالاته

1- الديوان: ص98.

2- المرجع نفسه: ص80.

3- المرجع نفسه : ص85.

4- المرجع نفسه: ص47.

5- المرجع نفسه: ص99.

و صفات تميزه عن غيره من أفراد مجتمعه، أولا و عن عالم الحيوان ثانيا،و تتأرجح المشاعر بين إنسان يحس الفرح و الحزن و الفراق و المحبة و الغضب و ما الإنسان الذي عرض له الشاعر إلا إنسان يحس و يتألم. كما عرض لنماذج الإنسان الذي يحس و يتألم، يحب و يكره و يصبر على الأذى، أذى الزمن و ظلمه، وقد استقى الشاعر صور الحياة الإنسانية من عالم العلاقات الاجتماعية، هذه العلاقات التي طرحت نماذج مختلفة لأوجه الحياة الإنسانية بمظاهرها المتنوعة و أشكالها المختلفة.

لكن هذه المظاهر لم تجعل الإنسان عنده يحس بانتهاء دوره بل جعلته يحس بأن عليه دورا يجب أن يؤديه، فاعتبر الرحلة و السفر وسيلة للإتمام دوره و القيام به على أكمل وجه فراح يقطع المسافات ليرضي ذاته و يبلغ مقصده:[1]

حيثما كنت لا أخلف رحلا من رآني فقد رآني و رحلي

ثم نراه يتناول جوانب إنسانية أخرى ، فنراه يهتم بالسلوك أيا كان نوعه، فطرح نماذج سلوكية مختلفة، ففصل في الجانب اللاهي ، إذ رأى فيه جماعات بشرية همها فقط قضاء متعتها و نزوتها مع النساء:[2]

ما أراني إلا سأترك بغـــدا د و أهوي لكورة الأهواز

حيث لا تنكر المعازف و اللهو و شرب الفتى من التقماز

إن التناقض في شخصية الإنسان عند الشاعر أمر ملحوظ و يعود ذلك إلى طبيعة الشاعر المتناقضة أولا ثم إلى طبيعة العصر الذي كان عصر شك و مجون سواء في الأخلاق أم في السياسة، يقول:[3]

و قد زعموا أنه كافر و أن التزندق من شكله

كأني به قد دعاه الإمام و آذن ربك في قتـله

ويعرض لأنماط من العلاقات الاجتماعية هي علاقة الإنسان بالإنسان فكان عرضه لها يمثل خلاصة تجارب إنسانية مع أفراد جنسه تحققت على مستوى العلاقات الاجتماعية ، هذه العلاقات يمكن و صفها بالسيئة على العموم و كأنه عالة عليهم، يدفعون له الجزية اتقاء شره، و مخافة من

1- الديوان: ص80.

2- المرجع نفسه: ص61.

3-المرجع نفسه: ص83.

هجائه المقذع.فالفقر لعب دوره مما أضعف ثقته في نفسه فأصبح يحقد على الناس جميعا ، و أصبح يحسد غيره يقول:[1]

الحمد لله شكـــرا أمشي و يركب غيري

لم ترض نفسي بهذا يا رب منـــــك لخير

كل هذا الحسد و البغض للآخرين جعله يتمنى زوال نعم الله عليهم:[2]

يا رازق الكلب و الخنزير في سعة و الطير و الوحش في يهماء دويه

لو شئت صيرته في حال فـــاقته حتى تقر بتلك الحال عيـــــــنيّه

فهو يهرب من المجتمع الذي يحيا فيه و يعيش منكفئا على نفســه في بيته و يتطفل على الشعراء و يرضى باليسير منهم:[3]

أنا في حال تعالى الله ربي أيّ حال

و رغم هذا نجده يتمنى من هذه الدنيا الفانية صديقا يوانسه و رفيقا يتواصل معه و مساعد ا يفهم مقاصده يتصف بصفات الهمة و الإسراع في تقديم المساعدات و كذا الخير:[4]

مناي من دنياي هاته التي تسلح بالرزق على غيري

و صاحب يلزمني دهره مثل لزوم الكيس للسير

مساعد يعجبني فهـــمه مرتفع الهـــــمة في الخير

و جملة القول أن أبا الشمقمق صور مجموعة العلاقات النفسية العميقة حيث كان الشاعر محورها و أطرافها الآخرين و هذه الحالات النفسية تشرح حال الشاعر و توضح معالم حياته الخاصة و العامة التي يمكن من خلالها فهم طبيعة الإنسان في العصر العباسي كما أنها صورت جملة من السلوكات التي تنطوي عليها دخائل النفس البشرية.

الحياة اليومية:

تعددت مظاهر الحياة اليومية التي يحياها الناس في عصر الشاعر، لذا جاءت صور الشاعر في هذا المجال شاملة لمختلف مظاهر الحياة، فعرض لأصناف بشرية تعامل الشاعر معها فتنوعت علاقته

1- الديوان: ص46.

2- المرجع نفسه: ص98.

3- المرجع نفسه : ص77.

4- المرجع نفسه: ص46.

مع هذه الأصناف فمنها ما كان علاقات رسمية، حتى استطاع الشاعر من خلال عرضه لهذه العلاقات رسم معالم الشخصية الإنسانية في عصره و كيفية التعامل معها، فلغة التعامل مع الحاكم تختلف عن لغة التعامل مع الأصدقاء،لذا نراه في عرضه لعلاقاته الرسمية يستخدم صورا و تعابير تختلف تمام الاختلاف عن الصور المستخدمة في علاقاته العادية مع أقرانه من الشعراء الذين لم يعر لهم أي اعتبار و اهتمام، ففي العلاقات الرسمية يحرص على خلق تعابير و صور تناسب مقام الممدوح، فهو ملك و أمير المؤمنين، لا يدانيه أحد و ليس له مثيل، و نراه غلّب الملك على الأمير و ذلك لأن دولة بني العباس كانت تترع ملكية كما أشار كثير من المؤرخين[1].

يقول الشاعر:[2]

يا أيها الملك الذي جمع الجلالة و الوقاره

ثم إن صورة الحاكم عنده صورة مثالية فهو كريم ينسب إلى أشراف القبائل حازم يقول:[3]

يوسف الشاعر فرخ و جدوه بالأبلّه

و لم يغفل الشاعر أهمية العطور التي تعد من أدوات الزينة التي تستخدمها المرأة في العصر العباسي، فلم يمنح العطور صفتها المعهودة بل جعلها مادة للشتم و الهجاء و ذكر أصنافا من هذه العطور كالمسك و العنبر:[4]

لحية مروان تقي عنبرا خالط مسكا خالصا أذفرا

و نستطيع القول أن أبا الشمقمق من خلال عرضه لأنواع العطور كان يصور نمطا من أنماط الحياة في المجتمع العباسي.

كما أنه لم يغفل جانب الطعام في شعره، لاسيما و أنه كان يفتـــقر إلى أبسطه ألا و هو الخبز و ذلك عند وصف أبنائه و هم يشتاقون إليه:[5]

فلو رأوا خبزا على شاهق لأسرعوا للخبز بالجمز

1- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام. دار العلوم. الرياض. (د.ت). ط1 . 1984 . ص 39 .

2- الديوان: ص52.

3- المرجع نفسه: ص83.

4- المرجع نفسه: ص49.

5- المرجع نفسه: ص60.

كما ذكر الكثير من أنواع الأكل و الشراب التي كانت في ذلك العصر، فهاهو ذا يمني نفسه بقطع من الرغيف و الذي يعطيه صيغة فارسية و ذلك بتسميته "الجردق":[1]

الجردق الحاضر مع بضغة من ماعز رخص و من طير

أما الشراب فنراه يختار ما يتلذذ به كل فرد عباسي و يتمناه للذته و طيب طعمه:[2]

و القلز من بعد على إثره فغنما اللذات في القلز

ولاسيما إذا كان هذا المشروب يماثل لونه زهر الرمان:[3]

من قهوة مسكية و اللون مثل الجلّناره

كما ذكر ضربا من الأكيسة ، وهي سوداء اللون كانت تستعمل آنذاك ،و هي نوع فارسي معرب و يدعى بالطيلسان يقول :[4]

ليس فيها مروءة لشريف غير هذا القناع بالطيلسان

و لم يعتن كثيرا بذكر أدوات الطبخ إلا ما جاء ليدل على الأكل في حد ذاته و مثاله "الجرّة" المصنوعة من الفخار:[5]

و لقد قلت حين أقفر بيتي من جراب الدقيق و الفخاره

وكذلك الأوعية التي يشرب فيها ك ـــ"الكوز" و هو وعاء كالكرب له عروة، و ذلك الإناء الذي سمي بـ "القرقارة" لما يحدثه من صوت:[6]

و إذا العنكبوت تغزل في دني و حبي و الكوز و القرقاره

إذا هذه هي ملامح الحياة اليومية عند الشاعر فهو يصورها بآليات تنبئ عن ارتباطات نفسية ، قربها من حياته الشعبية فكانت صورة صادقة لما حواه المجتمع آنذاك.

مكونات الصورة الشعرية في شعره:

الصورة الإشارية:

1- الديوان: ص47.

2- المرجع نفسه: ص59.

3- المرجع نفسه: ص51.

4- المرجع نفسه: ص90.

5-المرجع نفسه: ص 53.

6- المرجع نفسه: ص55.

و هي كما يقول الدكتور الرباعي:"الطريقة البسيطة التي تدل على المعنى بتوجيه بسيط أو بتلميح خفيف"[1].

و تقع الإشارية في أنواع ثلاثة هي:الوصف ، الكناية ، و المجاز المرسل .و المجاز المرسل لم يعطه الشاعر أهمية ، لذا سيقتصر حديثي على الوصف و الكناية.

أما الوصف: فنزعة فطرية ملازمة لطبيعة الذات الإنسانية بها يكتشف الإنسان العالم...و مهمة الشاعر في مثل هذا الوصف أن يلتقط وجه الشبه الحسي بين أمرين مختلفين فيصور الأشياء جامدة و متحركة في إطارها المكاني و الزماني [2]. و عليه فهي تعد الطريقة الإيحائية البسيطة لنقل ما تقع عليه عين الشاعر بصورة جم ـــالية تعجب السام ـــعين و تستميل أسماعهم و تستـحوذ على قلوبهم و مشاعرهم.

لقد استخدمه أبو الشمقمق بنسبة تقارب 23.52 بالمائة من مجموع شعره العام، فتنوعت مواد الوصف عنده بين عالم الإنسان و عالم الحيوان و عالم الطبيعة، فوصف من خلال هذه العوالم جوانب متعددة من حياته ، فرسم مجموعة من الصور الوصفية، بلغت 16 بيتا شعريا.يقول في وصف البغلة:[3]

و بغلة شهباء طيارة تطوي لي البلدان في السير

و قوله في وصف سوء حظه:[4]

لو ركبت البحار صارت فجاجا لا ترى في متونها أمواجا

فهو في هاذين البيتين يصور معاناته الداخلية صوب أمور شكلت من حياته الجزء الأكبر كالحلم و الحقيقة، ففي البيت الأول يصف البغلة التي لاطالما تمناها، في صورة تفاؤلية أثناء حلمه و يقظته كي يستعين بها على سفره و ترحاله.

أما البيت الثاني فيمثل صورة تشاؤمية فيها مسحة من الحزن، إذ أن البحر ينقسم ليصير طريقا واسعا أوسع من الشعب خالية تماما من الأمواج التي تزين البحر، و صورته هذه كغيرها من

1- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام . ص.161

2- ساسين عساف: الصورة الفنية و نماذجها في إبداع أبي نواس.المؤسسة الجامعة للدراسات و النشر و التوزيع.بيروت.1982 .(د.ط). ص23.

3- الديوان : ص47.

4- المرجع نفسه: ص33.

الصور، تجسد واقعه كفرد بشري يعيش في هذا المجتمع.و نلاحظ في عرضه لهذه الصور يبتعد عن ذكر الإيجابيات لمكونات مواد الصورة الوصفية عنده، حتى الصور التي وردت في التشبيه أو الإستعارة فهي صورة سلبية في عمومها.

وقد اتخذ من الوصف موضوعات كثيرة لأشعاره فأخذ البؤس و فاقته مكانا لا بأس به من الوصف، ووصفها بأشكال مختلفة، فوصف صداقاته مع عالم الحيوان بأسلوب بعيد عن النقل للواقع فقط، و إنما شكل قوالب شعرية قادرة على توضيح المعنى:[1]

و أقام السنور في البيت حولا ما يرى جوانب البيت فـاره
ينغض الرأس منه من شدة الجو ع و عيش فيه أذى و مـــراره
قلت لما رأيته ناكـــــــس الرأ س كئيبا في الجوف منه حراره
ويلك صبرا فأنت من خير سنـــ ـــور رأته عيناي قط بحـاره
قال:لا صبر لي و كيف مقامي ببيوت فقر كجوف الحـــماره
قلت:سر راشدا إلى بيت جاره مخصب رحله عظيم التـجاره

فهو في هذه الأبيات يرتفع من مستوى النقل إلى مستوى الإبداع و كأنه ينسج قصة مأساوية مؤلمة بينه و بين أصدقائه من الحيوانات، ومن هنا نستطيع القول أن شعره تميز في بعض أحواله بأسلوب قصصي شائق.

و تناول في الوصف أيضا عالم المهجو بكل أشكاله، من حاكم أو ندّه من الشعراء ، فترجم هذا الواقع شعرا ينبض بالحيوية و الحركة، بحيث ينقل القارئ من جوه الخاص إلى جو الشاعر و جو المهجو ، و تعد هذه النقلة للقارئ من إبداعات الشاعر و طاقاته الفنية على قولبة الواقع إلى أعمال فنية ترتكز على مستواها من الإبداع الذي ينبثق من ذاكرة الشاعر و فهمه للواقع.

أما المستوى الثاني فهو ***الكناية***، و ترتبط بإقامة علاقات بين الظاهر و الباطن و كما عرفها الدكتور الرباعي:"عبارة صورية عرضية و مباشرة تشير إلى معنى غير معناها الأصلي" [2]، فهي تعبر عن معنى في ذهن الشاعر يرى فيه قيمة تعبيرية تنقل الواقع الأصلي لهذه الصورة يقول:[3]

شرابك في السراب إذا عطشنا و خبزك عند منقطع التراب

1- الديوان: ص54.55.

2- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام . ص163.

3- الديوان: ص29.

إن الشاعر في هذا البيت ينقل و يصور مواقف حياته، تشير إلى معان مختلفة لا يراد بها معناها الأصلي، تتفق هذه المعاني و تجربة الشاعر ، ففي هذا البيت كنّى عن شراب المخاطب بالسراب الذي يتخيله العطشان في الصحراء القاحلة حينما يفقد الأمل في وجود أي مؤشر للحياة ، وهذا ليظهر مدى بخل مهجوه ، فلا فرق بين السراب و البخل فكلاهما يشتركان في عدم العطاء ، فهو لا يقصد هذه الصفات لذاتها إنما يهدف إلى دلالاته ا بالنسبة للشخص المكنّى عنه و نسبتها إ ليه ، وقد استخدم في سبيل ذلك العنصر اللغوي و سيلة لنقل هذه الصور و إعطائها دلالاتها.

و اتخذ من عالم الطبيعة صورا كنّى بها عن انفعالات و أحاسيس و تجارب شعرية صورها من خلال الطبيعة:[1]

و الله لو ملك البحار بأسرها و أتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهـــــوره لأبى و قال تيممن بصعيد

ففي هذين البيتين كنّى عن البحر بالسعة و الرزق ، فالبحر يدل على الشساعة و المدد و الاتساع، و كنّى عن التيمم بالبخل الذي يصيب الإنسان فيأبى أن يعطي شربة ماء رغم ما ملك من بحر.

ومن خلال هذه الكنايات نرى أن أبا الشمقمق يعتمد على إقامة علاقة بين طرفي الكناية التي قد تكون صفة أو موصوفا أو نسبة، و قد استمد موضوعات الكناية من الجو العام لحياته الشخصية التي كان يعيشها فاستخدم الكناية في الهجاء و رسم منها صورا له ، عبر بها عن صفات ممدوحه.

ومن هنا فإن الكناية تتخذ اتجاهين في معظم صورها ، اتجاه يستمد من واقع حياة الشاعر التي يعيشها و اتجاه يستمد من البناء الفكري للشاعر و رؤيته الشعرية لأن الشاعر أحيانا يقوم بعملية اختبار لا شعورية، ينظمها بداخله و يلونها حسبما تقتضيه تجربته الشعرية ومن هنا تبرز مقدرة الشاعر على تشكيل الصورة في شتى مجالاتها.

و أخيرا إن الصورة الإشارية تشكل وسيلة بسيطة وواضحة لنقل الشعور في التجربة الشعرية، ومثل هذه الصور ساذجة تسيطر سيطرة تامة على عقول البسطاء من الناس الذين تقترب صورهم من العبارات المباشرة[2].

1- الديوان : ص37.

2- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام: ص.164

و قد كانت هذه الصور عند أبي الشمقمق أقل نسـبة من غيرها، مما يؤكد عقلية أبي الشمقمق و لجوئه إلى الصور المعقدة و اتخاذها مادة للتعبير عما في نفسه و طرحها بأساليب شعرية كالتشبيه و الاستعارة.

التشبيه:

يلجأ الشعراء إلى أساليب بيانية متنوعة تتنوع حسبما تفرضه عليه طبيعة الإبداع الفني، أو التجربة الشعرية. و التشبيه واحد من هذه الأساليب البيانية التي لجأ إليها أبو الشمقمق ، إذ وقع عنده في خمس و أربعين بيتا شعريا، تدرجت في السهولة.

التشبيه كما يراه ابن رشيق:"ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بهما إلى حالة الإتحاد أو هو صفة الشيئ بما قاربه و شاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[1].

إن عملية اختيار الشاعر لمولد الصورة، ليست عملية حسابية يمكن إدخالها في عمليات حسابية تستطيع تأطيرها ،و إنما هي عملية تفرضها طبيعة الدوافع و الانفعالات أو المشاعر التي تحكم تلك اللحظة،و للخيال الشعري فيها نصيب أحيانا و الشاعر كما يقول رتشاردز:"يقوم بعملية اختيار غير واعية تفوق سلطة العادة"[2].

إذن فالشاعر يكون في حالة من الوعي و هو يخلق فنه لكنه وعي يختلف فيه عن وعي العالم في مصنعه. و يقول الدكتور الرباعي:"لو كان الشاعر يعي تماما كل ما في شعره لجاء بحقائق منطقية واضحة، لكن الثابت إن الشعراء لا يدركون تماما كنه أعمالهم و لا يستطيعون بالتالي الإبانة عما فيها"[3].

إن إبداع الشاعر لا يعتمـــد على مجرد الاختيار لمواد الصـــورة لكنه يتوقف أيضا على التشكيل و التركيب لتبرز الصورة الشعرية بمستوى يتناسب و طبيعة التجربة الشعرية، فلحظة البزوغ لحظة انفعال لاشعورية تنضبط هذه اللحظة و تكتمل في التركيب البنائي للصورة الذي يتسم بالحركة أحيانا أخرى و قد يجمع الشاعر بينهما في صوره التشبيهية.

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة.ج2 . ص.286

2- عبد القادر الرباعي الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام. ص214.

3- المرجع نفسه: ص214.

و يعتمد فهم الصورة على فهم العناصر الأساسية التي تتمثل كما يراها الدكتور الرباعي في صوره التشبيهية:

1 – نوعية العناصر الداخلية في تركيب الصور و علاقاتها المتشابكة.

2 – طبيعة العقلية المشكلة لذلك التركيب و رؤيتها للوجود.

إن أبا الشمقمق نوع في صوره التشبيهية ، فأخضع اختياراته لمواد الصورة إلى ومضات نفسية، هذه الومضات أدار عليها صوره في التشبيه، فمثلا إن كرهه للناس جعله يربط هذا البغض بصورة رآها في بيئته فقال بأنهم يشبهون مرة الكلب و تارة أخرى الخنزير، وما هذه الحيوانات إلا عناصر تشكلت منها البيئة الشعبية التي كان يعيش فيها الشاعر و ينتمي إليها.

ومن هنا فإن تشبيهات أبي الشمقمق صبغت في معظمها بحالات نفسية عاشها الشاعر و دارت حول موضوع الكره في أغلبيته و الإعجاب في قلته، فشكل منهما معظم صوره التشبيهية بنسب متفاوتة و كانت أداة التشبيه تمثل الرابط بين جزئي كل طرف من أطراف التشبيه عنده ، و لنأخذ بعض الأمثلة على ذلك يقول و هو يهجو أحدهم:[1]

يبس اليدين فما يستطيع بسطهما كأن كفيه شدا بالمسامير

نلاحظ أنه شكل صورة الهجاء من "الشدّ" الذي يحمل معنى "يبس" فاليدان اللتان تجودان في العطاء لا يستطيع المهجو بسطهما بسبب ما حل به من اليبس، تشبه و تماثل التي قد شدت و مسكت بالمسامير فلا يستطاع فتحها، بسبب الإحكام الجيد للتثبيت بالمسامير.

فقد أحسن الشاعر اختياره مادة الصور للرد على المهجو الذي أبى أن يعطيه شيئا مما يملك، فأدت مادة الصور غرضا بلاغيا و نفسيا ، انسجما و توحدا في قالب شعري يصور حالة الشاعر النفسية التي كان يعيشها خصوصا علاقاته مع أقرانه من الشعراء أو من الحكام و الولاة التي كانت لا تدوم على حال.

أما في مجال الوصف و التمني للأشياء التي فقدها في حياته راجيا من الزمان و الدهر أن يرزقه إياها، فنراه استخدم "مثل" أداة تشبيه فتتوحد لديه في حالة نفسية متميزة تجعل موضوعها الإنسان:[2]

و صاحب يلزمني دهره مثل لزوم الكيس للسير

1- الديوان: ص45.

2- المرجع نفسه: ص48.

اختار الشاعر "الإنسان" مادة تشكيل صورته ليعبر بذلك عن موقف نفسي مؤلم ، فالإنسان يتألم و يفرح، و له علاقات اجتماعية و صداقات مع الآخرين تطرح على صعيد العلاقات الإنسانية قيمة لا مادية ، لا يعطيه كبير اهتمام، لكن الإنسان عنده بالأشكال السلوكية التي يقوم بها، و هذه الأخيرة مادة تتخذ طابعا إيجابيا و آخر سلبيا، في هذا البيت يعرض للصورة الإجابية للإنسان عنده، فهو يريي ملازمة صاحب تدوم صداقتهما مدى الدهر فلا تنقطع أبدا مهما كانت الأسباب و الظروف، هذه ا لملازمة تشبه في تصور الشاعر ملازمة الكيس المصنوع من الجلد الذي تحمل فيه النقود، وهي ملازمة أبدية لا تنقطع.فربط هذا التوحد بأداة التشبيه"مثل" التي ربطت بين جزأين من لوازم الإنسان بين الصديق و الكيس.

و قد اتخذ الشاعر "الحيوان" مادة له في تشكيل بعض صوره ، هذه الحيوانات تشكل الرعب أو الإزدراء و التشاؤم في ذهن الشاعر ، فاستغل هذا التشكيل و أقام عليه صورا منها هذه الصورة التي وصف فيها حاله بعد هجرانه الديار:[1]

أنا بالأهـــــواز محزو ن و بالبصرة داري

صرت كالخفاش لا أبـــ ـــصر في ضوء النهار

فهو في هذه الصور شكل من شيئين كلا واحدا هو في وحشته و اشتياقه كالفاقد بصره في ضوء النهار، فلم يجد شيئا يماثله في هذه الصفة إلا الخفاش وه و رمز للشؤم و الحزن، مزج بين المعنى و اللون، فلون الخفاش أسود أو رمادي و هو رمز للسوء، واختار الأداة الرابطة في ذلك "الكاف" التي جمعت بين عنصر اللون و الأثر الناجم في النفس.

لم يكن الرابط بين أطراف التشبيه هي الأساس عنده بل نراه لجأ إلى أسلوب المقارنة و المايزة بين عوالم مختلفة بين الممدوح و المهجو و الكليبة القصيرة:[2]

جئته زائرا فأدنى ملكـــاني و تلقى بمرحب و تحيه

لا كمثل الأصم حارثة اللؤ م شبيه الكليبة القلطيه

فالممدوح الذي زاره الشاعر و أغدق عليه من خيره لا يماثله إعراض المهجو "حارثة" الأص ـــم و اللئيم فهو بخيل لا يماثل كرم الأول أبدا.و يستدعي الشاعر التشبيه الثاني ليؤكد بخل المهجو فكان تصويره بالكليبة القلطية ، فأنقص بذلك من شأنه، فهو لا يشبه الكلب المذكر بل هو مثيل

1- الديوان: ص43.

2- المرجع نفسه: ص97.

الكليبة و هو تصغير للكلبة الأنثى و زاد من بشاعة الصورة كلمة القلطية و التي تعني الصغيرة، لتكتمل بذلك صورة المهجو الدنيئة إما في الجانب الفزيولوجي (الأصم) أم فن الجانب النفسي (اللئيم أي البخيل) ليزيد التشبيه الأخير من حدة الصورة.

إن معظم صور أبي الشمقمق صور انتقائية تفاضلية ، تقوم على مبدأ الاختيار الحر و التشكيل الذاتي، و هذه الانتقائية تدور أو تتمركز حول الشاعر في معظمها ؛ إذ يصور فيها نفسه فيمثل الطرف الأول المشبه ، و المواد المنتقاة أو المفاضل بينها الطرف الثاني (المشبه به). و لم يكن الطرف الأول تسجيلا تاريخيا ، إنما هو عـــرض شخصيــته بأطر إبداعية متشاكلة، فالتشاؤم و الكـــره و الشكوى و الحزن، كلها أعراض لهذه الشخصية.

إن الصور التشبيهية و مواد الصور توزعت –كما قلنا سابقا- عند الشاعر توزيعا يتفق و حالة الشاعر النفسية، و إذا ما جئنــا إلى الأدوات نرى أن توزيعه ـــا تمركز حول بؤرة الأداة "الكاف" و "مثل" و يترأسها التشبيهات القائمة دون أداة و الجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول إحصائي يبين أدوات التشبيه المستعملة في شعر أبي الشمقمق

الأداة	عدد الأبيات	النسبة
الكاف	14	%19.58
كأنّ	05	%7.35
بلا أداة	15	%20.58
مثل	13	%19.11
كما	04	%5.88
شبيه	01	%1.47

لقد نوع أبو الشمقمق في استخدامه لأدوات التشبيه لتقريب معانيه و توضيحها. هذا التنوع فرض تنوعا في المواد الشعرية، التي غدت تنوعا في المواقف النفسية التي سيطرت على الشاعر.فوقعت أكثر الصور التشبيهية دون أداة و ذلك لزيادة صوره عمقا و بلاغة و لتأكيد صدق مشاعره، وهذا يجعلنا ندرج هذه التشبيهات تحت الاستعارة، لأن التشبيه دون أداة أقرب

إلى الاستعارة منه إلى التشبيه. وكما يقول الرباعي هناك فرق بين البيت المعقود بالكاف و بين خلوّ البيت من الكاف[1].

وردت عنده أداة تشبيهية قليلة الاستعمال "كما" و حرص على ربط جزئي البيت بها ليربط من خلالها أطراف التشبيه، و الربط بها يقرب المعنى و يزيده وضوحا و سهولة و بعدا عن التعقيد، و يدل أيضا على اهتمام الشاعر بالمواد أو المواقف التي نقلها و صورها من خلال هذه الأداة خصوصا، إذا عرفنا أن المواد التي وردت بها الأداة كانت مجرد تقرير أو وصف حسي لمهجوه.

و إذا ما عدنا إلى الأدوات التي استخدمها الشاعر للتشبيه و ربطنا هذه الأدوات بالأغراض الشعرية التي جاءت في أشعاره لاستطعنا رسم الجدول الآتي لنبين عدد الأبيات في كل غرض شعري:

جدول إحصائي يبين نسبة استعمال أدوات التشبيه في الأغراض الشعرية لشعر أبي الشمقمق

الأداة	الهجاء	الوصف	المدح
الكاف	10	03	01
كأنّ	04	01	/
بلا أداة	09	06	/
مثل	09	04	/
كما	01	02	01
شبيه	01	/	/

إن نظرة سريعة إلى هذا الجدول تبين لنا ما يأتي:

1-* إن معظم الأدوات التي وردت عند أبي الشمقمق جاءت في موضوع الهجاء سواء كان حسيا أو معنويا،و هذا ما يفسر شدة سخطه إزاء الأطراف المهجوة و حرصه على إعطاء الهجاء ربما قيمة جمالية ،و الاهتمام الشديد بموضوع الهجاء الذي يتمركز حول أقرانه من الشعراء أو الولاة لأنهم مثلوا عنده مواقف كثيرة، ولذا وظف لهم أدوات شعرية تتناسب و طبيعة هذه المواقف.

1- عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام. ص.165

2-* يأتي في المرتبة الثانية من الأدوات التي جاءت في شعره موضوع الوصف الذي لم يقل عنده عن الهجاء فحرصه على وصف حالته المزرية و فقره يأتي من حرصه على التنويع في أدوات التشبيه و خصوصا أداة التشبيه "الكاف" ليؤكد صدق مشاعره ومدى آلامه.

الاستعارة:

الاستعارة من أنواع البيان التي لم يستخدمها أبو الشمقمق في شعره كثيرا إذا ما قورنت بالتشبيه الذي قصد من خلاله ربط معنى الواقع بالشيء الذي يريد إفهامه و سبق أن تحدثنا عن هذا آنفا.

و الاستعارة كما يقول ابن رشيق:"أفضل المجاز و أول أبواب البديع و ليس في حلى الشعر أعجب منها و هي من محاسن الكلام إذا وضعت موضعها و الناس مختلفون فيها منهم من يستعير للشيء ما ليس منه و لا إليه ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه" [1].و يأتي عمق الاستعارة من أنها تلغي الحدود و تدمج الأشياء حتى المتنافرة منها في وحدة، وما الاستعارة - بناء على ذلك - إلا مظهر الفعالية الخلاقة بين اللغة و الفكر و هذه الفعالية تقوم مع غالبيتها على المشابهة أو هي مماثلة بين أشياء غير متماثلة.

و الاستعارة كما يقول مصطفى ناصف:"هي بنت الحدس و الحدس تعاطف يتجاوز المشابهة و لا يتقيد بها و هذه المشابهة تفيد بما هو خارجي ظاهري"[2].

و عليه فإن الاستعارة ضرورة عقلية و فكرية ، تشعر الإنسان بضعفه عن وصف حالة شعورية فيلجأ إلى الاستعارة من أجل التوضيح، وهي تتميز بقدرتها على نقل الصور و الانفعال نقلا مكثفا و قادرا على صهر العناصر الداخلية في بوتقة واحدة تمثل الإحساس الشاعري[3].

إن الاستعارة أكثر عمقا و أدق تعبيرا و تناولا عن غيرها من الأساليب الب لاغية و يتحكم في نضجها و بنائها عقلية الشاعر و قدرته على صقل مواهبه و قدراته في تشكيل صور استعارية تسجل و ترسم أحاسيس الشاعر و فكره .و تعتمد الاستعارة على طرفين أساسين في البناء هما المشبه و المشبه به، فإذا حذف المشبه به سميت استعارة تصريحية، أما إذا ذكر المشبه و حذف المشبه به سميت "مكنية" و هذا التقسيم درج عليه البلاغيون قديما.

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة .دار المعارف.القاهرة.مصر.(د.ت).(د.ط). ج2. ص.286

2- مصطفى ناصف: الصورة الأدبية.دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع.بيروت.(د.ت).ط2 .1981 . ص.140

3- زهير محمد منصور: أبو الشيص الخزاعي.حياته و شعره. ص188.

إن بنائية الاستعارة عند أبي الشمقمق تناولت أوصافا مادية مختلفة ، هذه الأوصاف أبدعتها أفكار الشاعر و طموحاته ليشكل منها عالمه الفكري الخاص به ، فانصهرت في بوتقات شعرية شكلها الشاعر من مستويات مختلفة ربط فيها بين المستعار له للمستعار منه و أوجد توحدا بنائيا بين إحدى الصور، يقول:[1]

أصم و أعمى ينغض الدهر رأسه يسير على ميل بغير قياد

فقد عبر عن سوء أخلاقه و شحه و قلة فهمه بتحريك رأسه إلى أسفل و أعلى و هذا الانغاض يعني عنده عدم الفهم و دلالة الصم و العمي و ذكر القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي فوقعت في الفعل "ينغض" و كأن من نتيجته هذا الانغاض هو السير على غير هدى و دون قائد أو دليل.

و معظم استعارات أبي الشمقمق من مستويات عقلية رائعة تعتمد على التحليل و التركيب لمستويات فنية مختلفة تتناول جوانب من الإبداع الفني كالتجسيد و الذي يعني المعنى في تجسيد شيء أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية مثال ذلك أن جعل الدنيا تعطي و تمنح:[2]

مناي من دنياي هاته التي تسلح بالرزق على غيري

فالدنيا لا تعطي و لا تهب فجسدها بقدرة تمنح صاحبها الرزق دونه، هذا ليعبر عن مواقف حياتيه عاشها الشاعر و استحسنها.

و في العموم فالتشبيه –كما قلنا– مرحلة البسط في التركيب من الاستعارة، و لذلك ومن خلال دراستي لأشعار أبي الشمقمق يتبين لي أن استعاراته لم تكن كثيرة ، ذلك أنها تحتاج في معظمها إلى تحليل و ربط بين التشبيه و الاستعارة لمعرفة دقة هذه التراكيب، فابتعد عن ذلك لا يختار التشبيه الذي ما هو إلا نقل لما تقع عليه عين الشاعر و صياغة هذا الواقع في قوالب شعرية.

1- الديوان: ص39.

2- المرجع نفسه: ص46.

المبحث الرابع: البناء اللغوي و الأسلوبي

إن لغة الشعر في كل عصر دلالة على حياته العقلية و الاجتماعية و يصيب اللغة ما يصيب الحياة من تطور و تغير، و عليه فإن اللغة في العصر العباسي تطورت، لحدوث تفاعل بينها و بين نفوس الشعراء الذين تطورت عقليتهم وثقافتهم و أسلوب حياتهم، و لذلك ظهر ما يسمى باللغة المولودة في القرن الثاني نتيجة اختلاط اللغة العربية بغيرها من اللغات و خاصة الفارسية نتيجة لتداخل الأجناس البشرية في هذا القرن[1].

حافظت اللغة العربية على كيانها و بنائها فلم تستبدل لغة بلغة، بل تطورت طرائق تعبيرها و في تركيب جملها فأصبحت لغة القرن الثاني رقيقة سهلة عذبة ابتعدت في بعضها عن روح البـــداوة و ذلك نتيجة للتطور الاجتماعي و تطور أحاسيس الشعراء، يقول قدامة بن جعفر:"من عيوب الشعر أن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط و لا يتكلم به إلا شاذا و هذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل أنه حسن لكن من شعرائهم من كان إعرابيا فقد غلبت عليه العجرفة، و لأن من كان يأتي منهم بالحواشي لم يكن به على التطلب و التكلف لما يستعمله منه لكن بعادته و على سجية لفظه".[2]

إن اللفظ هو المادة في بناء القصيدة الشعرية، فهو بما يثيره من أشكال يمنحها الصورة وبما فيه من جرس يهبها الإيقاع[3]، وهذا لا يتأتى إلا بدوافع ذاتية تنطلق من داخل الشاعر، مصـــدرها الشدة و الحاجة و ذلك لتفاعل مواقف مختلفة في ذاته تبرز في أشكال لفظية متنوعة،وباعتبار أن اللغة أداة تعبير عن الوجود و رمز له في آن و باعتبار أنها إدراك حسي للأشياء و تجريد له فهي محاكاة للطبيعة و مجموعة رموز دالة على الطبيعة و الأشياء فالكلمة في اللغة الشعرية تكتسب معنى جديدا[4].

إن الشعراء يستخدمون الألفاظ استخداما خالصا لأنهم يريدون منها أن تؤدي وظيفة خاصة غير عادية و لا تستمد من معجم اللغة ولكن من معجم الحالات النفسية [5].فتطبع اللغة بأبعاد وجدانية

1- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن 2هـ .دار المعارف. القاهرة.(د.ت).ط1 .1969. ص.582.

2- قدامة بن جعفر: نقد الشعر . تح . محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة .1978 . (د.ط).ص.70

3- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام. ص.240

4- ساسين عساف: الصورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس. ص15.

5- المرجع نفسه: ص.17

و أحاسيس خاصة تتحدد و تتطور مع تطور الحياة و اللغة بوظيفتها الإشارية الدلالية أو الجمالية التعبيرية، فإن كل معنى يؤدي معنى يخدم الغرض الذي وضع من أجله.و تسهم كل منهما في بناء تركيبي خاص يختلف عن الآخر اختلافا يشبه الاختلاف أو الفرق بين التاريخ و الشعر، و الشعراء يستخدمون لغة سحرية خلاقة دينامية تصور حياتهم و معاناتهم الداخلية، هذه المعاناة تفرض على الشاعر التنويع في قوالبه الشعرية المستخدمة فتنسجم صياغة الكلام عندهم مع الدفق الشعوري بشكل يتوافق و طبيعة التجربة الشعرية.

إن تكوين القوالب اللغوية و صقلها و تنسيقها قيما تعبيرية أمر يتطلب عملا شاقا و قدرة على استحضار لحظة المعاناة التي يعيشها الشاعر ،لأنه في استخدامه للغة التعبيرية الجمالية قد لا يصور معاناة حقيقية بل يصور أمورا متخيلة لم تحدث بعد، فينفعل مع الموقف الشعري المتخيل ، و لكنه يستطيع أن يجد الألفاظ المناسبة لهذه المعاناة و ذلك من خلال امتلاكه الألفاظ اللغوية و السيطرة عليها[1].

إن أبا الشمقمق شاعر لم يحظ بثقافة واسعة الإطلاع، و هبته الحياة علما و دروسا أفاد منها الكثير، فتعلم من نشأته الحكمة و التجربة و دقة اللفظ ، و لذا يمكن القول أن الشاعر صاحب معجم لغوي خاص ليست اللغة مصدره الوحيد بل المشاعر و المعاناة من مكوناته، حيث نرى أن شعره انطبع بمواقف و حالات نفسية خاصة تميزه عن شعر غيره، فكانت له القدرة على التصرف في الألفاظ و تنسيقها بشكل يتناسب و الحالة النفسية ففاضت لغته بروح الحيوية و النشاط مما يجعل القارئ يحس بجدية الحروف و متعة الكلمة فأفاض عليها ثوبا من الحركة ، ومن أمثلة ذلك:[2]

أخذ الفأر برجلي جفلوا منها خفافي

درجوا حولي بزفن و بضرب من الدفاف

قلت:ماهذا؟فقالوا أنت من أهل الزفاف

وإذا ما تأملنا الحركة و النشاط في هذه الأبيات نرى أن الشاعر أفاض على أبياته هذه عالما من الحركة و الحيوية،فالفأر جعله يغني بل و يضرب على الدف وف و لزيادة بروز عنصر الحركة لجأ الشاعر إلى حركية الأفعال داخل الأبيات،تلك الحركة التي لازالت تنبض بالحيوية و النشاط فنراه يستخدم "أخذ، درجوا،جفلوا..." هذه الأفعال أفعال حركية الأصل و المعنى،و لم يكن الشاعر يمنح

1- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام. ص242.

2- الديوان: ص68.

الحيوية لألفاظه على حساب معناها بل راح يلبس القديم منـــها ثوب الجدة الذي يرى فيه التوافق و طبيعة العصر العباسي،فنراه يصف مشقة الرحلة تجاه ممدوحه شاكيا له من نائبة الدهر، ذلك أنه جعل هذه الرحلة مطية سريعة و مباشرة لرفع شكواه إلى ممدوحه، على نحو ما مدح به يزيد والي اليمن:[1]

رحل المطي إليك طلاب الندى و رحلت نحوك ناقة نعليّه

إن لم تكن لي يا يزيد مطية فجعلتها لي في السفار مطيّه

فهو يصف حالته الرثة إذ إنه كان راجلا بلا مطية فهو بدل أن يصف مشقة السفر ليصل إلى الممدوح نراه يصف مشقة السفر لسوء حاله و قلة ماله.

و مع حرصه على جدة ألفاظه و ملائمتها للذوق ، إلا أننا نراه يستخدم كلمات غريبة ، ومثل ذلك قوله للهادي ، وسعيد بن سلم عنده فأنشده:[2]

وشعري شعر يشتهي الناس أكله كما يشتهي زبد بزب رباح

و على رأس الهادي خادم اسمه رباح، فقال له الهادي: ماعنيت بزب رباح؟

قال: تمر عندنا بالبصرة، إذا أكله الإنسان وجد طعمه في كعبه.

قال: ومن يشهد لك بذلك؟

قال: القاعد عن يمينك.

قال:أهكذا هو ياسعيد؟

قال:نعم.

فأمر بألفي درهم.

وكما حرص على بعث الحيوية و النشاط في حروفه و تراكيبه، حرص أيضا على إيجاد وحدة من النغم النفسي.أضفاها على بعض قصائده خصوصا التي يصف فيها فقره، فكان وصفه لبؤسه ينسجم مع حالته، فنحس مسحة من الحزن و الألم تسيطر على معظم هذه القصائد خصوصا إذا استطعنا الربط بين أجزاء القصائد عنده لتكون تلاحما نفسيا بين هذه الأجزاء.

إن وحدة النغم الموسيـــقي التي غلبت على قصائـــده ساعدت الشاعر على استـــشراف المعنى و رشف معانيه، فكانت لغته الشعرية لغة سحرية خاصة به انتقل بها من مجرد الدلالة إلى كونها

1- المرجع السابق: ص96.

2- المرجع السابق: ص35.

وسيلة للتعبير عما يدور في ذهن الإنسان،لذلك وفر لبنائه اللغوي ألفاظا ذات جرس موسيقى جزلة محكمة البناء تنبعث من حروفها الحدة و التوهج، بدت هذه الألفاظ في هجائه ا للاذع حيث لجأ إلى الربط بين طبيعة الموقف الشعري و الكلمة المستخدمة له فمثلا نراه يقول في هجائه:[1]

و له لحية تيس و له منـــقار نسر

و له نكهة ليث خالطت نكهة صقر

فنراه كما يبدو من الأبيات السابقة يعتمد على انتقاء كلماته و ألفاظه ؛ بحيث يوفر لكل موقف شعري أو تجربة شعرية ما يناسبها من ألفاظ حتى تعطي هذه الألفاظ المعنى المراد التعبير عنه ليمنحها حركية دائمة. ومثل ذلك قوله:[2]

و شرابهم بول الحما ر مزاجه بول الحماره

فنراه يعتمد الأسلوب المنطقي في ترتيب الأحداث كي يحافظ على تناسقها فالشرب يأتي أولا ثم بعد ذلك يأتي المزح كمرحلة تالية للمرحلة الأولى، و من هنا نرى أن الشاعر حريص على ترتيب مشاعره الخاصة التي يعانيها، فيبدأ بالمهم ثم الأهم، وقد يكون مرد ذلك تسهيل وقع الأحداث على نفس الشاعر.

كما نلاحظ أن أبا الشمقمق في هجائه ركز على الصفات المعنوية و كذا المادية و هو بذلك لم يبتعد عن ارتكازه على الحدثية المثيرة، و ذلك لأن وصفه للمهجو لا يتطلب إلا وصفا لبخله أو صفاته التي يراها هو فيه،فيجود حينها لسانه و قريحته دون توقف و لا جموح، ومثل ذلك قوله:[3]

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة حتى نزلت على أرض ابن منصور

الحابس الروث في أعفاج بغلته خوفا على الحب من لقط العصافير

لقد منح هذه الصفات قوة و رصانة فجاءت كلماته في الهجاء متماسكة بأنماط استعارية مختلفة توحي بانبعاث أنفاس الشاعر في حروفها و كلمـــاتها ، و هذا يؤكد صدق الشاعر في عواطـــفه و صدق تصويره لما يحس به، ومن هنا يمكن القول أن طبيعة الألفاظ عند الشاعر تحمل سيرة ذاتية أو ترجمة خاصة لحياته تجاه ما يعانيه من جشع ذوي النفوذ.

1-المرجع السابق : ص44.

2- المرجع السابق: ص 53.

3- المرجع السابق: ص57.

لم يلجأ أبو الشمقمق إلى استخدام الألفاظ الفلسفية و العقلية التي تعتمد على براهين منطق ـــية و حجج عقلية، ليستدل بها على مواضيع خاصة إلا ما ندر، و لكنها لم تبلغ شأوا في الفلسفة كما هي عند أبي تمام مثلا، بل كانت من باب التلاعب بالألفاظ و التراكيب و مثل ذلك قوله:

خبز المعلم و البقال متفق و اللون مختلف و الطعم و الصور

ومثل هذا القول يعتمد على المقارنة و الحجج العقلية حتى يدل على فقر المعلم و يقارنه بالبقال وهو ما يسمى بالقياس.

لم يعتمد الشاعر في أحكام بنائه اللغوي على اللفظ فقط بل على المعنى الذي يعد جوهرا يحوي في ثناياه اللفظ كما في قوله:[1]

صلابة الوجه سلاح الفتى و رقة الوجه من الحرفة

من كان صلبا وجهه محكما فأنت منه الدهر في طرفة

إن ترابط المعاني في هذه الأبيات و تماسكها، أعطى هذه الأبيات جدة في المعنى و حدة في التعبير.

انسجمت الكلمات عند الشاعر مع التدفق الشعوري، دونما تشويه للصياغة أو إبعاد لها عن معناها، فكانت اللغة عنده طاقة دينامية من الحركة و الإيقاع ، استمد قوتها من كونها تتجاوز العادي المألوف لتبين الزمن المباشر، و على الرغم من هذا الانسجام و البعد عن التشويه.إلا أننا نرى الشاعر يخرج على قواعد العربية، أحيانا لكنه خروج غير فاحش من ذلك أنه استخدم كلمات غريبة البناء كـــ "التقماز" في قوله:[2]

حيث لا تنكر المعازف و اللهو و شرب الفتى من التقماز

و الظاهر أنها تعني من سياق الكلام الخمرة.

لقد اتخذت اللغة عنده أبعاد عميقة تتجاوز طبيعتها المعجمية الجامدة، تتوالى فيها ألفاظ مغلقة بالأخيلة و المشاعر، فاعتمد في ذلك كله على شكل الأفعال و تتابعها ، وهذا واضح من خلال قصائده و مقـــطوعاته ، إذ نلاحظ أنه يكثر من ذكر الجمل الاسمية و يغلبها على الجملة الفـــعلية و ذلك لأن الشاعر في شعره تعلق بالمكان تعلقا لا يرتبط بزمن محدد ، و لأن كثرة الأفعال أيضا تقيد الشاعر بزمان معين، و الشاعر بطبيعته متمرد على قيود الزمن، و حواجزه الامادية و كذلك

1- المرجع السابق: ص69.

2- المرجع السابق: ص. 61.

فإن اهتمام الشاعر بالأخيلة و بنقل السامعين إلى أجوائه الخاصة و التي هي أجواء عامة الناس، جعله يكثر من الصفات الخلقية، و حتى يزيد من عمق هذه الصفات و زيادة تأثيرها لجأ إلى أساليب بلاغية منها الأساليب البدائية كأسلوب النداء في قوله:" أيها الملك الذي جمع الجلالة و الوقاره" و أسلوب التحذير في قوله:"الطريق الطريق جاءكم الأحمق رأس الأنتان و القذارة" و أسلوب المدح في قوله:"و لنعم الفتى سعيد"، ثم نراه استعمل الجمل الانشائية الطلبية المتمثلة في فعل الأمر كنحو قوله:[1]

فسلم عليه فاتر الطرف ضاحكا و صوت له بالحارث بن عباد

ومثل ذلك كثير في أشعاره.

و جملة القول أن أبا الشمقمق الذي عاش القرن الثاني الهجري بتياراته التجديدية المختلفة و الاتجاهات سواء في اللغة أم في الأوزان و الأغراض الشعرية، حرص على أن تكون هذه اللغة – أي لغة شعره – هي لغة الحياة اليومية نفسها أو القريبة منها ، و لهذا وجد بين الشعراء من كان نظم الشعر عليه أهون من شرب الماء و السبب في ذلك كما يقول هدارة أنهم لم يكونوا مضطرين إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعهم فيصطدم إلهامهم عند ذلك بعفوية تجعل نظمهم بطيئا ، و لم يكونوا مضطرين أيضا إلى التأنق في ألفاظهم و التروي فيها مثلما كان يفعل بعض الشعراء من المتكلفين في عصرهم، لذلك كانت تنهال عليهم الأشعار في سهولة و بساطة تعبر عن أفكارهم مباشرة بلا تعقيد ، و تنتج هذه المعاني المباشرة ألفاظا في سهولة موجبة قريبة من لغة الحياة اليومية سرعان ما تذيع هذه الأشعار فيقبل عليها الناس في سهولة و يسر و تصبح جزء من ثقافتهم و مرآة تنعكس عليه أفكارهم و عواطفهم[2]، ومن هؤلاء أبو الشمقمق .

يتضح مما تقدم أن لغة الشعر في القرن الثاني قد تطورت بالنسبة للغة الشعر القديم تطورا واضحا بدأ ذلك في مادة اللغة و طرق تعبيرها و هجر الألفاظ الجزلة القديمة و البعد عن الحوشي الغريب إلى درجة وصل بهم الحد إلى اختيار ألفاظ من لغة الحياة اليومية، فاقتربت اللغة عند بعضهم من اللغة الشعبية المستخدمة في عصر الشاعر.

إضافة إلى ما قلناه عن اللغة نرى أن شعراء القرن الثاني الهجري اهتموا بالصنعة اللفظية و يقصد بها الزخرفة التي أحدثها الشعراء من جناس و طباق . و الصنعة المعنوية و نعني بها الصورة الشعرية

1- المرجع السابق: ص38.

2- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن 2 هـ. ص.554

التي ترتكز على عناصر التشبيه و التمثيل و الاستعارة و الكناية...و سبب هذا الاهتمام طبيعة اللغة العربية و تطور المجتمع من جميع نواحيه فترع إليها الشعراء بمختلف بيئاتهم ، فنجد أبالشمقمق في شعره يميل ميلا خفيفا إلى الصنعة الشعرية سواء اللفظية أم المعنوية،فهو في حين يصور بخل أحدهم لدرجة أن كفاه صارت كالقفل الذي ضل مفتاحه حتى الحداد عجز عن فتحه بل إنه يئس:[1]

كفاه قفل ضل مفتاحه قد يئس الحداد من فتحه

و يستبع كل من أراد أن ينال العطاء من سعيد و كأنه يضرب في الحديد البارد الذي لا يلين للضرب إلا إذا كان حارا:[2]

هيهات تضرب في حديد بارد إن كنت تطمح في نوال سعيد

ثم يبدأ في تصويره لشكل المهجو ساخرا منه:[3]

بأصلع مثل الجرو جهم غضنفر معاود طعن جائف و سناد

كما يصف انعدام الصدق من البخلاء و بخلهم في إبدائه أما صفة الكذب فهي كالعسل في ظاهره السيء في باطنه:[4]

الصدق في أفواههم علقم و الإفك مثل العسل الماذي

أما في صناعة أبي الشمقمق فتتضح في قوله:[5]

الحمد لله شكرا أمشي و يركب غيري

فنراه يستخدم الطباق في (أمشي-يركب) و المقابلة في قوله:[6]

وأحببت في حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا

إلى غير ذلك من الأمثلة ، و لكن الصناعة اللفظية لم تكن على مستوى من الاستخدام عند الشاعر كما هي الصنعة المعنوية ، و ذلك تبعا لنضج الثقافة العربية و اتساع مداركها، فالصناعة

1- الديوان: ص36.

2- المرجع نفسه: ص40.

3- المرجع نفسه: ص38.

4- المرجع نفسه: ص42.

5- المرجع نفسه: ص46.

6- المرجع نفسه: ص39.

المعنوية تعد من المظاهر العقلية الرائعة في العصر العباسي التي تشير بوضوح إلى نضج العقلية العربية، و إذا ما حاولنا وضع خصائص عامة لأسلوب الشاعر و خصائصه الفنية نرى:

1-* بروز الصنعة المعنوية و ذلك من خلال صوره و تشبيهاته و استعاراته و طغيان ذلك على الصنعة اللفظية التي كانت قليلة البروز في أشعاره، و لا نعني بالصنعة التكلف و إنما هي القدرة على صياغة الأساليب الشعرية و هي أيضا لحظة الإلهام التي يستحضرها الشاعر.

2-* قدرته على إعطاء الكلمة مكانها المناسب اللائق بها و هذا يؤكد حرص الشاعر واهتمامه بكلماته ذات الجرس الموسيقي التي يستطيع نقل القارئ من جوه الخاص إلى جو القصيدة العام ليتعايش مع هموم الشاعر و آلامه، و التي هي هموم العامة من الشعب.

3-* حرص الشاعر على بنائه الموسيق ي، فوفر لهذا البناء أوزانا شعرية تناسبه و تتسع لمعانيه ، فكانت معظم أوزانه من البحور الطويلة، مما يؤكد حرص الشاعر إلتزامه بالقديم و المحافظة عليه.

4-* ابتعاده قليلا عن حوشي القول و غريب الكلام فاقتربت ألفاظه و تراكيبه من لغة الحياة اليومية لسهولتها و بساطة تراكيـــبها، ليتـمكن العامة و الخاصة من فهمها عدا بعض الصـــفات و الألفاظ التي استخدمها في بعض أبياته و هذا ما أشرنا إليه سابقا.

المبحث الخامس: البناء الموسيقي

يعد البناء الموسيقي ركنا مهما لفهم النص الشعري و الحكم على جودته و استحسانه و قبوله، فالمعاني الشعرية متداولة بين الشعراء يعرفها العربي و العجمي و البدوي و إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و في صحة الطبع و ج ـــودة السبك، فإنما الشعر صـــناعة و ضرب من النسيج و جنس من التصوير[1].

عاش أبو الشمقمق في العاصمة بغداد نيفا من الزمن و تأثر بأجوائها الماجنة الخليعة و أجوائها الأدبية عامة مما جعل الشاعر يحرص على توفير الوزن المناسب لبنائه الشعري و يحرص على اختياره للألفاظ و التراكيب التي تبعث الحيوية و الروح الشعبية و يحرص على أشعاره محكمة رصينة تتلاءم موسيقاها الداخلية مع نفسية الشاعر ، فقوة أشعاره تستمد من بحوره الاشعرية التي نظم عليها.

يلجأ الشاعر كثيرا في بناء موسيقاه الشـــعرية على الأوزان الخفيفة كالبـحر الوافر و الخفيف و الرمل إضافة إلى قلة بنائه على الأوزان المجزوء، و الكامل و الرمل ، وعليه فإن أبا الشمقمق خالف شعراء عصره في الإكثار و التوسع من استخدام الأوزان القصيرة الرشيقة ، و لم يبح لنفسه تجربة الأوزان الطويلة ،و لم يسعفه الحظ على ابتكار أوزان شعرية جديدة. وما يعتقد هو أن الشاعر كان يحاول إرضاء ممدوحه أحيانا و إثبات قدرته و تملكه للثقافة العربية و بالضبط الثقافة الشعبية و محافظة منه على الهيكل العام للقصيدة العربية و حرصا على شيوع الروح الشعبية في موسيقى شعره و تراكيبه.

ومن خلال استعراضنا للقصائد و المقطوعات المدونة في أشعار الشاعر يتبين لنا التوزيع التالي:

جدول إحصائي يبين توزيع البحور الشعرية في أشعار أبي الشمقمق

البحر	عدد القصائد و المقطوعات	البحر	عدد القصائد و المقطوعات
الكامل	09	الرجز	01
الطويل	07	الوافر	04
البسيط	07	الهزج	/
السريع	08	الرمل	13
الخفيف	10	المتدارك	/

1- الجاحظ: كتاب الحيوان.ج1.ص .40

المنسرح	02	المجتث	04
المتقارب	03		
المجموع			68

إن إلقاء نظرة سريعة على هذا الجدول لتوزيع البحور الشعرية يتبين لنا أن معظم القصائد و المقطوعات نظمها على بحر الرمل الذي احتل أعلى نسبة من بين البحور الأخرى إذ تعادل نسبة القصائد التي نظمت على هذا البحر ما يقارب 19.11% ثم البحر الخفيف الذي بلغ مجموع من نظم عليه من أشعار14.70% وهذا ما فسرناه من قبل.

ثم نلاحظ أن الشاعر لا يهتم بالبحور المجزوءة، فندر نظمه الشعري عليها، و لم يتوقف الأمر عند حد عدم الاهتمام بل نراه يهمل بعض الأوزان الشعرية كالمضارع و المقتضب انطلاقا من ندرة استعمال الشعراء لهذه البحور قديما و حديثا.

لقد نظم بعض القصائد و المقطوعات على البحور التي عدها النقاد صالحة للغنـــاء لخفة أوزانها و لمناسبتها الذوق كالخفيف و الرمل و السريع و المجتث.

و من هنا يمكن القول أن أبا الشمقمق جرى في بنائه الموسيقي مجرى الأوائل، فاعتمد الأوزان الطويلة، و جعلها مدار شعره، ووزعها على أغراض شعرية مختلفة ، إضافة إلى بعض الأوزان الخفيفة التي نظم عليها بعض مقطوعاته الشعرية.

ومن خلال توزيع البحور الشعرية على شعر الشاعر يتبين أنها شملت معظم أغراض الشعر من هجاء و الوصف و المدح و الشكوى، و الهزل و المزاح، و الجدول الآتي يبين ذلك:

جدول يبين توزيع البحور الشعرية في الأغراض الشعرية لأبي الشمقمق

البحور	الهجاء	الوصف	المدح	الشكوى	الهزل و المزاح	عدد الأبيات
الكامل	05	/	04	/		09
الطويل	03	/	03	/	01	07
البسيط	04	02	/	/	01	07
السريع	05	02	01	/	/	08
الخفيف	03	04	02	01	/	10
المنسرح	/	02	/	/	/	02

المتقارب	02	01	/	/	/	03
الرجز	01	/	/	/	/	01
الوافر	03	01	/	/	/	04
الرمل	07	03	/	02	01	13
المجتث	02	01	/	/	01	04
المجموع	35	16	10	03	04	68

يتبين من هذا الجدول ما يلي:

تنوعت الأغراض الشعرية التي نظم عليها بحوره الشعرية فأدار بحوره على معظم أغراض الشعر العربي و لكنها تمركزت حول الأغراض الرئيسية وهي الهجاء و الوصف و ذلك لكثرة أشعاره عليها ثم إن أكثر البحور الشعرية التي تألفها آذن الناس في بيئته اللغة العربية، فأكثر من النظم عليه فجاءت عليه معظم أغراضه الشعرية كالهجاء و الوصف و الشكوى و الهزل ، فكان هذا التنوع موافقا لما قيل عن البحر بأنه من البحور المألوفة ، و جاء نظمه على هذا البحر بتفعيلاته الأساسية: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن،إلا أنه دخلته بعض التعديلات و التغيرات التي تطرأ عادة على كل البحور ، ومن أمثلة ذلك:

لا يرى منه علينا أثر لا يكون الجود إلاّ بأثر

لا يرى منهو علينا أثرن لا يكون لجود إللا بأثر

0///0/0/ /0/0 /0//0/ 0///0/0// 0/0/ 0//0/

فاعلاتن فاعلاتن فعلا فاعلاتن فاعلاتن فعلا

ومثل هذا التغيير في التفصيلات يخضع لطبيعة التجربة الشعرية التي يعيشها الشاعر لحظة بزوغ الانفعال، و كثير ما استعمل الشاعر هذا البحر مجزوء و هو إن عمد إلى هذا فليصير البيت أ خف على اللسان و أسهل للسماع و الحفظ و كيف لا و هو راوية الصبيان.

لجأ أبو الشمقمق كما قلنا إلى النظم على البحور الطويلة حيث تناسبت هذه البحور و أغراضه الشعرية فقد نظم على الكامل ، الرمل ، البسيط ، الطويل و الخفيف معظم قصائده و مـــقطوعاته و ذلك لاتساع هذه البحور لكثير من المعاني و لرقتها و جزالة النظم عليها إضافة إلى أن الرمل خاصة يصلح لأكثر الموضوعات و هو في الخبر أجود منه في الإنشاء و أقرب إلى الرقة[1].

1- أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. (د.ت). ط8 .1973. ص.32

و نلاحظ أن أبا الشمقمق يحرص على متانة بنائه الشعري، لذلك نظم معظم أشعاره على البحور التي أدار عليها القدماء أشعارهم فابتعد في نظمه على الأوزان المجزوءة و القصيرة ، حرصا على تلاحم أجزاء البناء عنده إلا ما قيل في بحري الكامل و الرمل.

إن نظرة سريعة لبقية البحور عند الشاعر تلفت انتباهنا إلى قضية مهمة في أشعاره هي حرصه على جلب أذن السامع واستهواء القلوب، فكانت بحوره كالرمل مثلا رقيقة مطربة تتدفق طراوة،ولقد أخذت النصيب الأوفر والذي نظم عليه فن الهجاء،ثم إن البحر الخفيف نظم عليه في فن الوصف وذلك لأنه بحر خفيف على الطبع وأطيب للسمع.

أما بقية البحور فقد كانت في معظمها بحور رشيقة فيها رنة و نغمة ، تتناسب و طبيعة الموضوع الشعري المختار لها ، فالكامل مثلا نظم عليه مقطوعات مدحية، و كذلك بقية البحور الشعرية الأخرى كالهزج و الوافر، لذلك جاءت معظم قصائده و مقطوعاته التي نظم عليها في الهجاء و الوصف.

و أخيرا يمكن القول أن أبا الشمقمق في أوزانه و موسيقاه أحيا أوزانا قديمة لم يهتم بها القدماء كالسريع و المتدارك و المجتث و الرمل فنظم عليها ما استطاع نظمه ، ثم نراه لا يهتم ببعض الأوزان الشعرية التي تعد مادة صالحة للغناء في عصر الشاعر كالمضارع و المقتضب .

أما الشق الثاني الذي يعطي الموسيقى حيوية و دفقا شعوريا متناسقا فهو القافي ة التي يستخدمها الشاعر في شعره لذا اهتم بقوافيه اهتماما لا يقل عن اهتمامه بأوزانه و موسيقاه، و الشعر لا يسمى شعرا حتى يكون له وزن و قافية [1]، فاختار لقوافيه أحرفا تتلاءم مع أوزانه الشعرية ، فنوع في قوافيه تنوعا فرضه عليه الغرض الشعري، لذلك جاءت قوافيه موزعة على النحو الآتي:

جدول يبين توزيع القوافي في الأغراض الشعرية في شعر أبي الشمقمق

القوافي	الهجاء	الوصف	المدح	الشكوى	الهزل و المزاح	المجموع
الراء	08	04	01	02	/	15
الام	03	03	03	/	03	12
الدال	04	/	02	/	/	06
النون	05	01	/	/	/	06

1- ابن رشيق: العمدة. ج1 . ص.151

الياء	04	01	01	/	/	06
الباء	03	01	/	/	/	04
القاف	02	02	/	/	/	04
الفاء	01	01	01	/	/	03
الحاء	01	/	01	/	/	02
الزاي	01	01	/	/	/	02
التاء	/	01	/	/	/	0
الجيم	/	/	/	01	/	01
الذال	01	/	/	/	/	01
السين	/	01	/	/	/	01
الطاء	01	/	/	/	/	01
الكاف	/	/	/	/	01	01
الميم	/	/	01	/	/	01
الشين	01	/	/	/	/	01

إن نظرة سريعة إلى القوافي تبين لنا أن القوافي الرئيسية التي جاءت عليها قصائده و مقطوعاته هي : الراء، اللام، النون والياء و أدار هـــذه القوافـي على أغـراض شعرية متنوعة بين الهــجاء و الوصف و المدح و الشكوى و الهزل، فإذا نظرنا إلى قافية الراء نجد أن القصائد التي نظمت عليها دارت حول الهجاء و الوصف و ذلك لتعمق إحساس الشاعر بما يقول ، و لتأكيد انفعاله مع الموقف الشعري خصوصا أن هذين الموضوعين الشعريين يصوران مدى صدق انفعالات الشاعر، لذا يلزمهما قواف تستوعب هذه الانفعالات و هذا الدفق الشعري ، و نجد كذلك حرف الروي في هذه القافية كان في معظمه مطلقا، فانتهت في معظمها بحرف الروي المكسور و بعضها المفتوح و ذلك لإشباع الحركة دفقا شعوريا و إكسابها معاني خالدة ومؤثرة في نفس السامع.هذا القول ينطبق على قافية اللام حيث أطلقها الشاعر على حريتها و حسب ما فرضته عليه طبيعة الموقف الشعري، أما قافية الدال فجاءت مقيدة الروي في معظمه ليعطي معانيه الهدوء و السكون الذي يخفي تحته الثورة و الغليان و التدفق ، و يمكن القول أن تركيز الشاعر في قوافيه على حروف الراء

و اللام و الدال و النون و الياء يفسر حرصه على قوافيه لأن هذه الأحرف كما يقول الشايب : "حروف تصلح للروي فتكون جميلة الجرس لذيذة النغم سهلة التناول إذا كانت القافية مطلقة"[1].

ومما يجدر بالملاحظة ، أن أبا الشمـــقمق ابتعد في قوافيـــه عن بعض الأحرف الثقيلة أمثال التاء و الجيم و الذال و الشين وقد يكون ذلك لصعوبة النظم عليها و لعدم إعطائها المعنى الشعري الحيوية و الحركة[2] . لم تكن القوفي عند الشاعر مقيدة بل كانت مطلقة في معظمها سوى أربع مقطوعات جاءت مقيدة القوافي ، أما بقية قوافيه فكانت مطلقة الحركات فكان حرف الروي فيها متحركا غلـــب على أكثر رويه ـــا الكســـرة الذي احتل ما يعادل 51.47% من قصـــائده و مقطوعاته ، بينما نجد حـــرف الروي الفتحة ، احتل ما يعـــادل 32.35% من قصـــائده و مقطوعاته ، وقد نجد أيضا أن بعض قوافيه كانت تنتهي بألف الإطلاق كما في قوله:[3]

لو ركبت البحار صارت فجاجا لا ترى في متونها أمواجا

و تارة أخرى الهاء كنحو قوله:[4]

إن رياح اللؤم من شحه لا يطمع الخنزير في سلحه

أما سبب غلبة حرف الروي الكسرة على قوافيه ، فمرد ذلك إلى قوة هذه الحركة و تأثيرها في السامعين كما أنها تساعد الشاعر على تفريغ انفعالاته التي يحس بها فيحس عندما يلفظ الحرف الأخير، بأنه يخرج انفعالاته و مشاعره التي يحس بها و لاننسى أن نقول إنه كان يضطر إلى بعض هذه القوافي المكسورة و ذلك لأن بعضها كان يسبق بحرف جر يجر الكلمة الأخيرة من القافية مثال ذلك:[5]

يا طول يومي و طول ليلته فليهن برغوثة بجذلته

أما حرف الروي الفتحة فقد جاء في معظم شعره هجاء ، فجاء هذا متناسبا مع طبيعة الهجاء الذي يصدر عن سخط و غضب، و أبو الشمقمق كما عرف عنه سعيه وراء سخطه و مما يؤكد

1- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي. ص.325

2- المرجع نفسه: ص35.

3- الديوان: ص33.

4- المرجع نفسه: ص36.

5- المرجع نفسه: ص32.

ذلك أن الناس من الشعراء و أصحاب المكانة الرفيعة كانوا يرفضون الشاعر في جل الأحيان ، فجاءت قافية الفتحة تصور سخطه على هذه الطبقة ذات النفوذ.

ومن خلال استعراضنا لقوافي الشاعر نجد أنها خلت من بعض العيوب التي كانت تعد من قبيح القوافي فلا نجد في شعره إقواء و لا أكفاء و لا تضمنا[1]

يبدو أن الشاعر كان يحرص على قوافيه حرصه على بحوره الشعرية مما زادها تناسقا و ملاءمة لأسس النقد التي اعتمدها الأوائل لينال بذلك رضى النقاد و يفوز بعطاء الممدوحين في بعض الأحيان.

إن اختيار الروي من مقاييس الشعر الدقيقة و لا يخالف الجميل المألوف إلا سقيم الذوق فكما يقول الشايب:"و قوافي الشعر كالبحور يجـوز بعضها في مواضع و يفضله غيره في موضع آخـر و حسبك دليلا على ذلك أن جميع قراء الشعر يطربون لبعض القوافي دون بعض ،وإذا نظم شاعر واحد قصيدتين على بحر واحد بمعنى واحد و نفس واحد فلاريب أن القافية الغناء تميل بالسماع إلى إيثارها على أختها و لا ريب أن اختيار قافية للقصيدة أبعد منالا من اختيار بحرها، بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور و المرجع في ذلك إلى سلامة الذوق و غزارة المادة"[2].

1- معاني هذه المصطلحات في العمدة لابن رشيق. ج1. ص164. 171.

2- الشايب: أصول النقد الأدبي. ص326.

المبحث السادس :بناء القصيدة

أجزاء القصيدة:

لقد حدد ابن قتيبة منهج القصيدة العربية و مكوناتها و قسمها إلى أربعة أقسام أولها: **الوقوف** على ديار المحبوبة و البكاء على الظاغنين من أهلها. و ثانيهما **النسيب** و شكوى الوجد و ألم الفراق و فرط الصبابة، وثالثها **الرحلة المضنية و شكوى النصب و سهر الليل** ، ورابعتها **المديح** أو الغرض الأساسي.و يحاول ابن قتيبة أن يلزم الشعراء بمثل هذا النهج و ألا يخرجوا عليه فيقول:"فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب و عدل من هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعراء و لم يطل فيمل السامعين"[1].

طرق أبو الشمقمق في أشعاره التي بلغت 20 مقطوعة و 13 قصيدة و موضوعات مختلفة حوالي 35 ، سلك في افتتاحها و بنائها طرقا مختلفة جاءت في بعضها متناسبة مع طبيعة الموضوع الشعري فكانت:

الافتتاحية الأولى التي بدأها براحلته التي يرحل عليها مسافات طويلة ليبين لممدوحه مصاعب السفر و المشقات التي لحقت به، لكنه لا يرحل على ناقـــة بل جعـــل نعليه مطية قوية ســـريعة، و رحيله بالنعل ما يدل إلا على سوء حالته و بذلك سوء الحالة الاجتماعية التي عاشها شعب الدولة العباسية حيث يقول:[2]

رحل المطي إليك طلاب الندى و رحلت نحوك ناقة نعليه

إن لم تكن لي يا يزيد مـــــطية فجعلتها لي في السفار مطيه

تحذي أمام اليعملات و تغـــتلي في السير تترك خلفها المهريه

فنحن لا نعلم عدد الأبيات التي قيلت في هذا الشأن غير ست أبيات لكن الظاهر أنه قد أطال في وصف رحلته بهذه المطية البسيطة ليصيب رأفة الممـــدوح الذي يرجو منه العـــطاء و الكـــرم و النوال ، ليأتي بعد ذلك مدحه في أربع أبيات بدأها بتعليل سبب سرعة هذه المطية و هي النعل قائلا:[3]

1- ابن قتيبة : الشعر و الشعراء.تح.محمد طعمة الحلبي.دار المعرفة.بيروت.1997.(د.ط).ص76.

2- الديوان: ص96.

3- المرجع نفسه: ص97.

تنساب أكرم وائل في بيتها حسبا و قبة مجدها مبنية

أعني يزيدا سيف آل محمد فراج كل شديدة مخشية

لينهي قصيدته ببيت لخص فيه علة سفره و رحلته إليه حتى ي ـــنال المال و العطاء م ـــن ذي الجود و الكرم:[1]

و لقد أتيتك واثقا بك عالما أن لست تسمع مدحة بنسيّه

أما الاتجاه الثاني فهو ما بدئ بمقدمات يصف فيها حالته المزرية و كأنه يرسم من خلالها معالم حياته و يصف المصاعب و المصائب التي أصابته من خلال الوقوف على داره التي لا تشابه الدور في ذلك الزمن، و جعلها غريبة في شكلها و في عناصر تركيبها ، يقول:[2]

برزت من المنازل و القباب فلم يعسر على أحد حجابي

فمترلي الفضاء و سقف بيتي سماء الله أو قطع السحاب

أو من خلال تصوير فقره و عوزه للطعام، وبعد أن كان كثير الخير و عامرا:[3]

و لقد قلت حين أقفر بيتي من جراب الدقيق و الفخاره

و لقد كان آهلا غير قفر مخصبا خبزه كثير العـــماره

ثم يصور حالة الفأر و السنور اللذين هجراه لسوء حالته ليزيد المعاناة أكثر و تشتد بفقدان الرفاق و أهل البيت حتى و إن كانوا من فئة الحيوان، قائلا:[4]

فأرى الفأر قد تجنبن بيتي عائذات منه بدار الإمـــــــاره

و أقام السنور في البيت حولا ما يرى في جوانب البيت فاره

ونجده تارة أخرى يصف هذه الحالة بطريقة تفاؤلية فيها شيء من التفاؤل لما حرم منه في حياته من أسباب النعيم و السعادة قائلا:[5]

مناي من دنياي هاتي التي تسلح بالرزق على غيري

الجردق الحاضر مع بضعة من ماعز رخيص ومن طير

1- الديوان: ص 97.

2- المرجع نفسه: ص27.

3- المرجع نفسه: ص53.

4- المرجع نفسه: ص53.

5- المرجع نفسه: ص46.

أما الاتجاه الثالث فهو ما دخل فيه الموضوع مباشرة دون مقدمات و كانت على شكل مقطوعات شعرية تراوح عدد أبياتها بين البيت و الخمسة أبيات، وكان عدد أبيات هذه المقطوعات أكثر من مائة بيت، وهي بهذا تشكل ما يقارب نصف شعر الشاعر.ومن الممكن تفسير هذه الظاهرة بأن شيوع الغناء في القرن الثاني الهجري ساعد على نشوء هده الظاهرة بشكل أوسع، ولا ننسى أيضا معظم مقطوعاته لم تصور تجارب شعرية واسعة المدى فكانت على شكل أبيات قليلة العدد.

تنوعت موضوعات مقطوعاته الشعرية فمنها ما جاء في الهجاء و هو الغالب ، ومنها ما جاء في الدعابة و المزاح ، ومنها ما جاء في الوصف أيضا فشملت معظم أغراضه الشعرية ، ولكن معظمها تركز حول الهجاء ، فقد أكثر من هذا الغرض بشكل كبير، ركز فيه – كما ذكرنا في فصل الأغراض الشعرية– على صفات حسية و أخرى معنوية.

و لعل من المظاهر التي وج دتها في أشعار أبي الشمقمق حسن التخلص وهو كما يذكرابن طباطبا في عيار الشعر مشيرا إلى القدماء وما يكون فيها الفصل بين أجزاء القصيدة ثم ما أحدثه الشعراء من تطور "فسلك المحدثون غير هذه السبيل و ألطفوا القول في معنى التخلص إلى المعاني التي أوردوها"[1]. ومن ذلك قول أبو الشمقمق:[2]

قد مررنا بمالك فوجدنا ه جوادا إلى المكارم ينمي

ما يبالي أتاه ضيف مخف أم أتته يأجوج من خلف ردم

فانتهينا إلى سعيد بن سلم فإذا ضيفه من الجوع يرمي

أما خاتمة القصيدة التي تعد من أجزاء القصيدة، فكانت في بعضها بغرض القصيدة الأساسي، كما في قصيدته التي مدح فيها أحد الوزراء فكانت خاتمتها خالية من أبيات المدح الخالص نهائيا، بل كانت في صميم الشكوى و طلب العطاء و التكسب لا غير:[3]

و لقد غدوت و ليس لي إلا مديحك من تجارة

1- ابن طباطبا: عيار الشعر.تح.عبد العزيز المانع.دار العلوم للطباعة و النشر .الرياض. 1980 . (د.ط) . ص.11.

2- الديوان: ص88

3-المرجع نفسه: ص53.

و كأنه حرص في خواتم قصائده على جلب ذهن المستمع حتى يبقى أثرها عالقا في النفس البشرية، و خصوصا في قصائده التي أنهاها بالمدح أو الهجاء حرصا على نوال الممدوح و كسب رضاه، فإن أبى كان سخطه عليه كنتيجة حاصلة في الخواتم.

1 – على مستوى المضمون (الموضوعات):

كانت الطبقة الفقيرة تشكل السواد الأعظم في العصر العباسي الأول ، و قد تعددت مظاهر الفقر و البؤس و الحرمان مثلما تعددت بالمقابل مظاهر الغنى و الترف كما رأينا ، و جاء الشعر العباسي معبرا عن ذلك التناقض الاجتماعي بكل و وضوح ، على الرغم من أن مؤرخي الأدب ، قدامى و محدثين ، سكتوا عن إبراز شعراء الطبقة المحرومة تلك "و إن كنا نرى اللحمة عنهم تمر عرضا و الإشارة تومئ إلى فاقتهم " [1] لأن أغلب شعراء هذه الطبقة كانوا مغمورين ، و سنذكر لهم ما استطعنا من أشعار نظموها فيما كانوا يعانون من فقر مدقع، و تحدثوا عنه في جميع المناسبات بطرق مختلفة ، مثلما تحدث زملاؤهم في ألوان الترف و المجون السابقة الذكر.

و هذا أمر طبيعي لأن الشاعر إنسان قبل أي شيء آخر ، فهو يعيش عصره، و يتفاعل معه، و يمتزج بأحداثه، و يتأثر به فيؤثر فيه ، و في النهاية يصوغ حوصلة ذلك الاندماج بعصره و بمشاكله بطريقة فنية ، فيعطينا قصيدة شعر نابضة بالحياة ، معبرة بصدق عن معاناته و معاناة غيره ممن ينتمي إلى طبقته.

غير أن معالجة وضعهم السيئ تختلف من شاعر إلى آخر ، و ذلك انطلاقا من انصهار خصوصية كل شاعر بعموميات العصر، فهم إذ يكونون كلا متكاملا فإن معالم الفرد الخاصة لا تنمحي ، و إنما تصب جميعا في إطارها العام ، بحيث تكون تلك الروافد قاسما مشتركا بين الشعراء ، فمنهم من عالج الموقف بأسلوب جاد، و منهم من لجأ إلى السخرية و حتى البهلوانية عله يستدر عطف الناس، و إن كان في سخريته ينظر إلى الدنيا بمنظار قاتم، و منهم من ثار على ذلك الوضع الاجتماعي فنقم عليه محاولا تغييره بشتى الطرق:

النوع الأول:الأسلوب الجاد

في هذا النوع نجد الشاعر محمد بن يسير(ت نحو 210 هـ)[2] و هو محمد بن يسير البصري ، أبو جعفر: شاعر ظريف ، جيد الشعر ، من أهل البصرة ، كان مولى أسد ، أو بني رياش.قال ابن قتيبة:"كان في عصر أبي نواس، و عمر بعده حيا" و أورد مختارات من شعره. و جاء في طبقات الشعراء لابن المعتز:"و لمحمد بن يسير حكم كثيرة ، و مواعظ حسنة ، و هو أنعت الناس للحيوان و الطير و الشاء، و ما أشبه ذلك، و له مرثية طويلة في بستان أكلته الشتاء، و يقال إن بستانه كان

1- أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية ق 2 هـ. دار المعارف . القاهرة. 1971 . (د.ط) . ص .393

2- ابن قتيبة: الشعر و الشعراء . ص371. و ابن معتز: طبقات الشعراء. ص 279 إلى .282

ذراعا في ذراع، و قال بعضهم: بل كان شعيرا تحت جرة ماء فهلك"، و هذا ما يدل على شدة فقر هذا الشاعر الفحل ، و كيف كان يتألم لوضعه الاجتماعي السيئ ، حيث بلغت به مأساته أن يتمنى الموت لابنة أخته اليتيمة التي كان يحبها كثيرا حتى لا تكون ضحية للفقر ، فيقول :[1]

لولا البنية لم أجزع من العدم و لم أجب في الليالي حندس الظـــلم
و زادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذوو الـــــــرحم
أخشى فظاظة عم أو جفاء آخ و كنت أخشى عليها من أذى الكلم
إذا تذكرت بنتي حين تنـــدبني جرت لعبرة بنتي عـــــــــبرتي بدم
تهوى بقائي و أهوى موتها شفقا و الموت أكرم نزال على الحـــــــرم

إنها فعلا قمة المأساة أن تهوى له البقاء و يهوى موتها شفقا عليها من الجوع و الحرمان و الذل، كما أن الأبيات جاءت قمة في التعبير ، إذ وظف فيها ما أمكنه من عناصر فنية جعلتنا نتألم لآلامه ، وقد زادها روعة في التعبير من حيث اختيار الألفاظ و المعاني المناسبة، حتى علق ابن المعتز عليها قائلا:"و هذه ألفاظ كما سمعت في عذوبة الماء الزلال، و معان أرق من السحر الحلال"[2].

و أهم ما يتمناه الفقير أن يجد ما يعيل به عياله، من ذلك ما قاله نثرا شاعر مغمور اسمه إبراهيم بن سبابة(.../...)[3] و هو شاعر ظريف جيد و أخباره حسنة، و كان يرمى بالزندقة ، أخذه المهدي و أحضر كتبه فلم يجد فيها شيئا من ذلك، فآمنه و استكتبه ، و أصبح من أبلـــغ النـــاس و أفصحهم ، ثم صح عند المهدي أن فيه شيئا مما كان اتهم به فأطرحه و أقصاه، فساءت بعد ذلك حاله و احتاج إلى مسألة الناس، و بالرغم من أنه كان أحد المطبوعـــين جهـــله الناس فيما بعـــد و أصبح من المغمورين. يقول هذا الأخير:"إذا كانت في جيرانك جنازة و ليس في بيتك دقيق لا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، و بيتك أولى بالمأتم منهم" [4] .و للفقراء مع

1- ابن معتز : طبقات الشعراء . ص . .281.

2- المصدر نفسه: ص 281.

3- ترجمته: ابن المعتز : طبقات الشعراء. ص. 92. و النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب.طبعة مصورة عن دار الكتب.(د.ت).(د.ط). ج4 . ص 56.

4- الأصفهاني: الأغاني. ج 12 . ص90.

الجوع حكايات، فقد كانت العرب تكني الجوع "أبا مالك" كما كانت تسمي الخبز"جابرا و عاصما و عامرا" ، فقد قال أحد الشعراء كنية في الجوع:[1]

أبو مالك يعتادنا في الظهائر يلم فيلقى رحله عند جابر

و قال آخر في كنية الخبز لما لامه الناس في طريقة جلبه، فرد عليهم قائلا:[2]

فلا تلوماني و لوما جابرا فجابر كلفني الهواجر

و قد كان أحد الأعراب يدعوا ربه من كثرة الجوع قائلا:"ميتة كميتة أبي خارجة،و لما قيل له: ما ميتة أبي خارجة هذه؟ أجاب : أكل بلحا، و شرب طلا، و نام في الشمس فمات شعبان ريان دفيئا"[3].

و هكذا نجد أمل الفقير ينحصر في أمور ثلاثة: أن يشبع و أن يروى و أن يدفأ، و هي الأمور التي صب فيها الشعراء الشعبيون من هذه الطبقة أشعارهم المتنوعة:ففي الجوع مثلا ذموا الكثير حتى تفننوا فيه و صنفوه، فأصبح للجوع أصناف و أنواع لديهم : فمنه ما يقتل، و منه ما يفقد صواب العقل فيكسره، و هذا ما أشار إليه الشاعر عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس،أبو القاسم(ت 240هـ)[4] ،- من شعراء الدولة العباسية، ولد و نشأ في البصرة، كان ماجنا هجاء، شديد العارضة، سكيرا خميرا.-حين وصف جارا له كان فقيرا، رث الثياب، متألما من الجوع، يخطوا في مشيته خطوات منكرة معذبة، فقال فيه:[5]

يتماشى في ثوب عصب من العري على عظـــم ساقه مســـدول

دب في رأسه خمار من الجـــو ع سرى خمرة الرحيق الشـمول

فبكى شجوه و حن إلى الخـــ ـــبز و نادى بزفرة و عويـل

من لقب متيم برغـــيـــفـــــن ونفس تاقت إلى طفشيل

1- الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف و المنسوب. تحقيق. محمد أبي الفضل إبراهيم. طبع دار نهضة مصر. القاهرة.(د.ت). ط1. 1968. ص 249.

2- الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء.دار الحياة.بيروت.().ط 1 . 1961. ج 2 . ص.609

3- بهيج شعبان: أثر المعدة في الأدب العربي. منشورات دار عويدات. بيروت.(د.ت). ط1 . 1966، ص38. 39.

4- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد. ج 9. ص 73. و المرزباني: الموشح. تح .علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر.(د.ت). ط1. 1973.ص258.

5- الأصفهاني: الأغاني.ج13. ص233.

ليس تسموا إلى الولائم نفسي جل قدر الأعراس عن تأميـــــــــــــلي

هات لونا و قل لتلك تغـــــي لست أبكي لدراسات الطلـــــول

إن الفقر أسكر هذا المسكين ، فجعله يبكي و يحن إلى الخبز الذي ربما مر عليه زمن طويل دون أن يرى شكله أو يشم رائحته، فأصبح على هذه الصورة المؤثرة التي رسمها له الشاعر عبد الصمد، فكانت صورة حزينة معبرة عما بأعماقه من آلام تهتز لها المشاعر و النفوس الخيرة.

و إذا أردنا التأكد من معاناة هذه الطبقة الفقيرة ، فلننظر إلى تذمرها من هذا الواقع المر الذي دفع ببعض شعرائها إلى الاستغاثة و الشكوى من هذا الوضع الأليم، فعرضوا له و هم يعددون مظاهر بؤسهم المتنوعة، من ذلك مثلا: افتقارهم إلى الخيول و الإبل التي يرتحل عليها غيرهم في يسر و راحة، في حين كان الفقراء يمتطون أرجلهم حتى تعبت و حفيت، و ذابت نعالهم وتقطعت ، فإذا هم يزدادون سخطا على سخط ، و حقدا على حقد، و إذا هم يحتجون على الله فيسألونه المساواة بين الناس، بحيث لا ينعم على طبقة و يضيق على أخرى، بل بحيث يشقى المنحرفون الفاسدون، و لعل أحدا منهم لم يلهج بهذه المعاني مثل الحمدوني [1](هو اسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه، أبو علي الحمدوني، و جده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد: شاعر بصري مليح الشعر حسن التضمين.)الشاعر الشعبي ، إذ يقول في ذلك ثائرا غاضبا محتجا:[2]

تسامى الرجال على خيلهم و رجلي من بينهم حافية

فإن كنت حاملـــنا ربنـــا و إلا فأرجل بني الزانيه

و مع أنهم كانوا يتجرعون في حياتهم غصصا مريرة ، و كان غيرهم يستمتع بملذات الحياة، فإنهم لم يكونوا ناقمين على الناس من غير طبقتهم، و لا حاسدين، و إنما ينتقدون المفاسد التي سببت هذا التناقض الذي يعيشون فيه و يكابدون آثاره، و الذي قلب القواعد الصحيحة التي بها يعطي كل ذي حق حقه، و يوفر عليه حظه، كما كانوا ينادون بقسمة الحظوظ بين الناس بالعدل و الإنصاف ، فمن كان أهلا للشقاء استوجبه، ومن كان أهلا للرخاء استحقه، أما أن يشقى الكريم، و ينقم اللئيم، و يبتئس صاحب العقل و الفضل، و يسعد الغني الجاهل فهذا ما لم يحتملوه و لا أطاقوه، و لعل أحدا من الشعراء لم يعبر عن ذلك بوضوح مثل أبي الينبغي [3] حين لخص ذلك

1- تجد ترجمته: القيرواني: زهر الآداب و ثمر الألباب. تح. محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل بيروت.(د.ت). ط 4. 1972. ج3و4. ص1117.

2- البيهقي: المحاسن و المساوئ .تح.محمد أبو الفضل إبراهيم.دار نهضة مصر.القاهرة.1961.(د.ط). ص278.

3- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص129. و فيه بعض أخباره و أشعاره.

في بيتين شعبيين سهلين لم يصدر فيهما عن نفسه و مشكلته، بل صدر فيهما عن جمهور المـــعذبين و مشاكلهم، فطار له البيت الثاني منهما في الآفاق و لهج به الناس، فكان ينشد في كل مجلس و سوق و طريق، لجودة معناه، و عذوبة لفظه، و خفته على اللسان.فقال:[1]

صبرا على الذل و الصغار يا خالق الليل و النهار

كم من حمار على جواد و من جواد بلا حمار

و لم يصطنع الفقراء وسيلة واحدة لتحصيل أقواتهم و التغلب على ما كانوا يكابدون من معاناة الزمان في حياتهم، و إنما اصطنعوا وسائل كثيرة ، و جربوا طرقا مختلفة، تتراوح بين السمو بالنفس، و الارتفاع عن ذل السؤال ، و التلطف في عرض مشاكلهم، و شرح سوء أحوالهم، بين الحدة و التعريض و الهجاء الفاحش، و الانحدار إلى السؤال و المراجعة في الطلب، وفاقا لما كان يصيبهم من الشدائد التي كان لهم طاقة ببعضها، و التي كانوا يعجزون عن تحمل غيرها.

فمن تلك الوسائل التي مالوا إليها واعتمدوا في حياتهم عليها رفع شكواهم إلى كبار رجال الدولة من القضاة و الوزراء و الأشراف، يشرحون لهم فيها ما هـــم فيه من الشـــر و الـــشقاء، و يطالبونهم بمساعدتهم و الإحسان إليهم.فمن ذلك ما يروى من أن أبـــا فرعون الساسي افـــتقر و اشتدت به الحال فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة يتظلم إليه و يسأله العون فقال:[2]

يا قاضي البصرة ذا الوجه الأغر إليك أشكو ما مضى و غبر

عفا زمان و شتاء قد حـــــضر إن أبا عمرة في بيتي انحجر

يضرب بالدف و إن شاء زمـــر فاطرده عني بدقيق ينتـــظر

كما عمدوا إلى المديح ، و لكن الخلفاء و أغلب الوزراء لم يفسح لهم في مجالسهم ، و لا ارتضوا مديحهم، و إنما كانوا ينفرون منهم و يوصدون الأبواب دونهم، لأنهم كانوا يعرفون أنهم من الشعراء الشعبيين الذين قد لا يجيدون المديح، و قد لا يحسنون الانتصار لهم و الدفاع عنهـــم، و لذلك كان معظم ممدوحيهم من الطبقة المتوسطة من عمال و كتاب و بعض أبناء البيت الهاشمي الذين لم يكن لهم شأن كبير.

1- المصدر السابق: ص 130.

2- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة. تح. أحمد أمين و أحمد الزين. طبع مكتبة الحياة. (د.ت). (د.ط).ج3. ص34 و70.

و من عجيب الأمر أن ممدوحيهم من هذه الطبقة لم يتقبلوهم و لا واسوهم، فقد كان الممدوح قليلا ما يلفت إليهم، و يصلهم بصلة يسيرة، ثم ينفر منهم و يتحاماهم في كل مرة، بل إن بعضهم كانوا يريدون منهم أن يمدحوهم دون أجر أو ثواب.

و لعل سبب هذا النفور هو أن المدحة عند الشعراء الفقراء الشعبيين لا تشمل على المعاني التقليدية للمديح، و لا تخصص للثناء على الممدوح، بل يفرد أكثرها للشكوى و الاستعطاف، وهو ما دفع بممدوحيهم إلى الصد عنهم و جفائهم في أكثر الأحيان، فهم لم يعتادوا هذا النوع من المديح، و إنما ألفوا أن ينوه الشعراء بأعمالهم و يشيدوا بأصولهم و صفاتهم الحميدة و لو تكلفوا، أما هؤلاء الشعراء فقد تحولوا بالمدحة إلى رقعة للشكاية و التظلم و الاستجداء، فلم يجد فيها الممدوحون شيئا من المديح لهم حتى يثيبوهم عليه، و ربما كانت هذه المدحة التي توجه بها الشاعر أبو فرعون الساسي إلى الحسين بن سهل وزير المأمون أوضح مثال تظهر فيه هذه النزعة ، إذ استهلها بأبيات يذكر فيها الأطلال مطلعها:

سقيا لحي باللوى عهدهم منذ زمان ثم هذا عهدهم

ثم يمدحه بيتين قائلا:

الناس أشباه كما قد مثلوا و فيهم خير و أنت خيرهـــــم

حاشا أمير المؤمنين إنـــه خليفة الله و أنت صهرهـــــم

ثم ينتقل إلى شرح مظاهر فقره و تعاسة أبنائه في احدى عشر بيتا تجري على هذا النحو:[1]

إليك أشكوا صبية و أمهم لا يشبعون و أبوهم مثلهـــــم

قد أكلوا اللحم و لم يشبعوا و شربوا الماء فطال شربهـــــم

وامتذقوا المذق فما أغناهم و المضغ إن نالوه فهو عرسهـــم

لا يعرفون الخبز إلا باسمه و التـــمر هيهات فليس عندهـــم

و ما رأوا فاكهة في سوقها وما رأوها و هي تنحوا نحوهـــم

زعر الرؤوس قرعت هاماتهم من البـــلا واستك منهم سمعهـــم

كأنهم جناب أرض مجدب محل فلو يعطون أوجى سهمهـــم

بل لو تراهم لعلمت أنهم قوم قليل ريهم و شبعـــــــهم

و جحشهم أجرب منقور القرى و مثل أعواد الشكاعى كلبهم

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء . ص377.

كأنهم كانوا – و إن وليتهم طرا–موالي و كنت عبدهم

مجتهدا بالنصح لا آلوهم أدعوا لهم يا رب سلم أمهم

وما نظن أن هذا الشعر يحتاج إلى شرح و توضيح، فهو عن معناه بلفظه السهل و أسلوبه البسيط، و يصل إلى القلب دون حجاب، إنه يبين سوء ما ابتلي به أبو فرعون الساسي في حياته من البؤس، و يكشف عن أحوال الطبقة الفقيرة المعدمة في المجتمع العباسي، مجتمع البذخ و الترف و اللهو التي كان ينهمك فيها و يتهالك عليها الخلفاء و الوزراء و حواشيهم ومن كان يلوذ بهم، و يضنون على المعذبين بأقل القليل، و لا يلقون إليهم بالا، و يردونهم إذا سألوهم ، و يوبخوهم إذا راجعوهم.

النوع الثاني:مزج الواقع المر بالفكاهة

لقد كان أبو الفرعون الساسي و أبو المخفف(هو عاذر بن شاكر،أبو المخفف: كان في أيام المأمون، و بعد ذلك ببغداد، كان أبو المخفف ظريفا طيبا شاعرا ، له أشعار في وصف الخبز، ومن دلائل فقره يقول ابن الجراح:"كان يركب حمارا ، و تركب جارية حمارا آخر...و يدور ببغداد ، و لا يمر بذي سلطان و لا تاجر و لا صانع إلا أخذ منه شيئا يسيرا ، مثل قطعة أو رغيف أو كسرة.."[1])من أربابه عند الشعراء الشعبيين، فأبو الفرعون مثلا يصف وضعه الاجتماعي المزري فيقول:[2]

أنا أبو فرعون فاعرف كنيتي حل أبوا عمرة و سيط حجرتي

و حل نسج العنكبوت برمتي أعشب تنوري و قلت حنطتي

فالجوع قد استقر بسكناه و شاركه حجرته، و العنكبوت نسج خيوطه و التنور قد أنبت عشا، و هي أدلة على أن المترل لم يدخله طعام منذ زمن طويل إلى أن صار على هذه الصورة الهزلية المزرية التي تدل على قمة الفقر و بشاعته ، و لعل أدل من ذلك على فقره قوله:[3]

ليس إغـــــــلاقي لبابي أن لي فيه ما أخشى عليه من السرقا

إنما أغلقـــــــه كي لا يـــــرى سوء حالـــي من يجوب الطرقا

1- ابن الجراح: الورقة. تح. عبد الوهاب عزام و عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف. مصر.(د.ت). ط 2. 1953. ص122 إلى .124

2- أبو الحيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة. ج2 . ص 53. و أبو عمرة كنية عن الجوع.

3- ابن المعتز : طبقات الشعراء. ص 376.

مترل أوطنه الفقر فلـــــــو دخل السارق فيه سرقـــا
لا تراني كاذبا في وصفـــــه لو تراه قلت لي: قد صدقا

فإغلاقه باب مترله ما هو إلا ستر لسوء حاله فقط، و ليس خوفا من دخول السارق الذي لو دخل مترله لسطا عليه أهله و نهبوه، و هذه من أصدق الصور عما كان يعانيه الشاعر من شدة الفقر و قد عرف مصيره البائس ، و تأكد حينما شاهد في الحلم حظه مجسدا في صورة شيخ ضعيف بائس أعمى و أصم ، فتحاور معه في أسلوب ساخر إلى أن تأكد من حتمية فقره في هذه الحياة مثلما صور ذلك فقال:[1]

رأيت في النوم بختي في زي شـــــــيخ أرت
أعمى أصم ضئـــيلا أبا بنين و بـــــــــنت
فقلت حييت رزقي فقـــــال رزقك بأستي
فكيف لـــي بدواء يلـــــين لي بطن بختي

و تقشعر النفس ألما لما تتمعن في هذه الصورة التي وصف بها حال أبنائه و هم يعانون آلام الجوع و البرد القارص في فصل الشتاء حين يقول:[2]

و صبية مثل فراخ الـــذر سود الوجوه كسواد القـــدر
جاء الشتاء و هم بشـــر بغير قمـــــــص و بغير أرز
حتى إذا لاح عمود الفجر و جاءني الصبح غدوت أسري
و بعضهم ملتصق بصدري و بعضهم منحجر بحـــجري
أسبقهم إلى أصول الجـــدر هذا جميع قصتي و أمـــــري
فارحم عيالي و تول أمري كنيت نفسي كنية في شعري
أني أبو الفقر و أم الفقر

فهذا وصف لما كانت تعانيه الطبقة الفقيرة في المجتمع العباسي من بؤس و عذاب الجوع، فقد لخص الشاعر وضع أبنائه في هذه القصة المؤثرة، و استطاع بأسلوبه السهل و لغته البسيطة أن يهز مشاعرنا و يشركنا في عذابه ، فنتألم لحال صبيانه ، فقد كانوا أشد ضعفا كأنهم صغار النمل ألوانهم شاحبة سوداء، و أجسادهم عارية ليس لديهم من الثياب ما يقيهم برد الشتاء ، حتى التفوا

1، 2- ابن المعتز: طبقات الشعراء . ص 402 .

من حوله ، فعلا بعضهم ظهره و أمسك بعضهم بصدره، و ارتمى الباقي في حجره ، يلتمس الجميع منه الدفء ، يشكون و يبكون من الجوع ، و ليس لأبيهم شيء مما يعوض مطالبهم سوى أن يشفق بهم و يتحايل عليهم فيعدهم بأنه سيسعى في الأرض من أجلهم مع طلوع الفجر ، فلم تكد الشمس تشرق حتى تركهم و خرج يطلب الرزق ، فاستقروا في ركن أركان بيتهم كأنهم الخنافس في الجحر.

إنها صور تجسد منظرا حيا مرعبا فعلا، مما يجعلنا نصدق الشاعر لما كنى نفسه "أبو الفقر و أم الفقر".

وسنذكر شعراء آخرين شاركوه في وصف هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية التي عمت الطبقة الدنيا من المجتمع العباسي في عصره الأول الذي يدعى "العصر الذهبي للأمة العربية" ، فمن بين هؤلاء الشعراء الشعبيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن يسير و الحمدوني ، و أبو الينبغي ، وابن صبيح ، و غيرهم كثيرون ممن اختص في تصوير آلام السواد الأعظم في مجتمعهم.

و لعل هذه الآلام تتلخص في هذه الصورة الساخرة التي رسمها الشاعر الشعبي إسماعيل الفتاك [1] للفقير حين يشتد فقره ، فقال بيتين يمزج فيهما الواقع المر بالفكاهة ، فيخفي من ورائهما صورا متناقضة لحالة الفقر البائسة، فعبرت عن أغراض شعرية متعددة: من سخرية ، و وصف ، و شكوى ، و ألم و رثاء، حين قال:[2]

و يحبس جعسه في البطن شهرا مخافة أن يجوع إذا خريه

و يبكي إذا خرى أيضا عليه كما يبكي اليتيم على أبيه

و قد سخر عاذر بن شاكر معظم شعره في وصف الرغيف، و له فيه أشعار و مقطوعات كثيرة فيها شيء من الهزل، و قد سار هذا الشاعر على منوال أبي نواس حين استخف بذكر الأطلال و أبدلها بالخمر ، لكن صاحبنا هذا استبدل بها الرغيف فهو يرى أن في وصف الأطلال و النساء و الخمور سفاهة ، و الصواب في وصف الرغيف مثلما يقول:[3]

دع عنك رسم الديار و دع صفات القفار

وعد عن ذكر قوم قد أكثروا في العقار

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء . ص 402 و فيه بعض أخباره و أشعاره

2- المصدر نفسه: ص402.

3- ابن الجراح: الورقة . ص123

و دع صفات الزنانيـــ ـــر في خصور العذاري
وصف رغيفا سريـــا حكته شمس النـــــــهار
أو صورة البدر كما اســـ ـــتتم في الإستـــــــدار
فليس يحســـــن إلا في وصفه أشـــــعاري
و ذلك أني قديما خلعت فيه عـــــــذاري

و قال كذلك:[1]

جانبت وصل الغانيات و صحوت عن وصل اللواتي
نعمت بهن عيون من و أصلنه حتى الممـــــــات
فدع الطلول لجاهل يبكي الديار الخاليـــــات
و دع المديح لأمـــرد و لخـــــــــادم و لغانيات
وامدح رغيفا زانـــه حرف يحل عن الصفـــات
يدع الحليم مدلـــــها حيران يغلط في الصـــــلاة
و كأنما نقش الرغيـــ ـــيف نجوم ليل طالعـــــات
منع الرغيف سفاهة ترك الرغيف من الهبـــــــات

و قال:[2]

دع عنك لومي يا عذول فلست أفهم ما تقول
إن الرغيف محـــــــبب في الناس مطلبه جميل
لا سيما إن كان وســـ ـــط حروفه عرق نبيل
و ثلاثة مـــن بعـــــده يشفي فؤادي و الغليل

لقد فرضت عليه حاله الاجتماعية و النفسية أن يثور على نظام القصيدة الذي يراه بعيد عن نفسه، إنه يرى أن معظم الشعراء المترفين سلكوا مذهب التقليد للقدماء في بناء قصائدهم و في أغراض شعرهم، ابتداء من مطالع القصائد في وقوفهم على الأطلال و وصف الديار و البكاء عليها، إلى وصف الغانيات من الجواري و الغلمان، و ما يحيط بهم في مجالس اللهو و الخمر، و هي مظاهرهم الطبقات العليا المتخمة بأسباب النعيم، أما الطبقة الدنيا فهمها الوحيد هو جلب قوتها،

1،2- المصدر السابق: ص124.

فلها عالمها الواقعي الخاص بها، فتجد فيه وجدان الشاعر الفقير منصب على وصف الرغيف و لا يخرج من دائرته، حيث إفرازات معدته تملي على خياله التمعن في وصفه بدقة مثلما تشتهيه: من حيث استدارة شكله، و روعة رائحته، و لذة طعمه، و غير ذلك من الأوصاف التي تركت شاعرنا أبا المخفف يتفنن في وصفه ، مشبها نقوش الرغيف بنجوم ليل طالعات، واستدارته كشمس النهار أو صورة بدر مكتمل الاستدارة، و ما إلى ذلك من الصفات التي "تدع الحليم مدله، حيران يغلط في الصلاة"مثلما ذكر.

و لقد استطاع هذا الشاعر بثورته على التقليد أن يرسم عالما آخر يجهـــله كثير من الشـــعراء ، و بالأخص المشهورين منهم، فعالم هذا الشعر المجهول لا يعرف أسراره سوى الطبقة الشعبية المحرومة من الخيرات التي تستمتع بها الطبقة الحاكمة و أتباعها، و التي انساق وراءها شعراء أكثرهم مشهورون، حيث دفعتهم أطماعهم المادية إلى تقليد القدماء في نظم الشعر تصنعا من أجل الشهرة و العطايا من لدن الأثرياء، و قد حققوا مآربهم و أصبحت أسماؤهم و أشعارهم تتداول إلى يومنا هذا على حساب الطبقة الكادحة الشعبية الفقيرة و شعرائها المغمورين غمور عالمهم البائس المليء بالهم و الغم و العذاب المؤلم.

3*- الاتجاه الثائر ضد نظام الحكام:

ومن المحقق أن ما كانوا يلقونه من رد قبيح و جفاء و نفور من الممدوحين الذين قصدوهم لطول ما اشتكوا إليهم، و لكثرة ما سألوهم، هو ما جعلهم يتحولون عن مديحهم إلى هجائهم، يريدون بذلك أن يعرضوا بهم، و يشفوا غليلهم منهم، و يجبروهم على أن يبذلوا لهم عن كره ما منعوه عنهم حين استعطفوهم و توسلوا إليهم بالكلمة الطيبة و القول العفيف.

فالهجاء إذا هو الوسيلة الثالثة التي احترفوها احترافا لكسب أقواتهم، و هو السلاح الذي أحسنوا استخدامه و قطعوا به ممدوحيهم اللئام تقطيعا، حتى لقد كان أكثرهم يوصف في شعره بأنه: خبيث اللسان، فاحش القول، مثلما قيل عن أبي فرعون الساسي : أنه كان سليط اللسان، حاد المنطق، يمزق مهجوه كل ممزق، ومن مر هجاه لقومه، و قد خذلوه و تكبروا عليه، يقول:[1]

إن عديا نفشت لحاها و ظلمت في حقها أخاها

لا يرني الله كما أراها

1- المصدر السابق: ص58.

و إهمال الأهل له و عدم التفاهم لحاله زاد في يأسه مما دفع به إلى القول:[1]

بنيتي هدني الزمان و ملني الأهلون و الإخوان

رد فلان وجفا فلان و الله رب الناس مســـتعان

ومن ذلك قوله أيضا يهجوا ابن عمه عمر بن حبيب القاضي و يسخر منه:[2]

كفاني الله شرك يا ابن عمي فأما الخير منك فقد كفاني

و كان أبو الينبغي مثله، بل أعنف منه هجاء و أشد ، إذ كان كثير الفحش، سريع البديهة، خبيث اللسان، سريعا إلى أعراض الناس يهجوهم و يقطعهم [3]، كما كان لا يتورع عن قذفهم في شرفهم بألذع السباب، و أقبح الألفاظ، و أسهل الأساليـــب لكي يخطفـــها العامة و الصـــبيان و يتناقلوها و يشيعوها في الآفاق، و لكي تكون عارا يلطخ مهجوه أبد الدهر ، و لم يكن يخشى صوله أي إنسان مهما كانت منزلته، و مهما بلغت سطوته، حتى لقد تعرض ليحي بن خالد البرمكي في موكبه، و به وجهاء الناس، وولداه الفضل و جعفر عن يمينه و شماله، و أخذ يشهر به فيقول:[4]

صحبت البرامك عشرا ولا فخبزي شراء و بيتي كرا

فما هي إلا أن عاد إلى بيته فإذا الفضل و جعفر يرسل كل منهما إليه بدرة، و يجري له من مطبخه ما يكفيه من الزاد، و يروي ابن المعتز أن هجاؤه و تقطيعه لأعراض الناس كان سببا في دخوله للسجن حتى الممات مثلما يقر هو بنفسه حين زاره أبو هفان و سأله عن قصته فأجاب: أنا أبو الينبغي قلت ما لا ينبغي فحبست حتى ينبغي.[5]

و قد سار على نهجه شاعر مغمور يدعى ابن الطيب [6](هو إسحاق بن خلف الحنفي، من شعراء المعتصم، كان رجلا شأنه الفتوة و معاشرة الشطار و التصيد بالكلاب، و إيثار أصحاب الطنابير، و كان من أحسن الناس إنشادا كأنه يتغنى في إنشاده، و كان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم

---

1 - المصدر السابق: ص57.

2 - المصدر السابق: ص 56.

3 - ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص131.

4 - المصدر نفسه: ص131.

5 - المصدر نفسه: ص131.

6 - ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت.(د.ت).(د.ط).ج1. ص163.

مراجعته من حسن ألفاظه، سجن مرة بجناية جناها فقال الشعر في السجن، ثم ارتفع شأنه حتى مدح الملوك، و دون شعره، و لم يزل على رسم الفتوة و ضرب الطنبور إلى أن توفي سنه230هـ الذي سلك في شعره طريق هجاء كبار المسؤولين ، لأنهم رفضوا الإحسان إليه، و التصدق عليه، من ذلك قوله يهجو جماعة من البخلاء حضر مجلسهم فشحوا في عطائهم:[1]

يقولون لي مرو بلاد بعيدة و ما بعدت مرو و فيها ابن طاهر

و أبعد من مرو رجال أراهم بحضرتنا معروفهم غير حاضر

سواء على من زارهم لنوالهم أزارهم أم زار أهل المقابر

أما الحمدوني فإنه سلك في أول عهده بالهجاء طريق رفاقه في الهجاء الخبيث الفاحش، و لكنه سرعان ما انتهج لنفسه مذهبا يقوم على الفكاهة و السخرية اللاذعة من مهجويه، و ممن دفعه إلى ذلك أحمد بن حرب المهبلي الذي كان من المنعمين عليه المحسنين إليه، فقد كان الحمدوني يمدحه جزاء له لما كان يصله به، حتى إذا وهبه طيلسانا قديما رثا لم يعجبه، فتحول من مديحه إلى هجائه، ووصف طيلسانه في مقطوعات استحسنها الناس و حملوها عنه و تناقلها الرواة، فزادها حتى بلغت خمسين مقطوعة، طارت كل مطار، و سارت كل مسار كما يقول المبرد [2] فمن طريف قوله الساخر قوله في ذلك هذه الأبيات التي يصور فيها بلى الطيلسان و شقاؤه به:[3]

يا قاتل الله ابن حرب لقد أطال إتعابي على عمد

بطيلسان خلت أن البلى يطلبه بالوتر و الحقد

أجد في رفوي له،و البلى يلهوا به في الهزل و الجد

و قوله كذلك هذه الأبيات التي يصف فيها ما كلفه إصلاح هذا الطيلسان من المصاريف الباهضة حتى تراكم بؤسه على بؤس، و التي يصف فيها أيضا احتقار الناس له جراء ما يلبسه مما زاده ضعة على ضعة:[4]

يا ابن حرب أطلت فقري برفوي طيلسانا قد كنت عنه غنيا

فهو في الرفو آل فرعون في العر ض على النار غدوة و عشيا

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص442.

2 - الحصري: زهر الآداب و ثمر الألباب . تحقيق علي محمد البجاوي. مصر.(د.ت).ط1. 1959م . ص591 .

3- المصدر نفسه: ص 1118.

4- المصدر نفسه: ص553.

زرت فيه معاشرا فازدروني فتغنيت إذ رأوني زريـــــا

جئت في زي سائل كي أراكم و على الباب قد وقفت مليا

و يطول بنا الكلام مع طيلسان ابن حرب لو أردنا أن نثبت بعض المقطوعات التي نظمها الحمدوني فيه، و حسبنا الشاهدان اللذان مثلنا بهما، فإن فيهما ما يوضح أن الشاعر نزع إلى السخرية من مهجوه، إذ كان يخزه بها وخزا، و يطعن أمثاله من البخلاء طعنا.

و آخر الوسائل التي كانوا يلتجئون إليها إذا أعوزتهم الحيلة واشتد بهم الفقر، و لم يغنيهم المدح و لا الهجاء و لا الشكوى، أنهم كانوا يطوفون في الأسواق و الشوارع و في كل مكان يشمون فيه رائحة الخبز، يسألون الناس بها أن يحسنوا إليهم و يتصدقوا عليهم، و كان أبو المخفف أذكرهم في ذلك، و قد سبقت له أمثلة قبل قليل، رأينا فيها الشاعر كيف وظف شعره في وصف الرغيف، غير أن أبا فرعون الساسي كان ممن اضطر إلى الكدية بالبصرة، بل يقال أنه لم يكن يصبر عنها.[1]

و مثلهما كذلك أبو الينبغي الذي له شعر يعلل فيه مسألته للناس و كيف أنه كان يعمد إليها في وقت الشدة و الضيق و تعذر الرزق، بل لأن الله ابتلاه و أشقاه، و لم يكفه، و لا أغناه، فما سار له في الدنيا ورواه كل أحد لخفته على الأفواه قوله هذا في السؤال:[2]

ألا يا ملك الناس و خير الناس للناس

أتناهي عن الناس فأغنيني عن الناس

و إلا فدع الناس و دعني أسأل الناس

و أبغي منهم الخير فإن الناس للناس

فهل سمعت في الناس بشعر كله الناس

و لعل هذه السينية تكفينا مثالا على ظاهرة التسول التي اتخذها الفقراء أسلوبا لجلـــب القوت، و هي أسلوبهم الأساسي في عرض وضعهم الاجتماعي المسيء في مختلف ألوانه و آلامه، حتى أننا لنجد هذه الظاهرة توحي بنفسها في جميع الموضوعات التي نظموا فيها أشعارهم كما رأينا.

و قد وظفوا غرض الرثاء كذلك في تصوير مآسيهم التي لم تصبهم هم و أبناءهم فقط، بل أصابت كذلك ممتلكاتهم وأمتعتهم البسيطة، ففقدوا أقل ما كانوا يملكون، من حيوان و متاع، أو عضو من أعضاء الجسم، فانظر إلى الشاعر الخريمي كيف استحدث من الرثاء بكاءه على فقد

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص375.

2- المصدر نفسه: ص131.

البصر حين خبا بصره، و أصبح ضريرا لما طعن في السن فتحول إلى تصوير أحاسيسه، متفجعا على عينيه تفجعا يبعث الأسى في النفس من مثل قوله:[1]

أصغي إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عمن يحـــــــييني
أريد أن أعدل السلام و أن أفصل بين الشريف و الدون
أسمع ما أرى فأكره أن أخطئ و السمع غير مأمون
لله عيني التي فجعت بها لو أن دهرا بها يواتيـــــني
لو كنت خيرت ما أخذت بـــها تعمير نوح في ملك قارون

فاليأس من عودة بصره باد في شعره، فلا شفاء لعينه إلا بإرادة الله و ليس بمشيئة الطبيب الذي كان يمنيه بشفائها مثلما جاء في قوله:[2]

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فإن البعض عن البعض قريب
يمنيني الطبيب شـــــــفاء عيني و هل غير الإله لها طبيـــــب

و انظر إلى أبي علي البصير يعزي عينه التي أفقدت له طعم حلاوة الدنيا و أوقفت له آماله بعد أن كانت سراجه المنير في حياته فأصبح اليأس يخيم عليه إلى درجة تعداد نفسه من الموتى فيقول:[3]

عزاك أيها العين الســـــكوب و حقها أنها نوب تنوب
و كنت كريمتي و سراج وجهي و كانت لي الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المـــــرء وهو يعد حيا و يخلف ظنه الأمل الكذوب

و قد مس هذا الألم كذلك الشاعر الشعبي أبا الشيص فبكى عينيه متحسرا على فقد بصره و ما انجر عنه من عذاب و آلام فقال:[4]

يا نفس بكي بأدمع هتن و واكف كالجمان في سنن
على دليلي و قائدي و يدي و نور وجهي وسائس البدن
أبكي عليها بها مخافة أن تقرنني و الظـــــلام في قرن

1- ابن الجراح: الورقة. ص111 . 112.

2- المصدر نفسه: ص 112،111.

3- الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. طبع دار الفكر. بيروت. مصورة عن طبع الاستقامة. مصر. 1379هـ.(د.ط).ج2. ص293.

4 - زهير أحمد محمد منصور:أبو الشيص الخزاعي.ص132.

و هذا أبو الخطاب البهدلي، و هو أحد العرجان، قال في رجله التي أصيبت بمرض"عرق النسا" فكانت تؤلمه و هو يطوف حول الديار، يطرق الأبـــواب بعصاه متـــسولا، محتشما من النـــاس، و بالأخص من الغانيات و هو في شكله المزري، يخاطب رجله و كله يأس و لا أمل يرى من ورائه:[1]

قلت لرجلي و هي عرجاء الخطا تشكو إلي وجعا من النسا
و من أذى العرق و في العرق أذى مري فهيهاتك من أخذ العصا
لا تطمعن في الذي لا يشتـــهي و في تسعيك الذي لا يرتجي
كم بين الغانيات: يا فـــــــتى و قولهن: شاب هذا وانحنى
و قد نظرن اليوم من قبح الجلا جبين وجه و جبينا في القفا
أسره منهن كيما لا يـــــــرى و لو بدا رمين رأسي بالحصا

و قد تكون هذه المقطوعة أوضح تصويرا لتعاسة حياة هذا الشاعر و هو شيخ طاعن في السن، طريح الفراش، أعياه المرض، و خيم عليه اليأس، مستسلما لما فعلت به الأيام التي لا ينتظر من ورائها سوى لحظة الموت مثلما يقول:[2]

قل لليالي ما أردت فاصنعي إن الذي أبليته لم يرجـــــــــع
من الشباب فأجدي أو دعي و أنت قد أودعت شر مـــودع
تقرح في بدني و أضـــــلعي و ضعف صلبي واشتكاء أخدعي
بوجع نظيره لم أيجـــــــع ما في يا عاذلي من مستمـــــتع
أنحلي كر الليالي الرجـــــع تسعين قد أوصلتها بأربـــــع

و يحك كفي عن ملامي و أربعي و حق ما ألقى إليك فاسمعي
إني لو عمرت عمر الأصمعي و عمر لقمان و عمر تـــــبع
و نسر لقمان الهجف الأقرع ما كان بد من تبوي مضجـــعي
في عرض شبرين و خمس أذرع في مضجع ساكنه لم يهجـــع

و إذا كان مثل هؤلاء الشعراء الفقراء قد رثوا ذويهم و أعضاء أجسامهم المفقودة تعبيرا عن التذمر من سوء أحوالهم الاجتماعية، فإن هناك من طبقـــتهم من جعل و كده في مدح البهـــائم

1 - ابن المعتز: طبقات الشعراء.ص153.

2 - ابن الجراح: الورقة. ص 64. 65.

و رثائها تعبيرا عن ذلك التذمر، فهذا مثلا الشاعر الشعبي المشهور؟، يقول عنه المرزباني:"هو أشعر من أخيه أحمد و أكثر شعرا و هو أرثى الناس للبهائم" [1] ، و يضيف الأصفهاني:"...فاستغرق أكثر شعره في ذلك"[2] ثم يسرد له عدة أمثلة ، منها قوله يرثي شاة له:[3]

عين جودي لعترنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء

و قوله في الشاهمرك:[4]

أقفرت منك أبا سعـــ ـــد عراص و ديار

و قوله في السنور:

ألا قل لمخة أو مارده تبكي على الهرة الصائده

و قوله في القمري:

هل لامرئ من أمان من طارق الحدثان؟

وقال محمد بن المغيرة العتكي يرثي كلبه:[5]

أقفرت منك يا كليب الديار و بكى فقدك العيون الحوار

و إن رثى هؤلاء الشعراء بهائمهم فإن هناك من رثى أقل ما كان يملك من متاع: فانظر مثلا إلى الشاعر الشعبي محمد بن يسير كيف يرثي بستانا له [6] ، أكلته شاة لجار له يدعى (منيع)، بقصيدة طويلة من احدى و خمسين بيتا ، مطلعها وصف لهذا البستان جاء فيه:[7]

لي بستـــــان أنيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف

راسخ الأعراق ريان الثرى غدق تربته ليست تجف

1- المرزباني: معجم الشعراء و معه المؤتلف و المختلف. تصحيح و تعليق. فكرنكو. مكتبة القدسي. مصر. 1937م. (د.ط).ص335.

2- الأصفهاني: الأغاني.ج22.ص 565 و566

3- المصدرنفسه:ج22.ص 565 و566

4 - الشاهمرك: فارسية. معناها ملك الطير. و قد سمي أيضا الفتى من الدجاج قبل أن يبيض الشاه مرك.

5- المرزباني: معجم الشعراء. ص442.

6- جاء في طبقات ابن المعتز ص 282: له مرثية طويلة في بستان أكلته الشاه، و يقال: إن بستانه كان ذراعا في ذراع، و قال بعضهم: بل كان شعيرا تحت جرة ماء فهلك.

7- الأصفهاني: الأغاني. ج14.ص24 وما بعدها و فيه القصيدة كاملة.

ويسترسل الشاعر في وصف محاسن بستانه إلى أن يبدأ في هجاء عترة جاره بألذع هجاء و أشنع الأوصاف متهجما عليها بقوله:

أكفه شاه منيع وحدها يوم لا يصبح في البيت علف
أكفه ذات سعال شهلة متعت في شر عيش بالخرف
أكفه يا رب و قضاء الطلى ألحم الكتفين منها بالكتف

و يستمر في صب السخط و الدعاء إلى أن يختم القصيدة بقوله فيها:

ثم قالوا: ذا جـــــزاء للتي تأكل البستان منا و الصحف
لا تلوموني، فلو أبصرت ذا كله فيها إذن لم أنتصـــــف

فهذا الشاعر إذا قد بذل جهدا في نظم هذه القصـــيدة الطويلـــة، فجاءت مكتملة البناء: شكلا و مضمونا، صورة و تعبيرا و موسيقى، حتى و كأنـــك أمام قصيدة جاهـــلية في وصف الأطلال، و بالأخص لما ضمنها أغراضا متعددة: من وصف و مدح و رثاء للبستان، ثم هجاء العترة و الدعاء لها بأبشع المصائب جزاء لفعلها، إنه تذمر فعلا من الفقر الذي كان الشاعر يعيشه. واستمرارا في هذا المنوال هاهو يرثي أيضا ألواحا من الآبنوس، سرقت منه، و كان يملكها و يحفظها في كمه يكتب فيها أشعاره، فقال واصفا إياها، ذاكرا خصالها، متأسفا على فقدها، حتى كأنك تراه في مأتم:[1]

عين بكي بعبرة تســـــــفاح و أقيمني مآتم الألـــــــواح
أوحشت حجرتي وردناي منها في بكوري و عند كل رواح
واذكريها إذا ذكرت بما قـــــد كان فيها من مرفق و صلاح
آبنوس دهماء حالـــــــكة اللو ن لباب من اللطاف المـــلاح
ذات نفع خفيفة القدر و المحـــــمل حلكوكة الذرا و النواحـــي
وسريع جفوفها إن محـــــاها عند ممل مستعجل القوم ماحي
هي كانت على علومي و الآ داب و الفقه عدتي و سلاحي
كنت أغدو بها على طلـــب الـــعـــلـــم إذا ما عدت كل صباح
هي كانت غذاء زوري إذا زا ر، وري النديم يوم اصطبـــاح
آب عسري و غاب يسري و جودي حين غابت و غاب عني سماحي

1- الأصفهاني: الأغاني. ج14.ص 43.

و يظهر أن هذه الألواح كانت زاده المفضل الذي لا يفارقه حيثما كان، و بعد أن افتقدها صارت حرفة في قلبه، فلم ينس صفاتها مثلما قال:[1]

أبقت الألواح إذ أخذت حرقة في القلب تضطرم

زانها فصان من صدف واحمرار السير و القلـــم

و تولى أخذها قـــــثم لا تولى نفعها قثـــــم

إنه عالم آخر للشعر في هذا العصر، يختلف عن عالم شعر المشهورين، فهو يتناول كل ما لم يخطر ببالنا في الحياة، فكل ما نراه تافها هو مهم لدى الشعراء الشعبيين، و بالأخص الطبقة الفقيرة منهم، و ما ذلك إلا رمز لسوء أحوالهم.

و إذا تتبعنا مثل هذه النماذج لنجدها دالة على الوضع الاجتماعي المزري للطبقة الدنيا في هذا العصر، فإذا كانت الأمثلة السابقة من الشعر الاجتماعي قد عبرت بأســـاليب متنوعـــة عن آلام و آمال الفقراء ووصف واقعهم المر، ثم هجاء الأشخاص و المجتمع، و رثاء أعـــضاء أجســـامهم و أهلهم ومتاعهم، فإنما جاء كل ذلك في صور صادقة تعكس ذلك الواقع الفعلي، أو قل الوجه الآخر للعصر الذي تغافل عنه الشعراء المشهورون حين راحوا يقولون فيما يسر عيوب هذا العصر و ما اقترفه حكامه مما كان أثره واضحا في شعر الشعبيين.

1- المصدر السابق: ج14.ص45.

2- على مستوى الأداة:

تمهيد:

هيمن الشعر في كل العصور الأدبية على نفوس العرب، و كان له سحر يأسرهم إليه، حتى قيل إن بيتا من الشعر قد يشعل حربا، و أن بيتا آخر يطفئها، و ذلك يدل على أن الشعر مثل كل شيء عندهم، فهو المدافع عن أنسابهم و الصاد عن أعراضهم و الراد على خصومهم، وهو مستودع عواطفهم و مجمع تجاربهم، إضافة إلى أنه كان وسيلتهم الإعلامية الوحيدة التي لها تأثير كبير على المتلقين.

لكن الشعر العربي، أو أي شعر آخر، لا يبقى جامدا عبر العصور، و كيف يمكنه أن يركد وهو ابن الإنسان، و الإنسان في اضطراب دائم يدفعه حتما إلى التغيير.لذا كان محكوما على الشعر أن يتطور و أن تلحقه أسباب التغيير لأنه يمثل جانبا من النشاط الفكري و العاطـــفي و الاجتـــماعي و الديني للإنسان.

و التغيير الذي حدث في شعر الشعبيين ميزه عن غيره من الشعراء الآخرين في عدة نواحي فنية أهمها: شيوع النتف و المقطوعات الشعرية حتى أصبحت ظاهرة تجديدية في شعرهم، و كذلك ما طرأ على أوزان و قوافي هذا الشكل الشعري من تغيير ملحوظ، ثم ميل الشعراء الشعبيين فيه إلى استخدام اللغة البسيطة و الأسلوب السهل المناسبين له، و جنوح خيالهم إلى إخراج هذا الشعر في صوره المعبرة عن أحوال فئاتهم المختلفة، كل ذلك سنحاول أن نسلط عليه الضوء الآن.

أ – شيوع المقطوعات الشعرية:

المقطوعة الشعرية مظهر من مظاهر التجديد في قصيدة الشعر العباسي، و يرجع أحد الدارسين أسبابها إلى أمرين: أولهما طبيعة التطور الحضـــاري؛ بحيث إنه كلما تعقـــدت أسباب الحـــضارة و طرائق الحياة نفر الناس من الأعمال الأدبية الطويلة و لم يعد لديهم وقت واستعداد لسماع القصائد المطولة كما كان يقف القدماء في عكاظ و الأسواق الأدبية الأخرى يلقونها. و ثانيهما أن الاقتصار على فكرة معينة و موضوع واحد لا يسمح بكثرة الأبيات في الغالب، كما أن لانتشار ظاهرة الغناء أثر في ميل الناس إلى هذه المقطوعات....[1]

و يرى يوسف خليف أن القصر كان ضروريا ليكون الشعر صالحا للإعادة و التكرار اللذين تقتضيهما طبيعة الغناء، و يتحدث بعد ذلك عن المقطوعة فيقول:"فظهرت المقطوعة و أصبحت

1- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في ق 2هـ. ص148 و149.

هي الوحدة الأساسية في هذا الشعر الغنائي، و بدأت القصيدة تختفي منه محتفظة بمكانها الرسمي في الشعر التقليدي، و لم تكن هذه الخصائص مقصورة على شعر الغناء فحسب، و إنما كانت ظاهرة فنية في كثير من الشعر الذي لم يتغن به، فحتى في هذا الشعر كان الشعراء يحرصون على أن يوفروا هذه الخصائص لأنها أصبحت البدع الفني بين شعراء هذه الدور الغنائية"[1] .

وشيوع هذه الظاهرة الفنية في العصر العباسي نلمسه فيما ورد من مصطلحات علم العروض حين تحدد أسماء أشكال المقطوعات في "أن الشعر إذا كان بيتا وحيدا سمي يتيما، و إذا كان بيتين أو ثلاثة سمي نتفة، و إذا كان أربعة أو خمسة أو ستة سمي قطعة، و إذا كان سبعة أبيات فأكثر سمي قصيدة"[2].

و إذا كانت القصيدة تمثل النمط الشائع بين الأنماط السابقة فإن الأمر يختلف في شعر الشعراء الشعبيين حيث كان أغلبه من النتف و المقطوعات.

و هذه النتف و المقطوعات الشعرية تعالج موضوعا واحدا محددا لا تخرج عنه في معظم الأحيان، و قد اختاره الشاعر الشعبي ليعبر به عن ذاته في فكرة سائحة، أو مطلب سريع، أو ملاحظة عابرة لكونه لا يقول ليرضي غيره بل ليعبر عما يحس به و يشعر بأثره، و بذلك يختلف موقف الشاعر الشعبي عن موقف الشاعر المشهور الذي يقول ما يرضي مجالسه التي تحبذ تقليد القدماء في صياغتهم التي لا تصلح غالبا إلا للقصائد الطوال.

غير أن جذور ظاهرة المقطوعات الشعرية القصيرة ترجع إلى الوراء حيث كثرت في أشعار الصعاليك قبل هذا العصر ؛ و تعليل ذلك أن حياة هؤلاء لم تعرف الاستقرار ؛ فقد كانت حياة تشرد وانتقال مفاجئ، و هذا ما جعل شعرهم في الغالب لا يصل إلى درجة القصيدة الطويلة التي تتطلب بعض التريث و الوقت.

و هذا التعليل لشعر الصعاليك ينطبق كثيرا على شعر الشعراء الشعبيين، إضافة إلى تجدد الأفكار التي يمليها العصر، و بالرغم من تباين الأهداف و الغايات بينهم بحسب تباين الطبقات التي تنتمي إليها فئاتهم إلا أنهم اشتركوا في إنعاش و تعميم هذه الظاهرة الفنية في شعرهم، و هو الأمر الذي جعل الشعراء الشعبيين يساهمون في تحرير القصيدة الواحدة من تنوع في الأغراض و جعلوا الشعر قادرا على تسجيل المواقف الآنية بصدق و عفوية، و هو أقرب ما يكون من حياتهم اليومية التي

1- يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة.دار الكتاب العربي.القاهرة.1968 .(د.ط). ص603 و604.

2- محمود فاخوري: سفينة الشعراء. مكتبة الثقافة. حلب.1970.(د.ط). ص09.

تحوي الكثير من المفاجآت، لأنهم عرفوا أن إطار المقطوعة الشعرية محدود و ضيق، يعبر فيه الشاعر عن خاطر راوده، أو شعور حاد في لحظة من اللحظات، أو معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه بنفسه دون أن يتوسع فيه أو يولد منه ما يضع قصيدة طويلة في بعض الأحيان.

و إذا تصفحنا المعاجم و المصادر التي حافظت على أشعار الشعراء الشعبيين العباسيين، أو اطلعنا على أخبارهم فيها، أدركنا أن ما قالوه من مقطوعات يشغل حيزا كبيرا مما خلفوه من أشعار، فإذا تأملنا هذه المقطوعات أدركنا أنهم تناولوا فيها كل آفاق التجربة الشعرية التي حلقوا فيها؛ إذ استطاعوا أن يصبوا في هذا الشكل الشعري كل الأغراض التقليدية المعروفة، بالإضافة إلى الموضوعات الحديثة التي تتماشى و ذوق العصر، كما أنهم جمعوا بين غرضين أو موضوعين للدلالة على قدرتهم الفنية في استيعاب الأحداث و جمعها في هذا النموذج الشعري القصير، بل لم يتركوا أي موضوع خطر ببالهم مهما عظمت قيمته أو قلت مثلما سنرى في النماذج الآتية.

معنى هذا أن شكل المقطوعة الشعرية القصيرة قد صار في العصر العباسي الأول إطارا فنيا له وزنه و قيمته في شعر هذا العصر لأنه كان استجابة لذوق العصر من جهة، و معظمه كان صالحا للغناء كما ذكرنا من جهة ثانية، و تحقيقا لشعبية الشعر و سرعة تناقله و دورانه على ألسن الناس من ناحية ثالثة، و هذا الشاعر محمد بن حزم الباهلي الذي "يقول المقطوعات فيحسن" [1]. هذا الذي يؤكد ما قلناه عن المقطوعة الشعرية بأنها القالب الشعري المناسب للعصر، فيقول مخاطبا يحي بن أكثم لما عاتبه على اختصاره الشعر:[2]

أبي لي أطول الشعر قصدي إلى المعنى و علمي بالصواب
وإيجاري بمختصر قريب حذفته للفضول مع الجواب
فأبعثهن أربعة و ستا مثقفة بألفاظ عـــــــــذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا و ما حسن الصبا بأخ التصابي
و هن إذا وسمت بهن قوما كأطواق الحمائم في الرقاب
وهن إذا أقمت مسافرات تهاداها الرواة مع الركاب

فالمقطوعة الشعرية إذا، كما يراها الشاعر، لها ميزات كثيرة: إنها من متطلبات ذوق عصره الحضاري، فالاختصار في القول، و التطرق إلى المعنى المباشر، واختيار الأسلوب السهل بألفاظه

1، 2- المرزباني: معجم الشعراء.ص429.

البسيطة العذبة، هي التي جعلت المقطوعة سهلة التداول بين الناس حتى انتشرت و كثرت لدى الشعراء الشعبين، فكانت ميدانهم الشعري في كل أغراضه و موضوعاته المتنوعة التي نبدأ بذكر نماذج عنها الآن.

ففي موضوع الفكاهة مثلا تصادفنا نتفه من بيتين كاملي الدلالة في شكل جملة تامة للشاعر أبي البهدلي قالها في شاة سعيد الهزيلة لما أهداها له أضحية العيد:[1]

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد حاصلا في يدي غير الإهاب

ليس إلا عظامها لو تراها قلت: أرازن في جـــــراب

فالبيتين كانا كافيين لرسم هذه الشاة النحيلة في صورة كاريكاتورية واضحة و مـــتكاملة فنيا، و فيهما تبز قدرة الشاعر الفنية على التعبير بأسلوب واضح و بسيط عن قيمة هذه الهدية التي ما كلفته جهدا كبيرا لإبراز ظاهرة البخل عند بعض الناس.

و في الموضوع نفسه نظم هذا الشاعر قطعة أخرى و كأنه يؤكد لنا أن مثل هذه المواقف الآنية ذات العلاقة بحياته اليومية لا يناسبها سوى هذا الإطار الضيق و المحدود للقطعة الشعرية حيث يقول:[2]

أهدى إلينا معمر خروفا كان زمانا عنده مكتـــوفا

يعلفه الكشح و السفوفا و الفارقون بعه دوفـــــــا

حتى إذا صار مستجفيا أهدى فأهدى قصبا ملفوفا

جلل جلدا فوقه و صوفا و كأن من فعاله موصـــوفا

فلو تتبع هذه الأبيات رسام كاريكاتوري، و كانت بيده ريشته لاستطاع مباشرة بعد الانتهاء من قراءتها أن يرسم هذا الموقف الساخر المتمثل في شكل هذا الخروف في صورته الهزلية دون عناء أو تفكير، لكون الشاعر قد هيأ له كل مواصفات هذه الشاة في مظهرها الهزلي ليكشف الناس عن نية صاحب هذه الهدية المتمثلة في ظاهرة البخل التي انتشرت في هذا العصر.

1-ابن الجراح: الورقة. ص65

2- المصدر نفسه: ص64.

و نكرر فكاهة أبي دلامة المشهورة المتمثلة في قطعة شعرية نظمها في موقف آن بأمر من الخليفة المهدي لما خرج معه وزيره علي بن سليمان في رحـــلة صيد حينما رمى الخليفة فاصـــطاد ظبيا، و رمى علي فاصطاد كلب صيد فقال أبو دلامة فورا:[1]

قد رمى المهدي ظبيا شك بالســـهم فؤاده

و علي بن سليما ن رمى كلبا فاصطاده

فهنيئا لكما كل امرئ بأكـــــل زاده

إنها نادرة فنية لطيفة بسيطة في مبناها و معناها، تعبر عن موقف فكاهي استطاع الشاعر بقدرته الفنية أن يرسمه و يجسده في ثلاثة أبيات و يخرجه في صورة فنية متكاملة تجعل القارئ ينفجر ضحكا مباشرة بعد قراءتها، وهذا من أهم ميزات القطعة الشعرية التي أصبح يفضلها إنسان العصر على القصيدة الطويلة، فشاعت لخفتها في التداول على الألسن وانتشرت.

و أبو دلامة معروف بنوادره الكثيرة التي صب معظمها في هذا القالب من القطع الشعرية القصيرة، فبديهته و سرعة تجاوبه مع الأحداث في الوقت المناسب ، اشتهر في ميـــدان الظـــرف و الفكاهة و التندر، و نظم فيه الكثير من المقطوعات الشعرية حتى أصبحت المواقف متنوعة طوع إرادته و قدرته الفنية، فيغير جدها إلى الهزل، و هزلها إلى جد، فانظر إليه مثلا في موقف حرج حينما أجبر على المشاركة في معركة حرب كيف استطاع التخلص منه بقوله لقائد الجيش روح بن حاتم:[2]

إني أعوذ بروح أن يقدمـــني إلى القتال فتشقى بي بنو أســـــد

إن الملهب حب الموت أورثكم و لم أرث نجدة في الحرب عن أحد

فأجابه القائد روح، و كان شاعرا، بالقالب الشعري الساخر نفسه:[3]

هون عليك فلن أريدك في وغى لتطاعن و تناوش و ضـــراب

كن واقفا في الجيش آخر آخر فإن انهزمت مضيت في الهراب

فأبو دلامة بفضل ذكائه و طريقته الهازلة تمكن من أن ينقذ نفسه من موقف هالك لم يكن أهلا له؛ حيث أشعر القائد أنه لم يخلق لميدان الحرب و إنما قول الشعر، و بفضل نظمه هذه النتفة التي

1- ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص59.

3،2- المصدر نفسه: ص57.

كشف فيها عن شخصيته الحقيقية حيث أقنع القائـــد روح حتى استـــجاب بنتفة مثلها لـــطلبه، و بالطريقة الفنية المازحة نفسها و بهذا تخلص الشاعر من كارثة كادت تحصل له، و بهذا كانت النتفتان القالب الشعري المناسب لمثل هذه المواقف الهزلية.

و إذا اكتفينا بما ذكرنا من النماذج في المقطوعات الشعرية المعبرة عن مواقف مازحة، فإننا نعرج إلى مواقف جدية متنوعة كانت هي الأخرى صالحة لتصب هذا القالب الشعري الضيق المتمثل في المقطوعة الشعرية المنتشرة في شعر الشعبيين، فقد نظموا النتف و المقطوعات في مختلف الموضوعات و الأغراض التي خطرت ببالهم و طرقت خيالهم، نذكر منها على سبيل المثال:

موضوع المدح .نذكر مدحة الشاعر المخيس بن أرطاة الراجز التي رحب فيها بحكم بني العـــباس، و كان من مدحهم من الشعراء، فقال:[1]

أهلا و سهلا بخيار الناس بها تم أهل الندى و الباس

بدلت الوحشة بالإيناس و على الفرع على الأساس

تداولوها يا بني العباس تداول الأكف بالأمراس

فقد خرج الشاعر في هذه القطعة عن ذكر الإطار التقليدي الذي كانت تبنى عليه قصيدة المدح القديمة، واكتفى بقول ثلاث أبيات جاءت مباشرة في الموضـــوع، مشـــحنة بأوصاف كاملـــة، و متناهية في دقة التعبير و سهولة الألفاظ، حتى أسرت الممدوحين فأجازوه بعطائهم.

و بالمثل الهجاء، فلو عرجنا على القطعة التالية لابن أبي خالد التي هجا فيها القاضي يحي ابن أكثم مجاهرا بفساد حكمه ومن ولاه فقال:[2]

قاض يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باس

أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط و الراس شر ما راس

لا أحسب الجور ينقضي و على الأمة وال من آل عباس

فالشاعر في هذه القطعة بحيزها الضيق يعطينا صورة كاملة وواضحة غير أنها معاكسة للتي وردت في المدحة السابقة من حيث الحكم على بني العباس؛ إذ التذمر من حكمهم الجائر بارز ما دام يعمه الفساد الأخلاقي و الرشوة وانعدام العدالة.

1 - المرزباني: معجم الشعراء. ص479.

2 - ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص 378.

و في الغزل نلمس قطعة للشاعر محمد بن أمية يلخص فيها تجربته في الحب و ما ينجر عنها من عذاب فيقول:[1]

هويت فلم يبل الهوى و بليت و كاسبت كل ذل حين هويت
و قد كنت أهزأ بالمحبين مرة فقد حل بي ما كنت منه هزيت
كتمت الهوى حتى تشكت نحولها عظامي بإفصاح و هن سكوت
تذب المنى عني المنايا و لو خلا ثقيل المنى من مهجتي لـــطفيت
و أضمر في قلبي العتاب فإن بدت و ساعفني قرب اللقاء نسيت

تبدو هذه الأبيات كافية لعرض معاناة المحبين، و كأن الشاعر يحذر الناس من الغوص في بحر الهوى المملوء بالآلام و شتى أنواع العذاب التي يكابدها كل من ذاق طعم الحب.

و في المجون و الخمر نقرأ هذه القطعة للشاعر إسماعيل القراطيسي الذي كان يصـــاحب أبا نواس و أبا العتاهية و يشاركهم في مجالس لهو و خمر كثيرة، فيذكر مجلسا منها قائلا لأصحابه:[2]

ألا قوموا بأجمعكم إلى بيت القراطيســـي
لقد هيأ لنا النزل غلام فاره طوســـــي
و قد هيأ الزجاجات لنا من أرض بلقـــيس
و ألوانا من الطير و ألوانا من العـــيس
و قينات من الحور كأمثال الطواويـــس
ف...[3] في ذاكم و في طاعة إبلـــيس

فهو يرسم لأصحابه بصورة مغرية لما حضره لهم بمنزله من ضروب اللهو و القصف و المجون التي تجمع بين الشراب و الغناء و العبث بالغلمان و التهتك بأعراض القيان، فكانت الأبيات كافية لعرض هذه الصور المغرية التي جاءت و كأنها شريط إشهاري بثه الشاعر لتهيئة نفوس أولئك المجان لكي يهرعوا إلى هذا المكان. و في الشيب نظم الشعراء الشعبيون الكثير من المقطوعات، نذكر منها القطعة للشاعر موسى بن محمد السلمي، فيلخص فيها مغزى بروز الشيب فيقول:[4]

1 - المرزباني: معجم الشعراء. ص418.

2 - ابن الجراح: الورقة. ص107.

3 - كلمة ماجنة محذوفة عمدا.

4 - المرزباني: معجم الشعراء.ص379.

قعد الشيب بي عن اللذات و رماني بجفوة القينات
فإذا رمت ستره بخضاب فضحته طلائع الناصلات
ما رأيت الخضاب إلا سرابا غر في لمعه بأرض فـــــلات
فإذا ما دعا لإلى الكأس داع قلت ما الكبير و الشـــــربات
لست بعد الشباب ألتذ بالعيـــ ـــش فدعني و غصة العبرات
إن فقد الشباب أنزلني بعـــــ ـــدك دار الهموم و الحسرات
و رماني بأسهم الشيب دهر فأرعتني أيامه عن حـــــياتي

فقد أحس الشاعر بأن ناقوس الخطر قد دق إثر ظهور الشيب في رأسه، حيث لا ينفع إخضابه أو ستره، بل عليه أن يتخذ منه عبرة و يجعله حدا لحياة شبابه الطويلة الممتعة اللاهية، من أجل الاستعداد إلى حياة قصيرة فانية، أوفت الأبيات غرض الشاعر المقصود.

وفي الوصف قال محمد بن كناسة مصورا مدينة الكوفة:[1]

سفلت عن برد أرض زادها البرد عـــذابا
و علت عن حر أخرى تلهب النار التـــهابا
مزجت حرا ببرد فصفا العيش و طابا

فالنتفة حوت ما كان يكفي للدلالة على الجو المعتدل في هذه المدينة الجميلة حيث يطيب العيش و يصفوا لمن يسكنها.

و هذه مقطوعة لأبي الشيص الخزاعي جمع فيها بين المدح و الرثاء، أي بين الحزن و الفرح، لأن الرثاء مدح للميت كما يقول النقاد، إذ استطاع الشاعر بها أن يرثي الخليفة الرشيد ثم يهنئ ابنه الأمين بتوليه الخلافة بعده، فيقول:[2]

جرت جوار بالسعد و النحس فنحن في وحشة و في أنس
العين تبكي و السن ضاحكة فنحن في مأتم و في عرس
يضحكنا القائم الأمين و يبـــــ ـــكينا وفاة الإمام بالأمـــــس
بدران: بدر هنا ببغداد في الـــ ـــخلد[3] و بدر بطوس في الرمس

1 - الأصفهاني: الأغاني. ج13.ص344.

2- زهير أحمد محمد منصور: أبو الشيص الخزاعي حياته و شعره.ص131. 132..

3 - الخلد : قصر كان للخليفة العباسي ببغداد.

تمثل إبداع الشاعر في جمعه بين حالتين متناقضتين يصعب الجمع بينهما، حالة الفرح و حالة الحزن، فالفرح أعطاه مظاهره "السن الضاحكة" و الحزن أعطاه مظاهره "العين تبكي" و الفرح يكمن في عالم الحاضر أو المستقبل بينما الحزن يتمثل في عالم الماضي الدفين.فكانت القطعة كافية لرسم واستيعاب هذه الصورة التي أرضت الخليفة الأمين.

ومن الأمثلة السابقة للمقطوعة الشعرية التي تناولت أغلب الأغراض و الموضوعات نقول: إن الشعراء المغمورين بمختلف فئاتهم قد استطاعوا أن يقتنصوا ذوق عصرهم الذي كان يميل إلى الاختصار في القول، و التطرق إلى الموضوع مباشرة، حتى تسهل له حفظ هذه الأشعار و تداولها بين الناس، و بالأخص لما كانت سهلة في التركيب اللغوي، و بسيطة في التعبير التصويري، حين وظفت ألفاظا متداولة بين الناس معبرة عن صور أغلبها واقعية تعالج مشاكلهم و مواقفهم الاجتماعية الآنية، فكان هذا هو الإطار الشعري المفضل للعصر الذي مثلته المقطوعة الشعرية أحسن تمثيل حتى انتشرت بكثرة في شعر الشعبيين في العصر العباسي الأول بفضل ما تحمله من فنيات شعرية أخرى كما سنرى الآن.

ب – الموسيقى:

1 – الأوزان:

حصر الخليل بن أحمد أوزان الشعر و أنغامه في خمسة عشر بحرا المعروفة، ثم تدارك عليه تلميذه الأخفش بالوزن السادس عشر و هو المتدارك، و هذه الأوزان قد تواضع عليها الشعراء وارتضتها أذواقهم، و طبائعهم، فأخذوا ينسجون على منوالها و يعزفون على أنغامها عواطفهم و مشاعرهم المختلفة.

و بقي الأمر هكذا حتى مطلع العصر العباسي، فإذا نفر من الشعراء يتمردون على هذه الأوزان، و يخرجون على تلك الأنغام، فعملوا على اختراع أوزان جديدة، و إيقاعات مستحدثة، وممن شهرتهم أقلام النقاد و ألسن الرواة الشاعر المشهور أبو العتاهية الذي يروى عنه أنه جلس يوما عند قصار فسمع صوت الدق، فحكى صوته و إيقاعه فقال:[1]

للمنون دائرات يدرن صرفها هن ينتقينا واحدا فواحدا

ووزنه فاعلن مستفعلن مرتين في كل شطر و هو على عكس البسيط .

1- ابن قتيبة : الشعر و الشعراء. ص766.

فلما اعترض عليه بأنه خرج عن العروض قال: أنا أكبر من العروض. و يرجع ابن قتيبة ذلك إلى سهولة الشعر عليه، حيث ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر و أوزان العرب، كما قيل عنه أن له أوزان لا تدخل في العروض.

وقد قيل عن بشار كذلك أنه كان يصنع المخمسات و المزدوجات عبثا واستهانة بالشعر العربي.[1] و هناك محاولات عرفت من غير هذين الشاعرين أشارت المصادر إلى مضامينها المختلفة، كالعباس بن الأحنف، و مطيع بن إياس و أبي نواس مثلا.

و إذا كان لهؤلاء الشعراء المشهورين الفضل في هذا التجديد العروضي- إذا نظرنا إلى تلك الروايات المترددة و الشائعة عنهم- فإنه يمكننا أن نقول بأن طبيعة هذا العصر الذي طغت عليه حضارة جديدة جارفة هي التي فرضت على إنسانه هذا التجديد في كثير من مجالاته، و ما يهمنا منها هو الثورة على موسيقى الشعر في أوزانه و أنغامه التي استحدثها أغلب الشعراء، حين تتبعوا ذوق العصر الجديد فأخذوا في استحداث أوزان جديدة واختراع أنغام لم تكن مألوفة من قبل، مع اهتمامهم بالسياق العام للقصيدة و الحفاظ عليه كما كان.

و لعل هذه الظاهرة الجديدة في أوزان الشعر نلمسها بكثرة لدى الشعراء الشعبيين في العصر العباسي الأول الذين بالرغم من أنهم استخدموا كل البحور الخليلية الطويلة في بعض أشعارهم تقليدا للمشهورين و برهانا على قدتهم الفنية إلا أنهم قد ركنوا أكثر إلى جـــانب آخر في الوزن، و هو ميلهم إلى الأوزان القصيرة المتمثلة في مجزوءات بحـــور الرمل و الكامـــل و الرجز و الخفيف و الوافر و المتقارب، كما عملوا في كثير من الأحيان إلى إحياء بعض الأوزان المهملة التي جاء بها الخليل، كوزن المجتث و مخلع البسيط، فنظموا عليها و فضلوها على سواها؛ إذ وجدوا في كل هذه الأوزان القصيرة متنفسا سكبوا فيه معظم أشعارهم، و يرجع ذلك إلى الأسباب نفسها التي أنجبت ظاهرة المقطوعة الشعرية السابقة الذكر، من مثل نفور الناس من القصائد الطويلة، و الاقتصار على موضوع واحد يحمل فكرة معينة، وانتشار ظاهرة الغناء على الأخص، بالإضافة إلى أن الشاعر الشعبي اختار هذا الشكل الشعري بوزنه القصير لكونه المناسب لعرض مواقفه الآنية في صورها الواقعية التي تمس حياته اليومية في سرائها و ضرائها، فتجسد حالاتهم النفسية مثلما ذهب إليه

1- الجاحظ: البيان و التبيين.تح.عبد السلام هارون.مكتبة الجاحظ.بيروت.1948.(د.ط).ج.1. ص49.

إبراهيم أنيس في قوله: "إن النظم في ساعات الانفعال النفساني يميل إلى انتـــخاب البحور القصيرة و إلى التقليل من الأبيات"[1].

و مثلما أشرنا فقد أصبح الغناء وما يتولد عنه من لهو ومجون من أهم العوامل التي دفعت الشعراء إلى النظم في البحور القصيرة و المجزوءات الطويلة التي تناسب المقطوعات و النتف ذات الفكرة الواحدة، و تأكيدا لذلك ما ورد في قول طه إبراهيم: "أن شيوع الأوزان القديمة لم يكن أمرا متعمدا، إنما دعت إليه دواعي اللهو و الملاءمة بين الفكرة القصيرة النفس و البحر القصير"[2].

هذه الفكرة القصيرة النفس بوزنها الخفيف تمثلت في موضوعات شعرية مختلفة و متنوعة، أغلبها بنت حينها لكونها نابعة من واقع الشـــاعر الذي انتخب لها- كما ذكرنا – البـــحور القـــصيرة و مجزوءات البحور الطويـــلة التي نشرع في تقديم بعض النماذج لها كأمثلة فقط، و هي في الغالب كانت صالحة للغناء كما سنرى، و قد استقصيناها من مصدرين هامين هما الأغاني و الورقة.

ففي مجزوء الرمل نلتقي مع الشاعر التيمي حين دخل على المأمون فمدحه بثلاثة أبيات تحمل بعدا سياسيا كبيرا يرفع من شأن هذا الخليفة الذي سر بها فأجازه بعشرة آلاف درهم، و هي:[3]

نصر المأمون عبد الـــ ـــله لما ظلـــموه

نقضوا العهد الذي كا نوا قديما أكدوه

لم يعامله أخـــــــوه بالذي أوصى أبوه

فالفكرة التي تحمل هذه الأبيات قصيرة لا تحتاج إلى طول نفس حتى يشرحها الشاعر و يعللها؛ فهي نزاع معروف بين الأخوين على الحكم، و النصر فيه كان حليف المأمون تنفيذا لوصية الأب، و التاريخ يشهد على ذلك فنال حقه بعد أن ظلموه، وانتقاء هذا الوزن الخفيف من طرف الشاعر كان ملائما لهذه الفكرة القصيرة رغم بعدها التاريخي المتشعب كما عرفناه.

وفي هذا الوزن أيضا أنشد الشاعر المغني عبد الله بن العباس الربيعي هذه القطعة التي خصصها للاحتفال بيوم النيروز في قصر الخليفة الواثق، حيث أطربه، فاستحسن غناءه و شرب عليه حتى

1 - إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر.مكتبة الأنجلو المصرية.القاهرة.(د.ت).ط2. 1945.ص178 و179.

2 - طه إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص101.

3 - الأصفهاني: الأغاني. ج19. ص329.

سكر و أمر له بثلاثين ألف درهم، فجاءت بوزنها الخفيف كلها وصفا و مدحا للخليفة و لهذا اليوم التاريخي الفارسي الأصل، فقال:[1]

هي للنيروز جامـــــا و مداما و ندامى
يحمدون الله و الـــــوا ثق هارون الإمام
ما أرى كسرى أنو شر وان مثل العام عاما
نرجسا غضـــا و وردا و بهارا و خزاما

و الخليفة الأمين كشاعر نظم هو الآخر على هذا النغم بيتين يواسي فيهما خادمه كوثر لما أصيب في معركة حربية فأخذ يمسح الدم عن وجهه و يقول:[2]

ضربوا قرة عيني و من أجلي ضربوه
أخذ الله قلبي من أناس أحرقوه

و لكنه كلما أراد الزيادة في الأبيات لم يستطع، فصادف الشاعر الذي أكملها قائلا على الوزن نفسه:[3]

ما لم أهوى شبيه فبه الدنيا تتيه
وصله حلق و لكن هـــــجره مر كريه
من رأى الناس له الفضـــ ـــل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا سم بالمـــــلك أخوه

و قد صب ابن مناذر أبياتا في الوزن نفسه،يهجوا فيها خالد بن طليق بعد أن ولاه المهدي القضاء، فيرى بأنه غير آهل لهذا المنصب لكونه كثير الأخطاء، فقال:[4]

أصبح الحاكم يا للـــ ـــناس من آل طليق
يدع القصد و يهوي في بنـــــيات الطرق
جالسا يحكم في النا س يحـــكم الجاثليق
يا أبا الهيثم ما كنـــ ـــت لهذا بخلـــيق

1 - المصدرالسابق:ج19. ص192.

2 - المصدر السابق:ج19.ص324.

3- المصدر السابق: ج19. ص325.

4- المصدرالسابق: ج18.ص131 و132، و طبقات ابن المعتز:.ص122.

لا ولا كنت لما حمد ـــت منه بمطـــيق

و لخفة هذا الوزن كذلك سكب فيه الجماز بيتين سخيفين يهجو فيهما عبد الصمد بن المعذل فسارا- كما ورد في الأغاني – في أفواه الناس حتى لم يبقى خاص و لا عام إلا رواهما، هما:[1]

ابن المعذل من هو و من أبوه المعذل

سألت وهبان عنه فقال بيض محول

فرد عليه في النغم نفسه عبد الصمد بألذع منه حتى أصبح الناس تتحاجى فيه وهو قوله:[2]

نسب الجماز مقصو ر إليه مـــــنتهاه

يتراءى نسب النا س فما يخفي سواه

يتحاجى في أبي الجـــ ـــماز من هو كاتباه

ليس يدري من أبو الجـــ ـــماز إلا من يـــراه

و في المجون و الخمر عزف الشاعر آدم بن عبد العزيز عدة قصائد و مقطوعات قصيرة النفس، خفيفة النغم على وزن مجزوء الرمل هذا، أغلبها لا تخرج من وصف الخمرة في طعمها و مـــفعولها و ما إلى ذلك، نذكر من بينها قوله:[3]

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل

قهوة في ظل كرم سبيت من نهر بيل

في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيل

و قوله:[4]

اسقني واسق غصينا لا تبع بالنـــــقد دينا

اسقنيها مرة الطعـــ ـــم تريك الشين زينا

و كانت القطعتان من مختارات الأصوات في الأغاني التي غناها المغنون لخفة لحنها.

1- المصدر السابق: ج18.ص238.

2- المصدر السابق: ج18. ص239.

3 -المصدر السابق: ج15.ص226.

4 - المصدرالسابق: ج15. ص 226.

و حتى الفكاهة و الظرف لاءم هذا الوزن ما ورد على لسان الشعراء من مقطوعات في بعض مواقفهم الهزلية، من مثل قول أبي دلامة يطلب أن تشفع له عند المهدي ليعفيه من الصلاة في شهر رمضان المعظم بعد فرضها عليه، ننتقي منه هذه الأبيات:[1]

أبلغا ريـــــــطة أني كـــــــنت عبدا لأبيها
جاء شهر الصوم يمشي مشـــــــية ما أشتهيها
فاطلبي لي فرجا منـــ ـــها و أجري لك فيها

و كقول خالد الكاتب حين أرغمه المتوكل على الزيادة في شرب الخمر فتفكه قائلا:[2]

سيدي حوصلتي ضيقة عن شرب رطل
فمتى زدت عليه خفت أن يذهب عقلي

و جعيفران الموسوس نظم في هذا الوزن مقطوعة يعاتب فيها غيره حين اتهموه بالجنون فقال لما شاهدوه عريانا يقضي حاجته:[3]

و ندامي أكـــــــلوني إذا تغيبت قلـــــيلا
زعموا أني مجـــــــــنو ن أرى العري جميلا
كيف لا أعري و ما أبـــ ـــصر في الناس مثيلا
أن يكون قد ساءكم قر بي فخلوا لي ســـبيلا
و أتموا يومـــــــــكم سركـــــــم الله طويلا

و لو تتبعنا الأمثلة التي جاءت على وزن مجزوء الرمل لوجدناها كثيرة، وما هذه إلا نماذج استقصيناها من كتب الأغاني وحده حتى نؤكد أن انتخاب الشعراء الشعبيين لهذا الوزن جاء نتيجة ملاءمة أنغامه لكل الموضوعات الشعرية، و بالأخص التي لها علاقة وطيدة بحياة كل شاعر.

و في الأوزان القصيرة و مجزوءات البحور الطويلة الأخرى كذلك نظم الشعراء الشعبيون بعض قصائدهم و كثيرا من مقطوعاتهم التي لا يسمح لنا المجال هنا بذكرها جميعا مثلما فعلنا مع مجزوء الرمل، و إنما نكتفي بذكر بعض النماذج التي وردت في كل وزن كمثال فقط.

1- المصدر السابق: ج10. ص 260 و261.

2 - المصدر السابق: ج 23.ص101.

3 - المصدر السابق: ج20. ص152.

ففي مجزوء الكامل نذكر حكمة الشاعر محمد بن يسير الذي يفتح بها الأمل لكل يائس فينبهه أن لكل ضائقة مخرج فيقول:[1]

تخطي النفوس مع العيا ن و قد تصيب مع المضنة

كم من مضيق في الفضا ء و مخرج بين الأسنة

و على الوزن نفسه يأتي هذا الصوت المختار في الأغاني الذي غناه جحظة المغني المشهور في العصر، و هو مقطوعة شعرية نظمها خالد الكاتب في مدح إبراهيم بن المهدي، حيث تلاءم فيها اللحن الخفيف مع الكلمات اللطيفة و المعاني الظريفة ليبين مدى محبته له فقال يصفه:[2]

عاتبت نفسي في هوا ك فلم أجـــدها تقبل

وأطعت داعيها إليك و لم أطع من يعذل

لا و الذي جعل الوجو ه لحسن وجهك تمثل

لا قلت إن الصبر عنك من التـــــصابي أجمل

و في الفسق و المجون و المجاهرة باللواط نظم الشاعر يوسف بن الحجاج أشعارا كثيرة منها هذه المقطوعة التي صبها في وزن مجزوء الكامل كذلك، نختار منها البيت الأخير الذي يقول فيه:[3]

واتبع للذاتك الهوى و دع الملامة للمليم

و لكن ابن المولى يرى عكس ذلك حين يحذر الناس من إتباع هوى النفس و غرور ملذات الدنيا التي حتما زائلة، فيختار مقطوعة في هذا المعنى سكبها في الوزن نفسه جاء فيها:[4]

و أخو الحياة من الحيا ة معالج غـــلظا ولينا

و ترى المكل بالغوا ني راكـــبا أبدا فنونا

و المرء تحرم نفـــسه ما لا يزال به حزينا

و تراه يجمـــع ماله جمع الحريص لوارثينا

و إذا انتقلنا إلى مجزوء الرجز نصادف كذلك عدة أمثلة من الأشعار التي صبت فيه و تناولت موضوعات نذكر منها على سبيل المثال بيتين لعلية بنت المهدي هما:[5]

1 - الأصفهاني:الأغاني. ج20. ص152.

2 - المصدر نفسه: ج20. ص239.

3 - المصدر نفسه: ج23. ص 91.

4 - المصدر نفسه: ج10. ص182.

5 - المصدر نفسه:ج10. ص208.

منفصل عني و ما قـــــلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي أن تصل

ورد في الأغاني أن الشاعرة غنتهما مع ألفي جارية عليهن غرائب اللباس، فهزت مشاعر الخليفة هارون الرشيد فطرب لها كثيرا حتى تراجع عن جفوته لأم جعفر و عاد إليها بعد أن سلبته منها جارية اهديت إليه و كانت في غاية الجمال و الكمال.

و يعود هذا الإعجاب كله إلى تلاؤم خفة الوزن مع اللحن الجميل للنتفة. و يروي كذلك عن الخليفة الهادي أنه مر به خادم غلام اسمه"لا تسل" فنظم فيه قطعة يتغزل فيها بجماله نورد منها قوله على الوزن نفسه:[1]

و شادن مر بنا يحرج باللحظ المقل

بدر يراه أبدا طالع سعد ما أفل

سألته عن اسمه فقال لي اسمي"لا تسل"

و الفضل الرقاشي يختار الوزن كذلك ليعزف على أوتاره أنغاما حزينة يبكي فيها ديار حبيبته سعدى التي محتها الأمطار و صارت أطلالا لم يبق فيها إلا الذكريات، و المقطوعة من مختارات أصوات الأغاني يقول فيها:[2]

آثر ربع قـــــدما أعيا جوابا صمما

سحت عليهم ديم بمائها فانهـــــدما

كان لسعدى علما فصار وحشا رمما

أيام سعدى سقم و هي تداوي السقما

و أما إذا عرجنا على مجزوء الخفيف فإننا نصادف بعضا من الأمثلة فقط، منها هذه الطريفة الهزلية في شكلها الفني، البذيئة في تركيبها اللفظي، أرسلها الشاعر الموسوس جعيفران في جلسة أكل طلبه من رجل اشترط معه بطيخا، فقدمت له الجراية خبزا و سلقا و بخردل، ثم أبطأت في تقديم البطيخ حتى ضجر فقال:[3]

سلقتنا و خردلت ثم ولت فادبرت

---

1 - الأصفهاني: الأغاني.ج10.ص206.

2 -المصدر نفسه:ج16.ص179.

3 - المصدر نفسه: ج20. ص156.

و أراها بواحد وافر...[1]قد خلت

و صاغ في هذا الوزن أيضا عبد الصمد بن المعذل نتفة يهجو فيها أخاه أحمد فقال:[2]

إن هذا يرى أرى أنه ابن المهـــلب

أنت و الله معجب و لنا غير معجب

و بالمثل قال في أخرى على الوزن نفسه يهجو أبا رهم هجاء فاحشا بذيئا:[3]

هو و الله منصف زوجه زوج زوجته

يقسم.....عادلا بين.....[4]

أما في مجزوء المتقارب لم أصادف في الأغاني سوى هذه القطعة لسعيد بن وهب، و هي الأخرى في الفحش و المجون، يقول فيها:[5]

أبو حسن لا يفي فمن ذا يفي بعده؟

أثرت له شادنا فصايده وحده

و أظهر لي غدرة و أخلفني وعده

سأطلب ما ساءه كما ساءني جهده

و كذلك في مجزوء الوافر توجد قطعة واحدة لمحمد اليزيدي يشكو فيها من ألم الهوى قائلا:[6]

أتيتك عائذا بك منـــ ـــك لما ضاقت الحيل

و صيرني هواك و بي لحيني يضرب المثـــــل

فإن سلمت لكم نفسي فما لاقيته جـــــــلل

و إن قتل الهوى رجلا فغني ذلك الرجـــــل

---

1 - كلمة بذيئة محذوفة.

2 - الأصفهاني: الأغاني.ج13.ص253 و258.

3 - المصدر نفسه:ج13. ص247.

4 - كلمات فاحشة محذوفة.

5 - الأصفهاني: الأغاني. ج20، ص304.

6 - المصدر نفسه:ج6.ص157 و159.

هذا بالنسبة لمجزوءات البحور الطويلة التي اقتطفناها من كتاب الأغاني فقط و قدمناها كأمثلة عن سبب انتخاب الشعبيين لهذه الأوزان الخفيفة و القصيرة التي لاءمت نتفهم و مقطوعاتهم التي تحمل أفكارهم الآنية.

أما بالنسبة لإحيائهم بعض الأوزان المهملة فإننا نلاحظ من خلال كتابي الأغاني و الورقة كذلك استعمالهم بكثرة لبحر الهزج، و أقل منه بقليل لبحر المجتث، و مثالين فقط للمخلع البسيط.

ففي مجزوء بحر الهزج نظم الشعراء الشعبيون الكثير من الأشعار في مختلف الأغراض و الموضوعات، غير أن الملاحظة التي تلفت الانتباه أن أغلب ما ورد هذا الوزن الخفيف كان من مختارات الأصوات في الأغاني، و لعل ما نبتدئ به قول يوسف بن الصيقل في هارون الرشيد يمدحه بهذه الأبيات الرقيقة التي نالت كثيرا من إعجابه بها حتى أمر له بفرس ليصاحبه بجنبه أثناء خروجه على الناقة إلى الرقة، ثم أسدل له عطاء كثيرا، و الأبيات هي:[1]

أغيثا تحمل الناقـــ ـــة أم تحمل هارونا ؟
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الـــــدينا
ألا كل الذي عدد ت قد أصبح مقرونا
على مفرق هارون فداه الآدميونـــــا

و قد صب في هذا الوزن الشاعر رزين العروضي، المشهور بإبداعه في العروض، قطعة نظمها في الحظة و التي رمي فيها بتفاحة من دار لبعض الجيران و كان في جلسة شرب، فقال على الفور يتغزل:[2]

أيا تفاحة زمت فوادي للهوى زمانى
لقد ألقاك إنسان فلا أقلع أو أخصى

و حتى في التباهي في قول الشعر في الأقذار و السخافات نجد أبا العبر الهامشي يفخر على الشاعر الفضل بن هاشم الذي خص معظم شعره في الأقذار متخذا إياها فنا شعريا لا يضاهيه فيه أحد، فقال أبو العبر:[3]

هذا الفضل يحكيني فقولوا أينا أقذر

---

1 - الأصفهاني: الأغاني.ج23.ص90.

2 - ابن الجراح: الورقة.ص37.

3 - المصدر نفسه: ص59.

و إذا اكتفينا بما ورد من نماذج في بحر الهزج، فسننتقل إلى أمثلة عن بحر المجتث الذي هو الآخر نال نصيبا لا بأس به من إعجاب الشعراء الشعبيين حين اختاروه لخفته فصاغوا على وزنه مختلف موضوعاتهم، من ذلك قول الفضل بن هاشم السابق الذكر في أقذاره و حماقاته في قصيدة مطلعها:[1]

أنا المخبل صرفا حماقتي ليس تخفي

و في الهجاء قال أبو الضرع في خصم له سفاهاته التي منها:[2]

يا فتحة بن الوجيه أصبت.....فتيهي

لولا البغاء لأضحى و ماله من شبيه

و قد لاءم كذلك هذا الوزن الشاعر الفقير ابن المخفف حين عزف على أوتاره آلامه في مقطوعة ثار فيها على وصف الأطلال و استبدله بوصف الرغيف فابتدأها بقوله:[3]

دع عنك رسم الديار و دع صفات القفار

إلى أن يقول:

وصف رغيفا سريا حكته شمس النهار

أما بالنسبة لمخلع البسيط فإني لم أعثر في المصدرين المذكورين سوى على نموذجين في كتاب الورقة؛ الأول قطعة لمحمد بن حازم الباهلي يحذر فيها الناس من دوائر الدهر، و يدعو إلى القـــناعة و عزة النفس و الصبر على الشدائد، قائلا:[4]

أشد من فاقة و جـــــوع إغضاء حر على خضوع

فارض من الدهر قوت يوم و أنت بالترل الرفيـــــع

وارحل إذا أجدبت بلاد منها إلى الخصب و الربيع

لعل دهرا أتى بنحس يكر بالسعد في الرجوع

1 - ابن جراح: الورقة. ص130. و وردت القصيدة في الفصل الثاني.

2 - المصدر نفسه: ص98.

3 - المصدر نفسه: ص123.

4 -المصدر نفسه: ص117.

و القطعة الثانية للشاعر الشعبي ابن عنبسة نظمها في واحد من الأسرة البرمكية وهو محمد بن يحي الذي كان – حسب رواية ابن الجراح – سيئ الأخلاق متعصبا على العرب، و بعد أن صحبه الشاعر لم يحمده فقال يهجوه:[1]

جادت على الناس لابن يحي محمـــــد ديمة غرار
ما كنت إلا كلحم ميت دعا إلى أكله اضطرار
ما بعد خمس مضت سنوها لبانة لي ولا انتضـــار
لـــــــكن ذنبي إليك أني جدي قحطان أو نزار

إذن من خلال النماذج السابقة التي أوردناها على أوزان البحور القصيرة و مجزوءات البحور الطويلة يمكننا القول أنها كافية كمثال لاستقصاء جميع أشعار الشعبيين التي يستحيل حصرها في مثل هذا البحث المتواضع الذي لا يحتمل أكثر مما ذكرنا. غير أن ما لاحظناه في هذه الأوزان من تجديدات كان له تأثيره على القوافي كذلك التي هي بدورها لم تنج من هذا التيار التجديدي الجارف الذي فرضته حياة العصر الجديدة مثلما سنرى.

2– القوافي:

القافية – كما سنرى – هي إنهاء الجملة الموسيقية التي تحمل شحنة عاطفية معينة بنغم في القصيدة، و قد عرفها الباحثون تعريفات عديدة منها أنها: "الوحدة الصوتية التي تتكرر في آخر كل بيت من القصيدة و إليها تنسب القصيدة كلها...."[2]. فيقال دالية فلان مثلا.

و مثلما جدد العباسيون في الأوزان – كما رأينا – فإنهم قد جددوا في القوافي و تحرروا من كثرة قيودها ؛ لأن القافية التي وصلت إلى ذلك العصر من العهود السابقة لم تعد بنظامها المعروف كافية للتعبير عن مستحدثات العصر، بل ربما كانت أحيانا تمثل حاجزا أمام الشعراء من الصعب اجتيازه على غير المتضلعين منهم، فكان لا بد من إيجاد نظام آخر للقافية تتعدد فيه الحركة للدلالة على حركة الحياة الجديدة السريعة الخطى.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن التجديد في القوافي اشترك فيه الشعراء الشعبيون و كذا المشهورون معا في العصر العباسي، غير أن الشعبيين كانوا أقرب إلى هذه التجديدات من غيرهم من ناحية الكم في شعرهم، و هذا لارتباط معظم الأخيرين بالسلطة التي كانت تشجع الحفاظ على التقاليد

1- ابن الجراح:الورقة. ص100.

2 - رجاء عيد: الشعر و النظم- دراسة في موسيقى الشعر-. دار الثقافة.القاهرة.1997.(د.ط). ص284.

العربية الموروثة، بينما الشعبيين كانوا سريعي التأثر بمختلف التيارات الفكرية و الفلسفية و الفنية الناتجة عن اختلاط الشعوب و العادات و الثقافات، و هذا كونهم لا تحكمهم أي ارتباطات رسمية، و على الرغم من أن شعرهم لم يصل إلينا كله فإنه من المؤكد أن في ما وجدناه يدلنا على تأثيرهم الشديد بتلك الأفكار التجديدية في ميدان الشعر.

وما دام التجديد في القوافي ظاهرة مشتركة بين الشعراء المشهورين و المغمورين- وقد استقصى أثرهم معظم الباحثين في هذا العصر- فإنه يمكننا أن نلخص ذلك ونقول: إن التجديدات التي أحدثت في القوافي تمثلت في ظواهر متعددة أهمها: ظاهرة المزدوج، وظاهرة المشطر، و ظاهرة المسمط، بالإضافة إلى ظواهر أخرى مست القافية في مفهومها المعروف كما سنبين:

1* المزدوج:

و هو ما اتفقت عروضه وضربه، أو كما قال شوقي ضيف:"أما المزدوج فالقافية فيه لا تطرد في الأبيات، تختلف من بيت إلى بيت، بينما تتحد في الشطرين المتقابلين، و عادة تنظم من بحر الرجز..."[1] ، و المزدوج عن الأرجوزة بكون المزدوج ليس من بحر الرجز كهذا المثال الذي جاء في قول أبي العتاهية، وهو من بحر السريع:

لكل شيء معدن و جوهر و أوسط و أصغر و أكـــبر
مازالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذر

و قد انتشر هذا اللون في العصر، و كان للتعليم دور كبير فيه، ورد في قول الجاحظ:"إنه لم يكن أحد أقوى على النظم في المزدوج من بشر بن المعتمر، و إنه كان أقدر فيه من أبان بن عبد الحميد اللاحقي – المشهور بالأشعار التعليمية -"[2] . و قد روى الجاحظ لبشر مزدوجة طويلة في تفضيل علي بن أبي طالب و الرد على الخوارج.

ومن النماذج في هذا النوع من القوافي للشعبيين نذكر مزدوجة طويلة في المجون و الخلاعة للشاعر الفضل الرقاشي ابتدأها بقوله:[3]

أوصى الرقاشي إلى خلانه وصية المحمود في إخوانه

1- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول. ص196.

2 - الجاحظ: الحيوان.ج6.ص455.

3 - ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص226.

و أخرى لبكر بن خارجة قالها في أعياد النصارى و شرائعهم و أديرتهم و يفضلهم، مبتدأ إياها يتغزل في غلام نصراني يقول فيها[1]، و هي من مختارات أصوات الأغاني:

وشادن قلبي به معمود شيمته الهجران و الصدود

لا أسأم الحرص ولا يجود و الصبر عن رؤيته مفقود

كما استخدم المزدوج الشاعر العماني في مدح المهدي بقصيدة مطلعها:

الحمد لله الذي بحمده منٌ على عباده بعبده

و مدح في أخرى الرشيد مطلعها:[2]

لُما أتانا خبر كالشهد شيب بماء نقرة صلند[3]

2* الرباعيات:

و هي تتألف من أربعة شطور، تتفق أولها و ثانيها و رابعها في قافية واحدة، أما الشطر الثالث فقد يتخذ القافية نفسها و قد لا يتخذها[4]، ومن يرجع إلى تراجم الشعراء في الأغاني يجد منها أمثلة كثيرة في مختلف الموضوعات، كقول أحدهم يهجو غيلان جد عبد الصمد بن المعذل قائلا[5]:

ظهر الأمير عليك يا غيلان إذ خنته إن الأمير معـــان

أمع الدمامة قد جمعت خيانة قبح الدميم الفاجر الخوان

و تكثر الرباعيات في ديوان أبي نواس و خاصة في الخمريات و الغزل، كما تكثر عند أبي العتاهية في الغزل و في الزهد مثل قوله في الموت الدائر على جميع الناس:[6]

الموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقى و لا ملك

ما ضر أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك ما ملكوا

3* المسمطات:

1- الأصفهاني: الأغاني.ج23.ص65.

2- المصدر نفسه : ج23.ص65.

3 - صلند: مكان صلب أملس.

4 - شوقي ضيف: العصر العباسي الأول.ص197.

5 - الأصفهاني: الأغاني.ج14.ص362.

6 - الديوان: ص310.

و هي"قصائد تتألف من أدوار و كل دور يتركب من أربعة شطور أو أكثر، و تتفق شطور كل دور في قافية واحدة ماعدا الشطر الأخير فإنه يستقل بقافية مغايرة، و في الوقت نفسه يتحد فيها مع الشطور الأخيرة في الأدوار المختلفة، ومن أجل ذلك يسمى عمود المسمط فهو قطبه الذي يدور عليه، و إنما سمي مسمطا من السمط وهو قلادة تنظم فيها عدة سلوك تجتـــمع عند لؤلـــؤة أو جوهرة كبيرة و كذلك كل دور في السمط يجتمع مع الأدوار الأخرى في قافية الشطر الأخير"[1].

و الملاحظة في هذا النظام للقافية أنه لم يحظ باهتمام الشعراء الشعبيين مثلما اهتم به غيرهم من الشعراء؛ لأنه – حسب ظني – يدخل في الصناعة الفنية التي يتباهى بها شعراء العصر لدى السلطة و النقاد من أجل الشهرة الفنية فقط. وما نورده كمثال عن هذا الفن للمسمط المربع خمرية أبي نواس تتوالى على هذا النمط:[2]

سلاف دن كشمس دجن[3]

كدمع جفن كخمر عدن

طبيخ شمس كلون ورس[4]

ربيب فرس حليف سجف

يا من لحاني على زماني

اللهو شاني فلا تلمني

ومن المسمط أيضا المخمس الذي اشتهر به بشر بن المعتمر، نذكر مثالا عنه لأبي نواس أيضا في مخمس ختمه بهذا الدور:[5]

يا ليلة قضيتها حلـــــــوه مرتشفا من ريقها قهوه

تسكر من قد يبتغي سكره ظننتها من طيبها لحظه

يا ليت لا كان لها آخر

---

1 - شوقي ضيف: العصر العباسي الأول.ص192.

2- الديوان: تحقيق.أحمد عبد المجيد الغزالي . الكتاب العربي. بيروت.1953.(د.ط). 320.

3 - دجن: غيم.

4 - الورس: نبات زهره أصفر.

6،5- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول. ص199و200.

و لعل لهذا النوع من القافية الفضل في التأثير على الأندلسيين حتى أنشأوا موشحاتهم [1].

و هناك تجديدات أخرى في القافية نذكر منها ما يتعلق بالتضمين: و هو أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها، وقد عده القدماء و بعض المحدثين من عيوب القافية؛ إذ شاعت هذه الظاهرة بكثرة في الشعر العباسي، حيث استعمل كثير من الشعراء هذا النوع الذي يجعل الأبيات كلها تتصل فيه اتصالا و تتداخل فيه تداخلا يجعل القصيدة كلها مترابطة متماسكة مبتعدة بذلك عن الطريقة القديمة التي كانت تجعل كل بيت مستقلا بحاله في إطار القصيدة الواحدة و إن كان يمثل جزء هاما في بنائها الكلي، و لقد عاب النقاد هذا الضرب الذي انتشر في الشعر العباسي لكن ما جدوى كلامهم إذا كانت أسباب الحياة تدعو إلى ذلك و تحبذه، حيث اهتم العباسيون بمسألة الترابط أو وحدة القصيدة ذات الغرض الواحد مثلما سلف ذكرنا في أسباب انتشار المقطوعة الشعرية، لكن اهتمام أولئك النقاد كان منصبا في هذه المسألة على القصيدة متعددة الأغراض، كثيرة الأجزاء؛ فانظر مثلا إلى قول أبي دلامة:[2]

وسوسوا في القرآن في مسامعه مخافة الجن و الإنسان لم يخـــــف

شيئا و لكنه من حب جاريـــة أمسى و أصبح موقوفا على التلف

و كما نلاحظ فإن هذين البيتين متصلان بعضهما ببعض أشد الاتصال في عبارة (لم يخف شيئا) بحيث أنك لو قرأت بيتا دون ما يتبعه لما فهمت المراد، و الأمثلة من هذا النوع كثيرة.

و هناك نوع آخر من التجديد في القافية، بحيث تتكرر هذه الكلمة على طول القصيدة، وهو نوع طريف تتضح فيه الصنعة أكثر لأنها ضرب من الجناس، إلا أن كل كلمة تحمل معنى جديدا أو تضيف إيحاء جديدا مثل ما جاء في مقطعة أبي الينبغي التي مطلعها:[3]

ألا يا ملك الناس و خير الناس للناس

أتنهاني عن الناس فاغنيني[4] عن الناس

1،2- الأصفهاني: الأغاني،ج10،ص340.

3 - ابن المعتز: طبقات الشعراء. ص131. و المقطوعة مسجلة في الفصل الثاني.

4 - هكذا ورد غير محذوف الياء و الحذف يخل بالوزن.

و من القوافي المبتكرة تلك التي لا قافية لها و إن كانت تسير كلها على وزن واحد من بحور الشعر المعروفة، كقول رزين العروضي الفارس الأول في التلاعب بالعروض و التمكن منه:[1]

قربوا جمالهم للرحيل غدوة أحبتك الأقربـــون

خلفوك ثم مضوا مدلجين منفردا يهمك ما ودعوك

وكانت هذه الظاهرة في القافية عبارة عن محاولة لدى بعض الشعراء و لكن لم يكتب لها النجاح في ذلك العصر إلا أنها وجدت بعدها في عصرنا هذا متمثلة في ظاهرة الشعر الحر الذي يلتزم التفعيلة و لا يعطي القافية الواحدة أي اعتبار لاعتماده على الموسيقى الداخلية للأشطر الشعرية . غير أن رزينا العروضي لم يلغ الشكل العام للقصيدة في ذلك العصر ، و بقي البيت عنده مقسما إلى شطرين متساويين، إلا أنه ألغى القافية بمفهومها المعروف و لم يلغ شكلها.

هذا ما يمكن قوله بالنسبة لدراسة القافية في شعر الشعراء الشعبيين بصفة عامة، و التي وجدناها ظاهرة مشتركة بينهم و بين غيرهم من الشعراء لكونها قالب فني أنتجته ظاهرة العصر من حيث التجديد فيها و الخروج عن المعتاد في بعض مظاهرها التي أشرنا إليها في الأمثلة السابقة، و إن كانت هذه الظواهر الفنية و التجديدية مست القوافي و الأوزان و بناء القصيدة، فإنها أيضا تحتاج إلى ما يناسبها من لغة و أسلوب.

ج* اللغة و الأسلوب:

1 – اللغة:

اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات التي توصف أبدا بأنها كائن حي قابل للتطور و النمو، لأنه من صفات اللغة الحية المرونة و مواكبة الحياة في سيرها، و المجتمعات في تطورها، ومن يرافق اللغة العربية في رحلتها الطويلة عبر القرون يجد أنها واكبت الحياة العربية في شتى عهودها ؛ ففتحت صدرها لقبول كثير من الجديد الطارئ عليها، من مولد و معرب و مترجم، كما أنها لم تأس لانحصار جملة من ألفاظها و تراكيبها ضمن الأطر المعجمية و القاموسية، فهي إن شاعت في عصر ولاءمته قد لا تلائم عصرا آخر أو تتمشى معه، ثم إنها لم تجد بأسا من تطور بعض ألفاظها في دلالاتها و معانيها.

و قد تمشت لغة الشعر في العصر العباسي الأول مع ناموس التطور وانقادت له و بالأخص مع الشعراء الشعبيين الذين كيفوها مع طابع شعرهم المعبر عما في نفوسهم، باستخدام اللغة المبسطة

1 - مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر. ص542.

العذبة المنتقاة من واقعهم حيث لا توعر فيها و لا إغراض، لكونها تعبر عن العالم الخاص بكل شاعر شعبي،بل تعبر في الغالب عن محيط كل فئة من الشعراء الشعبيين لتعالج قضاياهم ومناسباتهم الشخصية المتنوعة، فكانت لغة شعرهم إذا بعيدة عن المناسبات الرسمية التي تتطلب لغة راقية اتخذها الشعراء الآخرون إرضاء لمجالسهم الرسمية مع الخلفاء و علماء اللغة والنقاد.

فالطابع العام المميز إذا للغة شعر الشعبيين مبني على البساطة و الشعبية في اختيار الألفاظ حتى تعبر بصدق عن انشغالاتهم في آلامهم و آمالهم، لكون منبعها هو الواقع الاجتماعي السائد في هذا العصر و الذي اختلفت معظم ملامحه الواقعية عند كثير من المشهورين.

و النماذج عن الألفاظ السهلة التي استعملها الشعراء الشعبيون في ذلك العصر كثيرة جدا، نذكر منها ما أنشدته امرأة لما اعترضت الخليفة المأمون و كان قد غصبها ضيعتها، فقالت له:[1]

ألا أيها الملك المرتجى لريب المنون و صرف الزمن
بحق النبي و حق الوصي و حق الحسين وحق الحسن
و حق التي غصبت حقها ووالدها بعد ذا ما اندفن
شفعت إليك بأهل الكساء فإن لم تشفع شيعي فمن؟

فهذا شعر لا نجد فيه لفظة غريبة حتى عن عصرنا الحاضر، كل ذلك ألفاظه سهلة بسيطة لم تنحتها صاحبتها من صخر، و لم تأخذها من قاموس للألفاظ الجاهلية، بل استمدتها الشاعرة من واقعها اليومي ومن اللغة التي يتحدث بها البائع الجوال و الفلاح و العامل البسيط.

و إذا تمعنا في المقطوعات التي قيدناها سابقا للشاعر الحمدوني في وصف شاة سعيد و التي منها قوله:

لسعيد شويهة سلها الضمر و العجف
بأبي من بكفه برؤ ما بي من الدنف
فأتاها مطمعا و أتته لتعتلـــــــف
فتولى فأقبلت تغني من الأســـــف
ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف

فإنه أيضا شعر لا كلمة وعرة أو حوشية فيه، و لا لفظ غريب بين جنباته، بل إنه بسيط كبساطة الناس حين يفرحون و يغضبون و يتألمون و يشكون.

1 - الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء.ج2.ص485.

وانظر إلى الهول كيف يغضب لنفسه من بخيل مدحه و لم ينل من عطاياه شيئا فقال فيه:[1]

أصبحت محتاجا إلى الضرب في طلب المعروف من كلب

قد وقح السب له وجهه فصار لا ينحاش للضـــرب

و من سهولة الألفاظ أيضا ما قاله محمد بن أمية في شكل حكمة رائعة تدل على أن الرجل جرب الحياة فأعطانا هذه الأبيات الجميلة:[2]

أقطع الدهر بظن حسن وأجلى كربة لا تنجلي

كلما أملت وجها صالحا عرض المكروه دون الأمل

و كذا الأيام لا تدني الذي ارتجى منها و تدني أجلي

و فوق هذا كله فقد استهل الشعراء الشعبيون العبارات الموغلة في العامية، غير أن النماذج الشعرية التي تحمل هذه العبارات قليلة، و قد كثر منها في العصور الموالية للعصر العباسي الأول، ومن أمثلتها في هذا العصر قول الفضل بن هشام في مجونه:[3]

قل لها أيها الرسول عساهـــــا إن ترد وصلنا نعيش بخير

أيش معنى لصوق صدغ بصدغ إنما الشأن في .....[4]

نلاحظ أولا ورود لفظة (أيش) التي هي استعمال شعبي محض للعـــبارة الفـــصيحة (أي شيء) ، و هذا ناتج عن تطور اللغة عموما و هو ما يسمى أيضا بظاهرة الاقتصاد اللغوي، و هي ظاهرة عامة في كل اللغات، حيث يلجأ المرء عادة في حديثه اليومي إلى اختصار الألفاظ و دمجها أو تبديل الحركات من الصعب إلى السهل حتى يبذل أقل جهد عضلي ممكن دون أن يضر بالمعنى المراد توصيله. و قد استعملت هذه العبارة بكثرة عند الشعراء الشعبيين و حتى عند بعض المشـــهورين. و ثانيا نلاحظ عدم احترام قواعد الإعراب حيث جعل الشاعر جواب الشرط غير مجزوم في الشطر الثاني من البيت الأول (نعيش) .

و قال الشاعر ماني الموسوس يتغزل:[5]

1 - ابن المعتز: طبقات الشعراء.ص143.

2- الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء.ج2.ص455.

3 - ابن الجراح: الورقة. ص129.

4 - تعبير فاحش محذوف.

5 - المرزباني: معجم الشعراء.ص387.

شكوت إليه مالقيت من الهوى فقال: على رسل فمت،فما ذنبي؟

فعبارة (فمت) تقترب كثيرا إلى تعبيرنا الدراج اليوم (مت في جلدي) و لا يقصد به الموت الحقيقي بل تعبيرا عن الخوف الشديد.

و الشاعر يوسف بن الصقيل يقول:[1]

هان الذي ألقى عليك أنا أموت و أنت تلعب

و كأنه يقول في الشطر الثاني بلهجتنا الدراجة (واش يهمك، احنا نموت ولا على بالك بشيء).

و جحظة البرمكي يتغزل فيقول:[2]

فقلت لها: بخلت علي يقظي فجودي في المنام للستهام

فقالت لي:وصرت تنام أيضا و تطمع أن أزورك في المنام

فالبيت الثاني معناه قريب جدا من العامية المستعملة لدى عامة الناس.

و الشواهد على هذه الظاهرة أكثر من آن تحصى، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن نزعة واضحة إلى جعل الشعر قريبا جدا من لغة الناس اليومية قد أخذت تتأكد في العصر العباسي الأول جيلا بعد جيل، و حين يستخدم الشعر لغة الناس اليومية فإنه يعكس بالضرورة الدلالات الإشارية و الإيماءات المعنوية التي اكتسبتها هذه اللغة من خلال الاستعمال على ألسنة الناس، و في هذا قدرتها التعبيرية. فأنت إذا نظرت نظرة مجردة إلى عبارة الشاعر (و صرت تنام أيضا) لرأيت فيها جملة خبرية بسيطة، و لكن ارتباطها بروح الأداء الشعبي للغة أكسبها دلالة معنوية و شعورية تتجاوز الدلالة المباشر لها بوصفها مجرد جملة خبرية و حولها جملة إنشائية.

و طبيعي أن هذا الطراز من الأداء الشعري كان محببا إلى عامة الناس في العصر العباسي؛ أي إلى القطاع العريض الذي يتكلم على لسان الشعراء الشعبيين، و خاصة المثقفين فلم يكونوا جميعا رافضين له بل استعمله بعض ممثليهم من الشعراء المشهورين، و الحق أن هذا الطراز من الأداء الشعري الجديد يسجل تطور اللغة العربية في العصر العباسي الأول من حيث هي أداة تعبير.

2-الأسلوب:

1 - المصدر السابق: ص503.

2 - ابن خلكان: وفيات الأعيان.ج1. ص133.

و إن حصل مثل هذا التطور للغة العربية فإن له تأثير المباشر على الأسلوب في الشعر، حيث كان الأسلوب الشعري شأنه شأن اللغة أيضا؛ فإن كان الشعراء الشعبيون في أغلب أشعارهم قد حاولوا، ما أمكنهم ذلك السير على الأساليب القديمة، و عدم الخروج عنها، و الميل إلى الصياغة القديمة في النسيج العام لأساليبهم، بحيث يختارون من حين لآخر الألفاظ الوعرة و التراكيب القوية المتينة من أجل كسب مآربهم المادية و المعنوية و الحظوة لدى مستمعيهم الخواص، فإن الشعراء الشعبيين في أغلب أشعارهم، البعيدة عن الدائرة الرسمية، كانوا يتخلصون من ذلك النسيج و يغيرون المنوال بآخر أخف و أرشق، و يجيئون بما يناسبه من مادة خفيفة قوامها الألفاظ السهلة و الصياغة الرشيقة العذبة،ومن هنا نشأ ما يسمى بالأسلوب المولد الجديد الذي أراه ينطبق على أشعارهم أكثر من أشعار المشهورين الذين عرفوا به؛ لأن هذا الأسلوب لا يعني بالثورة اللغوية من حيث هي، و إنما هو أسلوب لا ركاكة فيه ولا ابتذال إلى حد كبير، كما يمتاز بالبساطة، واستنباط المعاني الدقيقة مستفيدا من الثقافة المعاصرة، وتقدم الحضارة، لكون في الأخير يعبر عن الواقع المعيش للطبقة الواسعة في المجتمع العباسي التي ينتمي إليها أغلب الشعراء الشعبيين.

أما الشعراء المشهورون فإن ما ميزهم هو ارتباطهم بالأسلوب القديم مثلما يشير عز الدين إسماعيل في قوله:"و هكذا امتد الزمن بعناصر التعبير اللغوية القديمة من خلال أولئك الذين سموا كذلك بفحول الشعراء في العصر العباسي؛ إذا ارتبطت الفحولة – على نحو آخر – بمدى حصيلة الشاعر من هذه العناصر و مدى قدرته على استخدامها و تحريكها في شعره" [1]. و لهذا لجا أحيانا بعض المشهورين، مثل بشار بن برد و أبي نواس و العباس بن الأحنف و مسلم بن الوليد و غيرهم، إلى اختيار الألفاظ لتوظيفها كمحسنات بديعية من أجل التلاعب بها، و الميل إلى إظهار المهارة في الزخرفة و التلوين، كاستعمال الطباق مثلا كما في قول بشار (مباعدة، مقاربة) :[2]

خلقت مباعدة مقاربة حربا و تمت صورة عجبا

وفي قول أبي نواس (مصبحي،ممسائي) :[3]

الله مولى دنانير و مولائي بعينه مصبحي و ممسائي

1- المصدر السابق: ج1. ص133.

2- الديوان: تحقيق.محمد الطاهر بن عاشور.الشركة التونسية للتوزيع.تونس.1976..ج1.ص193.

3 - الديوان:ص360.

و عند العباس بن الأحنف (ساءكم،سركم) في قوله:[1]

فإن ساءكم ما بي من الضر فارحموا و إن سركم هذا العذاب فعذبوا

وقد أكثر من استعماله مسلم بن الوليد، و الأبيات التالية تكشف عن مذهبه فيه:[2]

أيا سرور، وأنت يا حزن لم أمت حين صارت الطعن

ما أحسن الموت عند فرقتهم و أقبح العيش بعدما طعنوا

صبرت للحب، إذ بليت به و مات مني السرار و العلن

كما استعملوا الجناس بطرفيه المعروفين التام و الناقص، و كذلك شيوع الكنايات و الاستعارات و التشبيهات، كما عمدوا إلى الاقتباس من القرآن الكريم لفظا و معنى، و الأمثلة عن كل ما ذكرنا كثيرة عند المشهورين لا يسمح لنا المجال بذكرها جميعا اتقاء الخروج من الموضوع.

أما الشعراء الشعبيون فكان حظهم في ذلك أقل من غيرهم، لأنهم لم يبذلوا جهدا في إظهار مهاراتهم الفنية باستعمال تلك المحسنات البديعية عمدا في أشعارهم إلا ما جاء عفو الخاطر، لكون همهم الأسمى هو إيصال أفكارهم بأسلوب يفهمه الناس في مختلف طبقاتهم. وليس معنى ذلك أن أشعارهم تخلوا من تلك المحسنات بل وردت إما بديهية أو استجابة لما تقتضيه أفكارهم في صورها المتنوعة، لأنهم حتى إن عمدوا في استعمالها أحيانا فإن ذلك ليس لإبراز مقدرتهم، بل هو أمر فرضته المرحلة التي كانوا يمرون بها، و التي سببها ازدهار المجتمع و تنوع الثقافات التي تفرض على الشاعر البحث عن معان تلائم هذا العصر، و السعي الحثيث وراء الصور الطريفة التي تدل على حضارتهم الزاهية و مفاهيمها التي تأثرت بالأساليب الفارسية، لكون أغلب شعراء العصر كانوا من الموالي الفرس.

و لتأكيد مدى استعمال الشعبيين محسنات نذكر بعض النماذج المتنوعة في هذا المجال، منها قول إبراهيم بن المهدي في وصف الخمر:[3]

كأس كأن شعاعها قبس على شرف مطل

و لقد ذعرت بها الظلا م فبث شمس و ظل

1 - ديوان العباس بن الأحنف: شرح و تح عاتكة الخزرجي.دار الكتب المصرية.مصر.1954.(د.ط).ص12.

2- ابن جراح: الورقة.ص24.

3 - المصدر السابق : ص24.

فالبيتان يزخران بعدة محسنات من تشبيه واستعارة و كناية وطباق مما يجعل الصورة التي يقصدها الشاعر تتجلى بوضوح في ذهن القارئ وتتفق مع ذوقه العصري.

و الشاعر أبو الهيذام يبرز عضلاته مفتخرا بقوته و هيبته حين استعمل مثل هذه المحسنات في قوله:[1]

تجن الأرض إن نوديت باسمي و تنهد الجبال إذا كنيت

وكم من شامت أنعـــــــى ومن بك علي إذا نعيت

فالطباق في (شامت وباك) لا صنعة في إظهار قوة الشاعر و مترلته بين الناس.

ومنه أيضا قول يحي بن مبارك اليزيدي:[2]

ثقلت حتى لقد خففت كما سمجت حتى ملحت يا رجل

وكذلك محمد بن أمية استعمل الطباق في قوله:[3]

حين حطت ركابنا لإياب زم منه رحاله لانطلاق

و قوله:

تترجم عنا في الوجوه عيوننا و نحن سكوت و الهوى يتكلم

و نغضب أحيانا فنرضى بطرفنا و ذلك باد بيننا ليس يعلم

و قوله:[4]

أبا كثير العلل و يا قليل الشغل

ومن قول أبا فرعون الساسي في شكوى من فعل الزمن فاستعمل الطباق:[5]

بنيتي هدني الزمان و ملني الأهلون و الإخوان

رد فلان وجفا فلان و الله رب الناس مستعان

و في قول الخاركي كذلك:[6]

---

1 - المصدر السابق: ص26.

2 - المصدر السابق:ص31.

3- المصدر السابق: ص50.52.51

4- ابن الجراح: الورقة ص57.

5- المصدر نفسه: ص57.

6- المصدر نفسه: ص60.

بادرا أوبة المنون فإن الـــ ـــدار دار حصادة زراعه

كما ورد في قول أحمد بن إسحاق الخاركي عدة محسنات بديعية لما اخذ يصف خروج لحية أمرد:[1]

لهفي عليك وما يرد تلهفي بعد الظلام غضارة الأنـــــوار

و كأن خط الشعر في جنباته ليل أقام على نجوم نهـــــــار

لو يبتلي بدر السماء بلحية لا سود حتى لا يضيئ لساري

و الأمثلة على هذا المنوال كثيرة في شعر الشعبيين و تنوع موضوعاتهم التي احتاجت إلى استخدام المحسنات حتى تعبر عما يجول بخواطرهم و خواطر كل فئات مجتمعهم.

و مثلما احتاج أسلوبهم في الشعر إلى تلك المحسنات اللفظية و البديعية فإنه كان في أمس الحاجة أيضا إلى الاقتباس من القرآن الكريم و بالأخص في مواقفهم الدينية و الإصلاحية، ونختصر القول في ذلك بإيراد هذه النماذج عن الاقتباس.

جاء في قول إسماعيل القراطيسي يهجو الفضل بن الربيع الذي لم يثبه على مدحه له:[2]

ألا قل للذي لم يهـــ ـــده الله إلى نفـــــــعي

لإن أخطأت في مدحـــ ـــك ما أخطأت في منعي

لقد أحللت حاجاتي بـــــــواد غير ذي زرع

فتأثير القرآن واضح في الشطر الثاني من البيت الثالث، و قد لجأ إليه الشاعر ليؤكد للناس بخل ممدوحه.

بينما يرى الشاعر أبو الشيص في ممدوحيه عكس ذلك في إحدى مدائحه له:[3]

إلى علم البأس،في كفه من الجود عينان نضاختان

ملتفتا إلى قوله تعالى:[4]{فيهما عينان نضاختان}، و هذه للدلالة على كرم ممدوحه و جزالة عطائه. عطائه.

و يقول الشاعر ربيع الرقي في إحدى غزلياته:[5]

1- المصدر نفسه:ص63.

2-ابن الجراح:الورقة. ص 108.

3 - ابن المعتز: طبقات الشعراء.ص80.

4 - سورة الرحمن: الآية 66.

5 - ابن المعتز: طبقات الشعراء.ص160.

فاتق الرحمن فينا واحذري يوم القصاص

مشهدا يؤخذ بالأقـــ ـــدام فيه و النواصي

فغير الترتيب في سياق الآية الكريمة: [1] {يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام } فلجأ إلى هذا الاقتباس ليحذر معذبته من هجرانها له علها تخشى الله و تعود إليه.

وتكفينا الأمثلة السابقة لدلالة على شيوع الظاهرة، وهي أن المعجم القرآني دخل في معجم الشعراء العباسيين بشكل ملحوظ، و صار ركيزة من ركائز في الأداء الشعري.

وبهذه الأمثلة كذلك عن استخدام الشعبيين اللغة المناسبة و الأسلوب الواضح البسيط في أشعارهم فإن ذلك له معناه الذي يقصدون من ورائه تصوير حياتهم الخاصة في صورها الصادقة المتنوعة كما سيأتي.

د*التصوير الشعري:

لو تتبعنا معظم أشعار الشعبيين في العصر العباسي الأول لوجدنا أغلبها لا تخرج عن تصوير محيط الشاعر الذي يعيش فيه، و بالتالي فهو محكوم عليه أن ينتقي من محيطه هذا كل وسائل صنعته. وهو ليس في ذلك متصنعا أو متملقا بل كان يصدر عن روح مجتمعه لأنه واحد من أفراده و لأنه بغير ذلك لن يكون شاعرا. فالشعبية إذا في ألفاظه و معانيه و أخيلته و صوره هي قدره المحتوم، و على ذلك أن يقدم لنا الواقع كما يتفاعل بين الناس لا مجرد تلك العوامل التي يعاني منها أيضا الشاعر نفسه.

و فنية الشاعر الشعبي لا تتأتى له إلا إذا كانت صوره الفنية تعبر عن الجماهير العريضة، زيادة على نبوعها منها في الوقت نفســـه، و حياة الجمـــاهير تزخر بكثـــير من القـــضايا و المشـــاكل و المفارقات، و كلها تصلح لأن تكون صورا شعرية.

فصورة الفكاهة عند الشعراء الشعبيين مثلا صورها كثيرة جدا حتى أنها توزعت بين مختلف الأغراض و الموضوعات؛ لأنها كانت استجابة للمواقف المتنوعة لدى المجتمع العباسي المتحضر، بحيث كانت تعبر في معظمها عن ملاحظات عابرة في الأوساط الاجتماعية بمختلف طبقاتها تستوجب التظرف و الفكاهة و السخرية وما إلى ذلك. ولعل الشاعر أبا دلامة يأتي على رأس الشعراء الفكاهيين حسبما جاء في روايات المؤرخين و الرواة، فهذه مثلا صورة فكاهية التقطها

1 - سورة الرحمن: الآية 42.

الشاعر في رحلة صيد صحبت الخليفة المهدي و وزيره علي بن سليمان، حين اصطاد المهدي ظبيا و علي أصاب كلب صيد، فقال أبو دلامة مقطعته التي نكرر ذكرها مرة أخرى لطرافتها:

قد رمى المهدي ظبيا شك بالسهم فؤاده

و علي بن سليما ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لكما كل امرئ يأكل زاده

فالأبيات ترسم لنا صورة فكاهية تخفي لنا من ورائها صورتين متناظرتين في لوحة واحدة، وكأن الشاعر رسام كاريكاتوري؛ إذ يبرز في الأولى عظمة شخصية الخليفة و كفاءته حتى في الصيد، و في الثانية ضعف شخصية صاحبه و تخاذله أمام الخليفة. ولكن مهارة الشاعر في التصوير الفني تظهر لما عرف كيف يضيف للصورتين الفكاهتين صورة ثالثة زادت المعنى أكثر فكاهة و ظرفا حينما نتصور في هذه اللوحة كل واحد منهما يأكل ما اصطاده.

و في المجون صور لا تحصى نظرا للزحمة الكثيفة بشعرائه في هذا الميدان حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة بارزة في هذا العصر. و لعل الصورة التي يرسمها الشاعر أبو الهندي لنفسه حتى عند وفاته حين يقول في قطعة يبق قيدها أيضا:

اجعلوا إن مت يوما، كفني وورق الكرم و قبري معصره

وادفنوني وادفنوا الراح معي واجعلوا الأقداح حول المقبره

إنه يشخص في البيتين قمة المجون لديه، فهو حتى في لحظات سكرات الموت الذي يخشاه كل كائن حي، راح يرسم بلسانه صورته النهائية الشنعاء ليخلدها في التاريخ حتى تكون عبرة لمن اتبع سبيله في المعصية.

و إذا عمقنا النظر في صور المجون لاصطدمنا بلوحات يندهش الإنسان العادي إثر مشاهدتها أو حتى تصورها و ذلك لشذوذها و خروجها عن التصور المعقول، فهل يتخيل عندك أن ترى إنسانا يأكل الأقذار بمختلف أصنافها، و التي يتقيأ الإنسان بمجرد شم رائحتها؟ إنه الشاعر الفضل بن هشام بن جدير الموصوف بالخلاعة و السفاهة و الفسق، الذي لا تخرج معظم أشعاره عن وصف الأقذار حتى أصبح رائدا في وصفها، فاسمع إليه و تخيله و هو يصف نفسه كيف يتلذذ في أكل هذه الأقذار المتنوعة، في قطعة نردد ذكرها كذلك هنا:

فلو تراني و أنـــــا آكل جعسا منتـــنا

و قد شووا لي جـــردا و قد تفقا ســـــمنا

و آكل الجعس و أحسو السلح حسوا مدمنا

واشرب القيح كـــــما يشرب غيري اللبنا

لخلـــــــــت أن الله لم يخلق خلقا كـــأنا

فالتصوير هنا يعكس وجهين متناقضين للصورة الواحدة: فالأول سلبي في مضمونه من حيث علاقته بالواقع الذي لا يصدق فيه الإنسان أن يرى أخاه الإنسان يأكل مثل هذه الأصناف من الأقذار التي ذكرها الشاعر حتى و لو أدى به جوعه إلى الهلاك. أما الوجه الثاني إيجابي في تصويره لتعلقه بالصدق الفني الذي اكتملت فيه الصياغة الشعرية بإخراج الشاعر هذه الصور الفنية التي تعمد فيها الفضل أن يستمد عناصر بنائها من هذه السخافات، و كان قصد الشاعر الإبداع الفني، إذ يقر بذلك لما استدعاه الخليفة و أراد أن يجبره على أكل هذه الأقذار حتى يكف ذكرها في شعره فقال له الشاعر عن قطعة سابقة:

من لم يكن مذنبا إلى أحد و لا مسيئا ففيم تقتل

إن كنت أبدعت في الكلام و في الشـــ ـــعر بقولي فلست أفعله

و كأنه يريد القول: كل شيء في الوجود عظمت قيمته أو قلت فهو صالح لأن يكون منبعا للفن. و بالرغم من أن الشعراء في كل زمان و مكان اتخذوا من أتفه الأشياء مادتهم الشعرية إلا أن الفضل بن هشام بن جدير يبقى شاذا عن جميع الشعراء في تصويره لهذه الأقذار التي بدأنا نلمح أثرها اليوم في الأفلام الخيالية النفسية التي تحكي عوالم أخرى لا تنتمي إلى عالمنا الواقعي.

أما الذين يعارضون الحكم: و كان همهم الوحيد هو الإطاحة بهذا الحكم السيء الذي رسموا له كثيرا من الصور المشوهة؛ في سوء تسيير حكامه، و في استبدادهم و سوء أخلاقهم و خروجهم عن الدين وما إلى ذلك. مثلما جاء في قول موسى العلوي:

توليت بهجة الدنيا فكل جديدها خلـــق

و خان الناس كلهم فما أدري بمن أثـــــق

رأيت معالم الخيرا ت سدت دونها الطرق

فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلـــق

فالصورة التي رسمها الشاعر لهذا العصر حالكة السواد لا بصيص فيها من الأمل، بحيث يجعلك تنفر من أصحاب الحكم فيه ولا تتمنى أن تعيش في هذه الفترة من تاريخ المسلمين التي انعدمت فيها كل مواصفات الإسلام، و ما هذا التشاؤم إلا دلالة على قدرة الشاعر في انتخاب عناصره الفنية التي استطاع بها أن يؤثر في المتلقي.

وها هو أبو الفرعون الساسي الذي كانت أشعاره مشحونة بالصور المعبرة عن وضعه الاجتماعي السيء، و لعل هذه الصورة المؤلمة التي تشخص قمة الفقر الذي يعاني منه الشاعر تكفينا مثالا عن حال الفقراء؛ إذ يصف داره في قطعة سبق ذكرها جاء فيها قوله:

ليس إغلاقي لبابي أن لي فيه ما أخشى عليه الســـرقا
إنما أغلقه كي لا يرى سوء حالي من يجوب الطرقا
مترل أوطنه الفقر فلو دخل السارق فيه ســـــرقا

إنها صورة في قمة التعبير عن حال الفقراء؛ حيث استطاع الشاعر أن يجمع فيها كل الصيغ المؤثرة في المتلقي ليخلق بها صور جزئية تكمل بعضها بعضا ليتم بها الصورة النهائية للفقير المعدوم، و بالأخص ما يلفت انتباهنا أكثر إلى حالة اختياره صيغة (فلو دخل السارق فيه سرقا) إنها قمة في التصوير.

و بهذه الأمثلة عن الشعراء الشعبيين في صورهم الشعرية التي انتخبنا منها أمثلة متنوعة نكون قد سلطنا الضوء على الصور التي استعملها أولئك الشعراء في شعرهم و التي كانت أغلبها مستمدة من واقعهم الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي، و الأمثلة كثيرة جدا و لذا نكتفي بما ذكرنا، وما خضناه في هذه الدراسة الفنية نكون بذلك قد سلطنا الضوء و لو بصيص منه، على النواحي الفنية الهامة في شعر الشعراء الشعبيين في العصر العباسي الأول.

و في الختام يمكن أن نوجز أهم الخصائص المميزة لهذا التصوير الشعري فيما يلي: البساطة في التعبير، الحس الساخر (الفكاهة) و التهكم، ذكر "المحرمات الشعرية المتداولة" مثل موضوعات القذارة، النزعة القصصية، العفوية و الابتعاد عن التصنع، المباشرة غالبا في التطرق إلى الموضوع، الصدق في التعبير لتصوير الواقع.

قد يتراءى للبعض أن العصر العباسي الأول في مختلف مجالاته السياسية و الاجتماعية و الديـنية و الأدبية قد أشبع بحثا حتى صارت صورته جلية في عين العام و الخاص؛ حين يقارن هذا العصر بالعصور الإسلامية العربية الأخرى السابقة أو اللاحقة له، فقد عرف بقوة خلفائه من حيث سيطرتهم على الحكم، ومن حيث تسيير شؤون الدولة، حتى اتصف معظمهم بالعظمة و الحنكة السياسية، مما أكسبهم هيبة أمام الرعية في الداخل و أمام الأعداء في الخارج، كما أن أغلب آراء المؤرخين قد اتفقت على وصف هذا العصر بالازدهار و الرقي الحضاري و الاجتماعي و الفكري مما أدى إلى تطور الفرد في جميع أسباب الحياة، و يرجع هؤلاء أسباب ذلك إلى اختلاط الشعوب و تزاوج ثقافاتهم المتنوعة التي كان لها اثر كبير على الناحية الأدبية في شعرها و نثرها، حتى أصبح طابع هذا العصر بأوصافه السابقة منقوشا في أذهان الناس لا يحتمل التأويل أو التغيير.

غير أن الأمر اتضح عكس ذلك بعد سبر أغوار هذا العصر في مختلف مجالاته التي يكشف عن حقائقها شعر الشعراء الشعبيين؛ إذ ما اتصف به هذا العصر من قوة وازدهار و تقدم حضاري جاء في الغالب على لسان الشعراء المشهورين الذين كان همهم الأسمى هو اكتساب الشهرة حين راحوا يتصيدون ما يرضي الطبقة العليا الحاكمة، فنظموا الشعر إما رغبة و طمعا في عطايا رجال السلطة، و إما رهبة من بطشهم، الشيء الذي دفعهم إلى التصنع و التملق في قرض الشعر.

و لهذا لاحظنا أثناء عرض شعر الشعراء الشعبيين أن الوجه الأخر للعصر العباسي الأول غير الوجه البراق المعروف في مجالاته المختلفة؛ فلئن كان قد عرف في المجال السياسي بعصر القوة، فإن شعر الشعبيين يوضح بجلاء أن الحكم فيه كان قويا، ذلك أن فساد الحكم و جبروته قد زعزع البنية الاجتماعية و فك أوصالها حين أفرز طبقتين اجتماعيتين لا ثالثة لهما في المجال المعيشي: طبقة الحكام العليا و ذويهم و أتباعهم الذين دلّ شعرهم على انهماكهم في البذخ و اللهو و التمتع بأسلوب حياة النعيم، و طبقة المحكومين السفلى التي تظم السواد الأعظم من المجتمع الذين يعانون ظنك العيش فعبروا بشعرهم عن ألم الظلم و الفقر و المرض و الجنون آملين الفرج عنهم و عن ذويهم من الله جل جلاله ما دام المتخمون لا يبالون بهم.

أما في المجال الأدبي الذي يهمنا منه شعر الشعراء الشعبيين بخاصة، توصلنا إلى أن الطائفة الشعبية كانت معظم أشعارها تعبر عن الواقع الشعبي المعيش فكانت صـــورة حية لما يخلقه الفـــقر و المرض و الجنون.

هذا و إن سبرنا أغوار هذا البحث وجدنا موضوعه يتميز عن غيره بملاحظات جديدة لم نعثر عليها من قبل، وتتمثل في:

1 – غمور أغلب من أوردنا من الشعراء، و هذا لا يعود إلى ضعف قدرتهم الفنية في نظم الشعر، و إنما يرجع إلى أسباب خاصة بكل شاعر، إما سياسية أو اجتماعية و غيرها مما لا يرضي رجال الحكم، و بالتالي انساق أغلب الرواة وراء تتبع آثار المشهورين من شعراء هذا العصر استجابة لرغبة السلطة كذلك، و غضوا الطرف عن الشعبيين.

2 – لاحظنا فيما عدنا إليه من مصادر أن هناك اعترافات كثيرة، من رجال الأدب و نقاده القدامى، بقدرة كثيرة من الشعراء الشعبيين في نظم الشعر الفني حتى فاق بعضهم بعض المشهورين في الأداء الشعري في مختلف أغراضه و موضوعاته، فلو راجعنا تراجم الشعراء الشعبيين الواردة في البحث لوجدنا شهادات كثيرة لهم نذكر منها مثلا:

صدرت عن الأديب و الشاعر المشهور ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء شهادات كثيرة لعدد كبير من الشعراء الشعبيين نذكر منها قوله في أبي الشمقمق :"وشعر أبي الشمقمق نوادر كله"،و قوله في أبو فرعون الساسي:"كان من أفصح الناس و أجودهم شعرا و أكثرهم نادرة و لكنه لا يصبر عن الكدية"، و قال عن محمد بن يسير : "هو أنعت الناس للحيوان و الطير و الشاء".

أما عن الأداء الشعري في قالبه الفني فنلاحظ عدة مميزات تطبع أغلب أشعار الشعبيين و تميزها عن أشعار المشهورين، نذكر منها:

1 – نلاحظ في بنية القصيدة شكلا أن أغلبها صب في النتف و المقطوعات الشعرية القصيرة، لكونها تعبر عن واقع أغلب الشعراء الشعبيين في سرائهم و ضرائهم، و في دنياهم و آخرتهم.

2 – و في المضمون نلمس أن السمة الغالبة على أشعارهم هي وحدة الموضوع حين تناولوا فيه إما فكرة واحدة مباشرة، أو خاطرة جالت ببالهم، أو قصة قصيرة تحكي انشغالاتهم في الحياة الواقعية، فكان هناك ترابط عضوي في مقطوعاتهم.

3 – أما اللغة و الأسلوب فكانا يخدمان ذلك الموضوع الواحد في صدقه الفني نظرا لما اتسما به من بساطة و مباشرة و لجوء إلى العامية أحيانا في التعبير عن ذلك الصدق، و كان القصد من ذلك توصيل أفكارهم بأسهل السبل في التعبير للدلالة عن معاناتهم في آلامهم و آمالهم.

4 – أما التصوير الفني فقد كان يعكس واقع بيئتهم، و الحياة التي كان يحياها كل شاعر في هذا العصر، و بالتالي فهو يتسم بالصدق الفني في عرض انشغالاتهم، إلا أنه جاء في قالب سخري أو كاريكاتوري أو قصصي للدلالة عما كان يكمن في أعماقهم من معاناة واضطراب اجتماعي، و هذا الصدق الفني يعد ناحية مهمة يعيرها النقد الحديث كثيرا من اهتمامه و عنايته.

5 – أما الموسيقى فقد كانت تتماشى مع شكل و موضوع أشعارهم؛ إذ يتطلب ذلك الاقتصار في الشكل، و الاقتصار على الموضوع الواحد، و السهولة و المباشرة في التعبير، اختيار الأوزان القصيرة، و قد لاحظنا أن جل أشعارهم صبت في البحور القصيرة، أو في مجزوءات البحور الطويلة، أو في بعض الأوزان المهملة القصيرة كالهزج و المجتث و مخلع البسيط، حتى تسهل أشعارهم للتداول بين الناس فتساعد على انتشار و توصيل انشغالاتهم.

هذه أهم و أعم الملاحظات التي جمعتها حول موضوع شعر الشعراء الشعبيين في العصر العباسي الأول و التي وجدناها تعكس فعلا وجها آخر لذلك العصر.

فهرس الآيات القرآنية

الآيات القرآنية	اسم السورة	رقمها	مكان ورودها
يا أيها الناس إنّ خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير	الحجرات	13	المدينة
فيهما عينان نضاختان	الرحمن	66	مكة
يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام	الرحمن	42	مكة

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الراوي
يا أيها الناس إنّ ربكم واحد و إنّ أباكم واحد،كلكم لآدم وآدم من تراب،أكرمكم عند الله أتقاكم،وليس لعربيّ على عجميّ إلاّ بالتقوى	مسلم

فهرس القوافي الشعرية

أول البيت	قافيته	قائله	الصفحة
		– أ –	
الله مولى دنانير	ممسائي	أبو نواس	ص37.
عين جودي	الجلاء	مجهول	ص101.
		– ب–	
فإن ساءكم	فعذبوا	العباس بن الأحنف	ص 138.
خلقت مباعدة	عجبا	بشار	ص137.
شكوت إليه	ذنبي؟	ماني الموسوس	ص 137.
سفلت عن برد	عذابا	محمد بن كناسة	ص119.
ما أرى إن ذبحت	الإهاب	أبي البهدلي	ص 108.
محمد أبي	بالصواب	ابن حزم الباهلي	ص 107.
عزاك أيها العين	تنوب	أبي علي البصير	ص99.
إذا ما مات	قريب	الخريمي	ص 99.
فإن بك عامر	الشباب	النابغة الذبياني	ص 24.
شرابك في السراب	التراب	أبو الشمقمق	ص 44.
فمترلي الفضاء	السحاب	أبو الشمقمق	ص 43.
برزت من المنازل	حجابي	أبو الشمقمق	ص 30.
و في ذا راحة	دابي	أبو الشمقمق	ص30.
هان الذي	تلعب	يوسف بن الصقيل	ص136.
ضربوا قرة	ضربوه	الخليفة الأمين	ص117.
		– ت–	
يا طول	بجذلته	أبو الشمقمق	ص 76.
رأيت في النوم	أرت	أبو الشمقمق	ص91.

قعد الشيب	القينات	موسى بن محمد السلمي	ص 112.
أنا أبو فرعون	حجرتي	أبو فرعون الساسي	ص 90.
هويت	هويت	محمد بن أمية	ص 111.
سلقتنا	فادبرت	الموسوس جعيفران	ص 123.
هو و الله	زوجته	عبد الصمد بن المعذل	ص 123.

-ج-

لو ركبت	أمواجا	أبو الشمقمق	ص33.
فإلى الله	دجاجا	أبو الشمقمق	ص40.

-ح-

عين بكي	الألواح	محمد بن يسير	ص103.
إنّ رياح	سلحه	أبو الشمقمق	ص27.
وشعري	رباح	أبو الشمقمق	ص64.
كفاه قفل	فتحه	أبو الشمقمق	ص68.

-د-

لُما أتانا	صلند	العماني	ص129.
لو تشكى	العيادة	عبد الله محمد بن البواب	ص06.
يا غافلا	مشاهد	محمد الوراق	ص 11.
هيهات	سعيد	أبو الشمقمق	ص26.
وأحببت	سعيدا	أبو الشمقمق	ص27.
قال لي	سعيدا	أبو الشمقمق	ص37.
لشتان بين	المجد	أبو الشمقمق	ص37.
و الله لو	مدود	أبو الشمقمق	ص 53.
فسلم عليه	عباد	أبو الشمقمق	ص67.
بأصلع	سناد	أبو الشمقمق	ص68.
يا قاتل	عمد	الحمدوني	ص97.
ألا قل لمخة	الصائده	أبو الخطيب البهذلي	ص 102.

قد رمى	فؤاده	أبو دلامة	ص109.
إني أعوذ	أسد	أبو دلامة	ص110.
للمنون	فواحدا	أبو العتاهية	ص115.
أبو حسن	بعده؟	سعيد بن وهب	ص123.
وشادن	الصدود	بكر بن خارجة	ص129.
الحمد لله	بعبده	العماني	ص129.
قد رمى	فؤاده	أبو دلامة	ص142.
أصم	قياد	أبو الشمقمق	ص60.

-ذ -

الصدق	الماذي	أبو الشمقمق	ص28.

-ر-

يا رب	ترى	مجهول	ص09.
أنا بالأهواز	داري	أبو الشمقمق	ص15.
يا واحد	نظير	بشار بن برد	ص19.
لحية مروان	أذفرا	أبو الشمقمق	ص21.
و له لحية	نسر	أبو الشمقمق	ص25.
لولا	منصور	أبو الشمقمق	ص37.
ما كنت	منصور	أبو الشمقمق	ص26.
الطريق	القذره	أبو الشمقمق	ص28.
إذا حججت	العير	أبو الشمقمق	ص29.
ولقد قلت	الفخاره	أبو الشمقمق	ص31.
الحمد لله	غيري	أبو الشمقمق	ص33.
أنا بالأهواز	الخطر	أبو الشمقمق	ص39.
و مترل	المير	أبو الشمقمق	ص43.
فأرى الفأر	الإماره	أبو الشمقمق	ص79.
له نكهة	صقر	أبو الشمقمق	ص45.

و أقام السنور	فاره	أبو الشمقمق	ص45.
و بغلة	السير	أبو الشمقمق	ص46.
مناي	غيري	أبو الشمقمق	ص48.
يا أيها الملك	الوقاره	أبو الشمقمق	ص49.
لحية مروان	أذفرا	أبو الشمقمق	ص49.
الجردق	طير	أبو الشمقمق	ص49.
من قهوة	الجلّناره	أبو الشمقمق	ص50.
و لقد قلت	الفخاره	أبو الشمقمق	ص31.
و إذا العنكبوت	القرقاره	أبو الشمقمق	ص50.
يبس اليدين	بالمسامير	أبو الشمقمق	ص55.
و صاحب	للسير	أبو الشمقمق	ص56.
أنا بالأهواز	داري	أبو الشمقمق	ص15.
و شرابهم	الحماره	أبو الشمقمق	ص65.
خبز المعلم	الصور	أبو الشمقمق	ص66.
لا يرى	بأثر	أبو الشمقمق	ص73.
و لقد قلت	الفخاره	أبو الشمقمق	ص31.
فأرى الفأر	الإماره	أبو الشمقمق	ص45.
و لقد غدوت	تجارة	أبو الشمقمق	ص80.
أبو مالك	جابر	مجهول	ص85.
فلا تلوماني	الهواجر	مجهول	ص85.
صبرا	النهار	أبو الينبغي	ص87.
يا قاضي	غبر	أبو فرعون الساسي	ص88.
و صبية	القـــــــدر	أبو فرعون الساسي	ص91.
دع عنك	القفار	عاذر بن شاكر	ص93.
صحبت	كرا	أبو الينبغي	ص96.
يقولون	طاهر	ابن الطيب	ص97.
أقفرت منك	ديار	أبو الخطيب البهدلي	ص102.

أقفرت منك	الحوار	محمد بن المغيرة العتكي	ص102.
هذا الفضل	أقذر	أبا العبر الهامشي	ص125.
جادت	غرار	ابن عنبسة	ص126.
لكل شيء	أكبر	أبو العتاهية	ص128.
لهفي عليك	الأنوار	الخاركي	ص140.
اجعلوا	معصره	أبو الهندي	ص143.
يا أيها	الوقاره	أبو الشمقمق	ص39.

–ز–

و جميل	المخازي	أبو الشمقمق	ص26.
ما جمع	الخبز	أبو الشمقمق	ص32.
و جوار	الجوازي	أبو الشمقمق	ص45.
فلو رأوا	بالجمز	أبو الشمقمق	ص49.
و القلز	القلز	أبو الشمقمق	ص49.
حيث لا تنكر	التقماز	أبو الشمقمق	ص66.
ما أراني	الأهواز	أبو الشمقمق	ص47.

– س–

لو قد رأيت	تلبيس	أبو الشمقمق	ص30.
ألا يا ملك	للناس	أبو الينبغي	ص98.
يا نفس	سنن	أبو الشيص الخزاعي	ص100.
جرت	أنس	أبو الشيص الخزاعي	ص113.
قلت لرجلي	النسا	أبو الشيص الخزاعي	ص113.
أهلا و سهلا	الباس	المخيس بن أرطاة الراجز	ص110.
قاض يرى	باس	ابن أبي خالد	ص111.
ألا قوموا	القراطيسي	إسماعيل القراطيسي	ص112.

–ص–

فاتق الرحمن	القصاص	ربيع الرقي	ص141.

-ط-

ألا قولا	الضروط	أبو الشمقمق	ص29.

-ع-

قل لليالي	يرجع	أبو الخطاب البهدلي	ص101.
أشد من	خضوع	محمد بن حازم الباهلي	ص141.
بادرا أوبة	زراعه	الخارك	ص140.
ألا قل للذي	نفعي	إسماعيل القراطيسي	ص141.

-ف-

صلابة الوجه	الحرفة	أبو الشمقمق	ص66.
لي بستان	ترف	محمد بن يسير	ص102.
أكفه شاه	علف	حمد بن يسير	ص112.
أهدى إلينا	مكتوفا	أبي البهدلي	ص109.
أنا المخبل	تخفي	الفضل بن هاشم	ص125.
وسوسوا	يخف	أبو دلامة	ص131.
لسعيد	العجف	الحمدوني	ص134.

-ق-

أسمج الناس	مرقه	أبو الشمقمق	ص28.
عجبت	تغرق	أبو الشمقمق	ص34.
ليس إغلاقي	السرقا	أبو فرعون الساسي	ص90.
أصبح الحاكم	طليق	ابن مناذر	ص118.
حين حطت	لانطلاق	محمد بن أمية	ص139.
توليت	خلق	موسى العلوي	ص141.

-ك-

لقد كنت	الشرك	عبد الله بن محمد بن عيينة	ص02.
هتفت	ينـــــك	أبو الشمقمق	ص04.
الموت	لا ملك	أبو العتاهية	ص129.

-ل-

أنا في حال	حال	أبو الشمقمق	ص15.
مددت	السائل؟	أبو العتاهية	ص20.
نرد	الداخل	أبو الشمقمق	ص21.
و قد زعموا	شكله	أبو الشمقمق	ص26.
و لقد قلت	ثعاله	أبو الشمقمق	ص31.
أتراني	رجلي	أبو الشمقمق	ص33.
و ليس على	قفل	أبو الشمقمق	ص36.
يا قوم	لفيل	أبو الشمقمق	ص40.
يا أمّ	الفيل	أبو الشمقمق	ص40.
ألا ربّ	صقيل	أبو الشمقمق	ص46.
و لقد أهزلت	خيالي	أبو الشمقمق	ص43.
حيثما كنت	رحلي	أبو الشمقمق	ص47.
يوسف الشاعر	بالأبلّه	أبو الشمقمق	ص49.
يتماشى	مسدول	عبد الصمد بن المعذل العبدي	ص86.
دع عنك	تقول	إسماعيل الفتاك	ص94.
هاك فاشربها	الطويل	آدم بن عبد العزيز	ص119.
سيدي	رطل	خالد الكاتب	ص120.
و ندامي	قليلا	جعيفران الموسوس	ص120.
عاتبت	تقبل	جحظة المغني	ص121.
منفصل	منفصل	علية بنت المهدي	ص122.
و شادن	المقل	الخليفة الهادي	ص122.
أتيتك عائذا	الحيل	محمد اليزيدي	ص124.
أقطع الدهر	تنجلي	محمد بن أمية	ص134.
كأس كأن	مطل	إبراهيم بن المهدي	ص138.
ثقلت حتى	رجل	يحي بن مبارك اليزيدي	ص139.
أبا كثير	الشغل	محمد بن أمية	ص140.

من لم	تقتل	أبو الشيص الخزاعي	ص144.

–م–

سَقَيْتَ الغَيْثَ	الهِمَامِ	إسحاق بن إبراهيم	ص02.
قد مررنا	ينمي	أبو الشمقمق	ص38.
فانتهينا	يرمي	أبو الشمقمق	ص38.
فارتحلنا	بذم	أبو الشمقمق	ص38.
لولا البنية	الظلم	محمد بن يسير	ص84.
أبقت الألواح	تضطرم	محمد بن يسير	ص104.
هي للنيروز	ندامى	المغني عبد الله بن العباس	ص117.
واتبع للذاتك	للمليم	يوسف بن الحجاج	ص121.
آثر ربع	صمما	الفضل الرقاشي	ص122.
فقلت لها	للستهام	جحظة البرمكي	ص136.
تترجم عنا	يتكلم	محمد بن أمية	ص139.

–ن–

تجن الأرض	كني	أبو الهيذام	ص139.
إنّ أولادي	فينا	مجهول	ص08.
قد عشت	حسن	بشار بن برد	ص10.
هلّلينه	لتينه	أبو الشمقمق	ص18.
سبع جوزات	المدينه	أبو الشمقمق	ص28.
ليس فيها	الطيلسان	أبو الشمقمق	ص34.
إني إذا	لساني	أبو الشمقمق	ص18.
بنيتي هدني	الإخوان	أبو فرعون الساسي	ص95.
كفاني الله	كفاني	أبو فرعون الساسي	ص96.
باب الأمير	ذقن	ابن الطيب	ص129.
أصغي	يحييني	الخريمي	ص99.
هل لامرئ	الحدثان؟	أبو الخطيب البهدلي	ص129.
اسقني	دينا	آدم بن عبد العزيز	ص99.

تخطي	المضنة	آدم بن عبد العزيز	ص120.
و أخو	لينا	ابن المولى	ص121.
أغيثا تحمل	هارونا ؟	يوسف بن الصيقل	ص124.
أيا تفاحة	زمان	رزين العروضي	ص125.
أوصى	إخوانه	الفضل الرقاشي	ص128.
ظهر	معان	عبد الصمد بن المعذل	ص129.
سلاف	دجن	أبو نواس	ص130.
قربوا	الأقربون	رزين العروضي	ص132.
ألا أيها	الزمن	المأمون	ص133.
أيا سرور	الطعن	مسلم بن الوليد	ص138.
إلى علم	نضاختان	أبو الشيص	ص141.
فلو تراني	منتنا	أبو الشيص	ص143.

-و-

يا ليلة	قهوه	أبو نواس	ص131.

-ي-

رحل المطي	نعليّه	أبو الشمقمق	ص36.
تنتاب	مبنيه	أبو الشمقمق	ص36.
و لقد أتيتك	بنسيه	أبو الشمقمق	ص36.
يا طول	بيه	أبو الشمقمق	ص45.
و تولى	مصرية	أبو الشمقمق	ص46.
يا رازق	دويه	أبو الشمقمق	ص44.
جئته	تحيه	حمدوني	ص57.
تسامى	حافية	حمدوني	ص87.
أخذ	خفافي	أبو الشمقمق	ص45.
و يحبس	خريه	إسماعيل الفتاك	ص92.
يا ابن حرب	غنيا	الحمدوني	ص97.

-هـــ-

سقيا لحي	عهدهم	أبو فرعون الساسي	ص89.
الناس	خيرهم	أبو فرعون الساسي	ص89.
إليك أشكوا	مثلهم	أبو فرعون الساسي	ص90.
إن عديا	أخاها	أبو فرعون الساسي	ص95.
أبلغا ريطة	لأبيها	أبو دلامة	ص119.
يا فتحة	فتيهي	أبو الضرع	ص125.

قائمة المصادر و المراجع

1 -القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

2 -صحيح مسلم. شرح.النووي.المطبعة المصرية و مكتبتها.مصر

3 - إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر.مكتبة الأنجلو المصرية.القاهرة.(د.ت).ط2. 1945.

4 - إبراهيم بن محمد البيهقي : المحاسن و المساوئ .تحقيق.محمد أبو الفضل إبراهيم.دار نهضة مصر.القاهرة.1961.(د.ط).

5 - الإبشيهي: (أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد): المستطرف في كل فن مستظرف. طبع دار الفكر. بيروت. مصورة عن طبع الاستقامة. مصر. 1379هـ.(د.ط).

6 - أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة. (د.ت). ط8 1973.

7 - أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية ق **2** هـ. دار المعارف . القاهرة. 1971 .(د.ط).

8 - أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. تحقيق . أحمد أمين و أحمد الزين و إبراهيم الأبياري.مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر. القاهرة. (د.ت).ط3 . 1965.

9 - أحمد عبد الستار الجواري: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري،دار فارس للنشر و التوزيع. الأردن.(د.ت).ط 1. 2006.

10 أحمد : ضحى الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. مصر. (د.ت). ط7. (د.ت) .

11 -أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي): تاريخ بغداد أو مدينة السلام . دار الكتب العربي. بيروت.(د.ت).(د.ط).

12 -بشار بن برد: ديوان بشار بن برد.تحقيق.محمد الطاهر بن عاشور.الشركة التونسية للتوزيع . تونس.1976.

13 -بهيج شعبان: أثر المعدة في الأدب العربي. منشورات دار عويدات. بيروت.(د.ت). ط 1 . 1966.

14 -جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر (الزمخشري): أساس البلاغة.دار صادر .بيروت . 1965.(د.ط).

15 -ابن الجراح: الورقة. تحقيق. عبد الوهاب عزام و عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف. مصر.(د.ت). ط2. 1953.

16 -الحصري: زهر الآداب و ثمر الألباب . تحقيق علي محمد البجاوي. مصر.(د.ت).ط 1. 1959م .

17 -أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة. تحقيق. أحمد أمين و أحمد الزين. طبع مكتبة الحياة. (د.ت). (د.ط).

18 -خير الدين الزركلي: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت.(د.ت). ط5 .1980.

19 -رجاء عيد: الشعر و النظم- دراسة في موسيقى الشعر-. دار الثقافة . القاهرة .1997. (د.ط).

20 ابن رشيق القيرواني:

أ – زهر الآداب و ثمر الألباب. تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل بيروت.(د.ت). ط4. 1972.

ب -العمدة .دار المعارف.القاهرة.مصر.(د.ت).(د.ط).

21 زهير أحمد محمد منصور: أبو الشيص الخزاعي حياته و شعره. جدارا للكتاب العالمي.عمان.(د.ت). ط1 . 2008.

22 ساسين عساف: الصورة الفنية و نماذجها في إبداع أبي نواس .المؤسسة الجامعة للدراسات و النشر و التوزيع.بيروت.1982 .(د.ط).

23 -ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت.(د.ت).(د.ط).

24 شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول. دار المعارف. مصر. (د.ت). ط6. (د.ت).

25 ابن طباطبا: عيار الشعر .تحقيق.عبد العزيز المانع.دار العلوم للطباعة و النشر .الرياض. 1980 . (د.ط) .

26 -العباس بن الأحنف: ديوان العباس بن الأحنف.شرح و تحقيق.عاتكة الخزرجي.دار الكتب المصرية.مصر.1954.(د.ط).

27 أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ابن خلكان): وفيات الأعيان و أنباء الزمان . ترجمة و تحقيق. إحسان عباس. دار صادر للطباعة و النشر. بيروت.1994. (د.ط).

28 أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد): الكامل في اللغة و الأدب. إشراف و نشر مكتبة المعارف .بيروت . (د.ت).(د.ط).

29 -أبو عبيد الله محمد بن عمران (المرزباني):

أ – معجم الشعراء و معه المؤتلف و المختلف. تصحيح و تعليق. فكرنكو. مكتبة القدسي. مصر. 1937 م.(د.ط).

ب -الموشح. تحقيق .علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر.(د.ت). ط1. 1973.

30 -أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ):

أ – البيان و التبيين.تحقيق.عبد السلام هارون.مكتبة الجاحظ. بيروت. 1948 .(د.ط).

ب–كتاب الحيوان . تحقيق. عبد السلام هارون . م نشورات المجمع العلمي الإس لامي . بيروت.(د.ت) . (د.ط).

31 عبد القادر الرباعي:

أ – الصورة الفنية في شعر أبي تمام. دار العلوم. الرياض. (د.ت). ط1 . 1984.

ب– الصورة الفنية في النقد الشعري. دار العلوم. الرياض. (د.ت). ط1 . 1984.

32 -أبو القاسم حسين بن محمد (الراغب الأصبهاني): محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء.دار الحياة.بيروت.(د.ت).ط1 . 1961.

33 أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني. ترجمة و تحقيق. يوسف البقاعي و غريد الشيخ. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.2000 . ط1. (د.ت).

34 أبو القاسم محمد كروا و عبد الله شريط:شخصيات أدبية من المشرق و المغرب . منشورات كتاب البعث و مكتبة النجاح.المطبعة العصرية .تونس. (د.ت).ط1. 1958.

35 -قدامة بن جعفر: نقد الشعر . تحقيق . محمد عبد المنعم خفاجي . مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة .1978 . (د.ط).

36 -مبارك باشا: شعر المغمورين في العصر العباسي الأول .بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم.جامعة الحاج لخضر. باتنة. السنة الجامعية:2000/1999 م

37 -مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط.المطبعة الخيرية.مصر.(د.ت).(د.ط).

38 أبو محمد بن عبد الله بن مسلم ابن قتيبة : الشعر و الشعراء .تحقيق.محمد طعمة الحلبي.دار المعرفة .بيروت .1997.(د.ط)

39 محمد زغلول سلام: الأدب في العصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث . منشأة المعارف. الإسكندرية. مصر. (د.ت) . (د.ط).

40 -محمد عبد المنعم خفاجي: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول .مكتبة الكليات الأزهرية.مصر.(د.ت). ط1 . 1981 .

41 محمد مرتضى (الزبيدي): تاج العروس.المطبعة الخيرية.مصر.(د.ت). (د.ط) .

42 محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن 2هـ .دار المعارف. القاهرة.(د.ت).ط1 .1969.

43 -محمود فاخوري: سفينة الشعراء. مكتبة الثقافة. حلب.1970.(د.ط).

44 مصطفى بيطام : مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر.ط1. 1995.

45 -مصطفى ناصف: الصورة الأدبية .دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع .بيروت. (د.ت).ط2 .1981 .

46 ابن المعتز: طبقات الشعراء. تحقيق.عبد الستار أحمد فراج . دار المعارف. مصر.(د.ت). ط2 . 1988.

47 أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف و المنسوب. تحقيق. محمد أبي الفضل إبراهيم. طبع دار نهضة مصر. القاهرة.(د.ت). ط1. 1968.

48 ابن منظور: لسان العرب. دار صادر. بيروت. (د.ت).ط1 .1997.

49 -أبو نواس الحسن بن هاني: ديوان أبي نواس.تحقيق.أحمد عبد المجيد الغزالي . الكتاب العربي. بيروت.1953.(د.ط).

50 -النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب.طبعة مصورة عن دار الكتب.(د.ت).(د.ط).

51 -واضح محمد الصمد أبو الشمقمق: .دار الكتب العلمية.بيروت.(د.ت).ط 1. 1995.

52 -

53 ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر. بيروت . (د.ت) . ط1. 1979.

54 -يوسف خليف:

أ – حياة الشعر في الكوفة.دار الكتاب العربي.القاهرة.1968 .(د.ط).

ب -في الشعر العباسي نحو منهج جديد .دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع. القاهرة. (د.ت) .(د.ط).

فهرس المواقع الإلكترونية:

1-http://www.almhml.com/vb/showthread.php?t=7182

2- http://ar.wikipedia.org /wiki/%D8%B4%D8MB9%D9%88%D8%

فهرس الموضوعات

المقدمة.

المدخل:

الحياة الاجتماعية من خلال بنية المجتمع و طبقاته ككل.....ص02

أهم الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي الأول.....ص07

الفصل الأول: الملامح الفنية في شعر أبي الشمقمق

المبحث الأول: التعريف به.....ص13

المبحث الثاني: الأغراض الشعرية.....ص22

المبحث الثالث: الصورة الشعرية.....ص39

المبحث الرابع: البناءاللغوي والأسلوبي.....ص58

المبحث الخامس: البناء الموسيقي.....ص66

المبحث السادس: بناء القصيدة.....ص73

الفصل الثاني: الملامح الفنية في شعر الشعراء الشعبيين

أولا- على مستوى المضمون(الموضوعات).....ص78

ثانيا- على مستوى الأداة(الأغراض، الصورة الشعرية، البناء الموسيقي،البناء اللغوي

و الأسلوبي).....ص97

الخاتمة.....ص134

الفهارس.....ص138

الملخـــــــــــــــــص

كثيرة هي الكتب التي تحدثت عن العصر العباسي الأول في مختلف مجالاته السياسية و الاجتماعية و الدينية، و لاسيما الجانب الأدبي ، الذي تميز بالتنوع و الازدهار ، و لقد عبر عن هذا لسان الشعراء المشهورين من خلال مدحهم للخلفاء و كبار الدولة ، و ذلك إما لكسب عطاياهم أو رهبة من بطشهم ، مما دفعهم إلى التصنع و التملق في قرضهم للشعر، وهذا عكس الشعراء الشعبيين الذين صوروا حياتهم اليومية وما تحملها من مشاكل و بؤس و فقر، فكان شعرهم صورة حية لأحاسيس أبناء الطبقات الفقيرة و المحرومة ، و آمالهم و آلامهم ، لذلك كان همهم من خلال شعرهم هو التعبير عن هذه الآلام و المآسي في تلك اللحظة أو الدفقة الشعرية، متجاهلين بذلك الشهرة وحب الظهور، و هذا ما فسر غمور الكثير منهم لاسيما الشاعر أبو الشمقمق الذي اعتبر من أتعس الشعراء الشعبيين الذين عاشوا في هذا العصر ، حيث قدر له طوال حياته شقيا تعيسا.

فالفقر ظل يلازمه على امتداد حياته، و في كل البلاد التي ارتحل إليها سعيا وراء العيش، فكان شعره صادقا و معبرا عن نزعات الطبقات المسحوقة من أبناء المجتمع العباسي، تلك الطبقات التي ظلت تتجرع مرارة الفقر و الحرمان ، حيث صور بؤسها و حرمانها، و عبر عن آهاتها و أنينها من خلال وضعه المؤلم و فقره المدقع، و بذلك فهو يعد من جملة الشعراء الذين ظلوا طوال حياتهم يعزفون على قيثارة البؤس و الشقاء.

كما كانت أشعار الشعراء الشعبيين في موضوعها تعالج قضية البؤس و الحرمان، مستندين في ذلك على غرض الوصف ليدلوا على الوضعية المزرية لحياة أبناء الطبقات المحرومة من أبناء المجتمع العباسي.

ووجدوا في غرض الهجاء و أسلوب السخرية و السؤال و المراجعة في الطلب و رفع الشكوى إلى رجال الدولة و الأشراف خير وسيلة تدر عليهم ذلك القليل من الدريهمات التي لا تضمن لهم قوت يومهم.

كانت هذه الموضوعات في أشعارهم عبارة عن نتف و مقطوعات قصيرة ، عبرت عن واقعهم في سرائهم و ضرائهم و في دنياهم و آخرتهم ، و ذلك ضمن موضوع واحد تقريبا عالجوا فيه فكرة واحدة مباشرة في أغلب الأحيان، أو خاطرة جابت ببالهم، أو قصة قصيرة تحكي انشغالاتهم

في الحياة اليومية الواقعية ، وذلك بلغة و أسلوب بسيط و مباشر، قريب إلى اللغة العامية، و كان القصد من ذلك هو توصيل أفكارهم بأسهل السبل و للتعبير بصدق عن معاناتهم في آلامهم و آمالهم.

كما عكس تصويرهم الفني واقع بيئتهم، معبرا عن انشغالاتهم، وكان في قالب سخري أو كاريكاتوري أو قصصي للدلالة عما كان يكمن في أعماقهم من معاناة و اضطراب اجتماعي.

ونلمح اختيارهم الأوزان القصيرة كمجزوءات البحور الطويلة أو بعض الأوزان المهملة القصيرة كالهزج و المجتث و مخلع البسيط ، كي تسهل أشعارهم للتداول بين الناس ، فتساعد على انتشا ر و توصيل انشغالاتهم.

ABSTRACT

Many writes have spoken about the first ABBASSIDS piriod in its different domains:politics socity religion and especially
Littérature which was varied and prospering.poets have presented this reality when they have praised caliphs and heads of the country to get gifts or to avoid they tyranny.They have written their poems in on artificial manner.However the public poets have presented poverity and problems of their daily life.They have drawn in their poems emotions-hopes-and sufferings of the poor class.without seeking fame or exhibitionisme.For instance the poet ABOU EL-CHAMAKMAK who was miserable during his life was one among the unknown public poets at that time.

Thongh his poverity he expressed truthfrelly the suffering of the poor class of ABBASSIDES society.He have drawn their pain and affliction.

He was one among the public poets who represented the poor and deprived ABBASSIDES people.

The subject of public poems was about poverity and affiction.They used the dexption to present the mesirable life of the poor class in the ABBASSIDES society.

Moreover thy used satire iong demand earnest request and complaint to nobles and heads of the country to get some money which was mot enough for life.

These subjects are presented in small strophes in theire poems.They exposed the poets life at every time. All these subjects aimed one direct idea or thought or small story which telled their daily preoccupations with simple and direct language style near to slang.Their purpose was to express truthfully and easily their afflication and hope.

Basides the artistic drawing of the lif has reflected their enviroument reality.they expressed their preoccupation in a from of irony caricature or story to show their suffering and social disturbance.

We notice also the use of smal meters like the partitioned long meters or some small neglected meters like EL-HAZEJ EL-MONJTATH and MOUKHALAH EL-BASSIT.Poets used such meters to make easy the spreading of their poems from mouth to mouth in order to express their preoccupation.